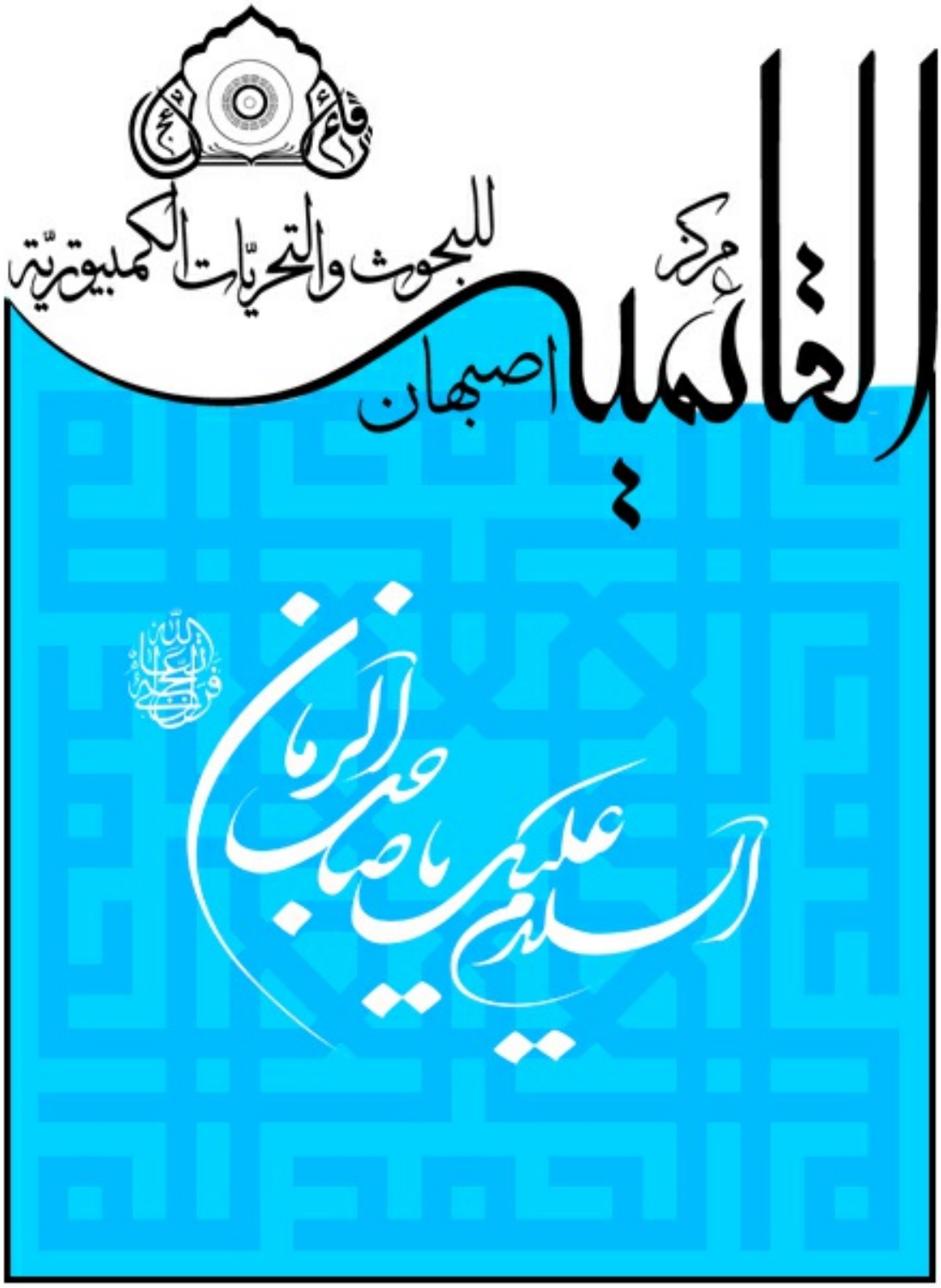

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أهداف التربية الإسلامية

مركز أبحاث العترة والجامعة

تعريب: السيد حسن علي الهاشمي

جامعة المصطفى ﷺ العالمية فرع العراق

بسم الله الرحمن الرحیم

اهداف التربيه الاسلاميه

كاتب:

سيد حسن على هاشمى

نشرت فى الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

اهداف التربیه الاسلامیه ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۱

کلمه الناشر ----- ۱۵

الفهرس ----- ۱۹

المقدّمه ----- ۲۶

القسم الأول: مفهوم الهدف والتبویب وماهیّه الهدف الغائی فی المنظور الإسلامی ----- ۳۰

اشاره ----- ۳۰

الفصل الأول: مفهوم الهدف وملاک تحدیده ----- ۳۲

مفهوم الهدف والمفردات المرادفه له ----- ۳۲

مفهوم الهدف فی التربیه والتعلیم ----- ۳۴

الأهداف المناسبه للاختیار ----- ۳۷

هدفیه العالم من منظور القرآن والعقل ----- ۳۹

هدف حیاه الإنسان من منظور القرآن ----- ۴۰

أسس تحدید أهداف التربیه والتعلیم ----- ۴۱

اشاره ----- ۴۱

۱. الأسس العلمیه ----- ۴۲

۲. الأسس الفلسفیه ----- ۴۳

۳. الأسس الدینیه ----- ۵۳

الفصل الثانی: تبویب أهداف التربیه والتعلیم ----- ۵۴

اشاره ----- ۵۴

مفهوم تبویب الأهداف التربویه من الزاویه الدینیه والعلمیه ----- ۵۴

العلاقه بین تبویب الأهداف التربویه من الزاویه الدینیه والزاویه العلمیه ----- ۵۷

تبویب الأهداف التربویه من زاویه العلوم التربویه ---- ۵۹
اشاره ---- ۵۹
۱. المساحه المعرفیه ---- ۶۰
۲. المساحه العاطفیه ---- ۶۲
۳. المساحه النفسیه - الحرکیه ---- ۶۴
تبویب الأهداف التربویه من زاویه الإسلام ---- ۶۶
الفصل الثالث: الهدف الغائی وخصائصه ---- ۷۰
مفهوم الهدف الغائی من الزاویه الدینیه وخصائصه ---- ۷۰
الهدف الغائی من وجهه نظر الإسلام ---- ۷۵
بحث خاص ---- ۷۹
القسم الثانی: الأهداف العامّه (الوسیطه) ---- ۸۲
اشاره ---- ۸۲
بحث خاص ---- ۸۵
الفصل الأول: الأهداف التربویه للإسلام فیما یتعلّق بارتباط الإنسان بخالقه ---- ۸۸
اشاره ---- ۸۸
معرفه الله ---- ۸۸
الإیمان ---- ۹۰
الآثار التربویه للإیمان ---- ۹۲
التقوی ---- ۹۶
اشاره ---- ۹۶
۱. التقوی هدف وسیط ---- ۹۸
۲. اختلاف التقوی عن الإیمان ---- ۹۹
۳. التقوی وسیله للوصول إلی المراحل العلیا ---- ۱۰۱
۴. الآثار التربویه للتقوی ---- ۱۰۳
العباده ---- ۱۰۹
اشاره ---- ۱۰۹

١. العباده هدف وسيط ---- ١١١
٢. ارتباط العباده بالهدف النهائى ---- ١١١
٣. الآثار التربويه للعباده ---- ١١٢
الشكر ---- ١١٨
اشاره ---- ١١٨
١. مفهوم وماهيه أداء حقّ الله ---- ١١٩
٢. بحث خاص ---- ١٢١
٣. الأسس الحاكمه على الشكر فى القرآن الكريم ---- ١٢٢
۴. الشكر واختلافه عن سائر الأهداف الوسيطه الأخرى ---- ١٢٣
۵. الآثار التربويه المترتبه على الشكر ---- ١٢۶
الفصل الثانى: الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بنفسه ---- ١٣٠
اشاره ---- ١٣٠
الأبعاد المختصّه بالإنسان ---- ١٣٢
أ) الأهداف المعرفيه ---- ١٣٢
اشاره ---- ١٣٢
١. تنميه قوه العقل ---- ١٣٣
٢. بحث خاصّ ---- ١۴٣
٣. تحصيل العلوم والمعارف ---- ١۶٠
۴. السموّ الفكرى ---- ١٨١
۵. معرفه النفس ---- ١٨۵
اشاره ---- ١٨۵
معرفه النفس مقدمه إلى معرفه الله: ---- ١٨٨
ب) الأهداف الإنتمائيه ---- ١٩٧
اشاره ---- ١٩٧
١. تنميه المطالبه بالحقيقه ---- ١٩٩
٢. تنميه النزعه إلى البحث عن الله ---- ٢٠١

٣. تنميه النزعه إلى اكتساب الفضيله ---- ٢٠٥
٤. تنميه النزعه والميل إلى الخلود ---- ٢١١
٥. تنميه النزعه إلى اكتساب الكمال ---- ٢١٥
٦. تنميه النزعه إلى الحياه الاجتماعيه ---- ٢١٩
٧. تنميه النزعه والميل إلى الدفاع ---- ٢٢٨
٨. تنميه النزعه إلى الجمال ---- ٢٣٣
٩. هدايه وتوجيه النزعه إلى التملّک ---- ٢٣٦
ج) تعزيز الإراده: ---- ٢٤٥
الأبعاد المشترکه بين الإنسان والحيوان ---- ٢٥٣
١. هدايه وتعديل الميول المشترکه ---- ٢٥٣
٢. بحث خاصّ ---- ٢٥٥
اشاره ---- ٢٥٥
أ) هدايه وتعديل إشباع الجوع والعطش ---- ٢٦١
ب) هدايه وتوجيه النزعه إلى النوم ---- ٢٦٧
ج) توجيه وهدايه الرغبه الجنسيه: ---- ٢٦٨
٣. أهداف الإسلام التربويه فی خصوص جسم الإنسان ---- ٢٧٣
الفصل الثالث: أهداف الإسلام التربويه فی خصوص علاقه الإنسان بالآخرين ---- ٢٧٦
اشاره ---- ٢٧٦
أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعيه: ---- ٢٧٨
اشاره ---- ٢٧٨
١. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالنبیّ والأئمه وخلفائهم ---- ٢٧٨
٢. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالمعلّم أو المتعلّم ---- ٢٧٩
اشاره ---- ٢٧٩
مسؤوليات المعلّم تجاه المتعلّمين ---- ٢٧٩
٣. الأهداف التربويه فيما يتعلّق بالارتباط بالوالدين: ---- ٢٨٣
اشاره ---- ٢٨٣

أ) إحترام الوالدين ---- ۲۸۶
ب) الاعتراف بحقّ الوالدين ---- ۲۸۸
۴. الأهداف التربويه فيما يرتبط بالعلاقه الزوجيه ---- ۲۹۰
اشاره ---- ۲۹۰
أ) تلبيه الاحتياجات الروحيه: ---- ۲۹۱
ب) تلبيه الاحتياجات الماديه: ---- ۲۹۳
۵. الأهداف التربويه فيما يرتبط بالعلاقه مع الولد ---- ۲۹۴
اشاره ---- ۲۹۴
أ) تجنب الإفراط والتفريط فى تربيه الأولاد ---- ۲۹۵
ب) مسؤوليه الوالدين تجاه الأولاد ---- ۲۹۷
۶. الأهداف التربويه بشأن علاقه المؤمنين ببعضهم ---- ۳۰۲
۷. الأهداف التربويه فيما يتعلق بعلاقه المؤمن بعامه الناس ---- ۳۰۶
الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصاديه ---- ۳۱۰
اشاره ---- ۳۱۰
۱. أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالإنتاج ---- ۳۱۲
۲. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالتوزيع ---- ۳۱۵
۳. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالاستهلاک ---- ۳۱۶
أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بالعلاقات السياسيه ---- ۳۱۷
اشاره ---- ۳۱۷
۱. السعى إلى تحصيل القدره السياسيه ---- ۳۱۸
۲. ممارسه السلطه من أجل تحقيق الأهداف الإسلاميه المتعاليه ---- ۳۱۹
أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الثقافيه ---- ۳۲۳
الفصل الرابع: أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بعلاقه الإنسان بالطبيعه ---- ۳۲۶
اشاره ---- ۳۲۶
معرفه الطبيعه ---- ۳۲۷
توظيف الطبيعه بشكل صحيح ---- ۳۲۹

المصادر ---------- ۳۳۰

تعریف مرکز ---------- ۳۳۳

اهداف التربیه الاسلامیه

اشاره

عنوان قراردادی:اهداف تربیت از دیدگاه اسلام .عربی

عنوان و نام پدیدآور:اهداف التربیه الاسلامیه/ مرکز ابحاث الحوزه والجامعه؛ تعریب السید حسن علی الهاشمی.

مشخصات نشر:قم : مرکز المصطفی(ص) العالمی للترجمه والنشر، ۱۴۳۶ق.= ۱۳۹۳[صحیح: ۱۳۹۴].

مشخصات ظاهری:۳۱۹ ص.؛ ۵/۱۴ × ۲۱ س م.

فروست:جامعه المصطفی(ص)العالمیه؛ ۹۴۰.

شابک:۱۵۰۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۲۶۹-۵

وضعیت فهرست نویسی:فاپا

یادداشت:کتابنامه: ص.[۳۱۷] - ۳۱۹؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع:اسلام و آموزش و پرورش

موضوع:اسلام و آموزش و پرورش -- هدف ها و نقش ها

شناسه افزوده:هاشمی، حسن علی، مترجم

شناسه افزوده:جامعه المصطفی(ص) العالمیه. مرکز ابحاث الحوزه و الجامعه

رده بندی کنگره:BP۲۳۰/۱۸/الف۹۰۴۳ ۱۳۹۴

رده بندی دیویی:۲۹۷/۴۸۳۷

شماره کتابشناسی ملی:۳۶۷۴۶۴۲

ص :۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص :٢

اهداف التربيه الاسلاميه

مركز ابحاث الحوزه والجامعه

تعريب السيد حسن على الهاشمى

ص :٣

كلمه الناشر

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً .(۱)

والصلاه والسلام علی سیدنا محمد خاتم النبیین وعلی آله الطیبین الطاهرین المعصومین.

لقد شهدت دائره العلوم الإسلامیه علی اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاریخها الطویل، اتّساعاً واضحاً ونموّاً مطّرداً، صاحبَهَا ازدهارٌ مشابهٌ فی العلوم الإنسانیه، وفی الفکر، والثقافه والتعلیم، والفن والأدب.

وقد ازدادت هذه العلوم نشاطاً وحیویّهً وعمقاً وشمولاً بعد انتصار الثوره الإسلامیه بقیاده الإمام الخمینی (قدس سره) وتصاعدت حرکه أسلمه العلوم، وترکیز القیم الدینیه والروحیه والإنسانیه، بعد تزاید الحاجه الماسّه إلی إیجاد الحلول للمشاکل والاستفهامات الدائره فی شتّی الموضوعات الاجتماعیه والسیاسیه والعقائدیه، فی ظلّ المتغیّرات الحاصله فی مجمل دوائر الفکر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمه والفکر الإلحادی، وحتی التکفیری المتطرّف، بخاصّهٍ بعد ثوره الاتصالات الکبری التی هیّأت للعالم فرصه فریده للاطلاع الواسع بما یحیط به.

۱- (۱)) الکهف: ۱.

من هنا دعت الحاجه إلی وضع مناهج للبحث والتحقیق، واستخلاص النتائج الصحیحه فی کلّ علم من علوم الشریعه: فی التوحید، والفقه، والأصول، والفلسفه، والکلام، والحدیث، والرجال، والتاریخ، والأخلاق والنفس، والاجتماع، وغیرها؛ لتوقّف سعاده الإنسان علیها فی الدنیا والآخره؛ ولتحقیق الغرض العبادی الذی خُلق الإنسان من أجله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ .(۱)

فقامت فی الحوزه العلمیه حرکه علمیه کبری بتوجیه من قائد الجمهوریه الإسلامیه الإمام الخامنئی (دام ظلّه) وجهود الفقهاء والعلماء والمفکّرین، والعمل الجاد وبذل غایه الوسع، من أجْل بناء صرح علمی دینی رصین، وصیاغه مناهج جدیده تُعنی بعلوم الشریعه، وعموم حقول المعرفه الإسلامیه والإنسانیه.

وأخذت جامعه المصطفی (صلی الله علیه و آله) العالمیه علی عاتقها المساهمه الفعّاله فی صیاغه کثیر من المناهج الدراسیه، التی تنسجم مع تصاعد الحرکه العلمیه والثقافیه الحدیثه.

فأسست (مرکز المصطفی العالمی للترجمه والنشر) لینهض بنشر هذه الآثار العلمیه وتقدیمها لطلاب العلم وروّاد المعرفه.

نأمل أن تأخذ هذه الآثار مکانها فی المکتبه الإسلامیه، وتلقی جمیل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضیله؛ بأن یرسلوا إلیها بما یستدرکون علیها من نقص، أو خطأٍ یفوّت جهد المحقّق الحصیف، والمؤلّف الحریص.

والکتاب الذی بین یدی القارئ الکریم، تقدّم مرکز أبحاث الحوزه والجامعه، و قام بترجمته إلی العربیه الأستاذ السید حسن علی الهاشمی جاء متّسقاً مع أهداف الجامعه، ومفرده من مفردات مناهجها الدراسیه المترامیه الأطراف.

۱- (۱)) الذاریات: ۵۶.

يتقـدّم (مركز المصـطفى (صـلى الله عليه و آله) العـالمى للـترجمه والنشـر) بوافر الشـكر لمترجمه الكريم على مـا بـذله من جهد وعنايه، ولكلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب، وتقديمه للقرّاء الكرام.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد وهو من وراء القصد.

مركز المصطفى (صلى الله عليه و آله) العالمى

للترجمه والنشر

ص:٧

الفهرس

المقدّمه ۱۳

القسم الأول: مفهوم الهدف والتبويب وماهيّه الهدف الغائى فى المنظور الإسلامى

الفصل الأول: مفهوم الهدف وملاك تحديده ۱۹

مفهوم الهدف والمفردات المرادفه له ۱۹

مفهوم الهدف فى التربيه والتعليم ۲۱

الأهداف المناسبه للاختيار ۲۴

هدفيه العالم من منظور القرآن والعقل ۲۶

هدف حياه الإنسان من منظور القرآن ۲۷

أسس تحديد أهداف التربيه والتعليم ۲۸

۱. الأسس العلميه ۲۹

۲. الأسس الفلسفيه ۳۰

۳. الأسس الدينيه ۴۰

الفصل الثانى: تبويب أهداف التربيه والتعليم ۴۱

مفهوم تبويب الأهداف التربويه من الزاويه الدينيه والعلميه ۴۱

العلاقه بين تبويب الأهداف التربويه من الزاويه الدينيه والزاويه العلميه ۴۴

تبويب الأهداف التربويه من زاويه العلوم التربويه ۴۶

۱. المساحه المعرفيه ۴۷

۲. المساحه العاطفيه ۴۹

٣. المساحه النفسيه – الحركيه ٥١

تبويب الأهداف التربويه من زاويه الإسلام ٥٣

الفصل الثالث: الهدف الغائى وخصائصه ٥٧

مفهوم الهدف الغائى من الزاويه الدينيه وخصائصه ٥٧

الهدف الغائى من وجهه نظر الإسلام ٦٢

بحث خاص ٦٦

القسم الثانى: الأهداف العامّه (الوسيطه)

بحث خاص ٧٢

الفصل الأول: الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بخالقه ٧٥

معرفه الله ٧٥

الإيمان ٧٧

الآثار التربويه للإيمان ٧٩

التقوى ٨٣

١. التقوى هدف وسيط ٨٥

٢. اختلاف التقوى عن الإيمان ٨٦

٣. التقوى وسيله للوصول إلى المراحل العليا ٨٨

٤. الآثار التربويه للتقوى ٩٠

العباده ٩٦

١. العباده هدف وسيط ٩٨

٢. ارتباط العباده بالهدف النهائى ٩٨

٣. الآثار التربويه للعباده ٩٩

الشكر ١٠٥

١. مفهوم وماهيه أداء حقِّ الله ١٠٦

٢. بحث خاص ١٠٨

٣. الأسس الحاكمه على الشكر فى القرآن الكريم ١٠٩

۴. الشكر واختلافه عن سائر الأهداف الوسيطه الأخرى ١١٠

۵. الآثار التربويه المترتبه على الشكر ١١٣

الفصل الثانى: الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بنفسه ١١٧

الأبعاد المختصّه بالإنسان ١١٩

أ) الأهداف المعرفيه ۱۱۹

۱. تنميه قوه العقل ۱۲۰

۲. بحث خاصّ ۱۳۰

۳. تحصيل العلوم والمعارف ۱۴۷

۴. السموّ الفكرى ۱۶۸

۵. معرفه النفس ۱۷۲

معرفه النفس مقدمه إلى معرفه الله: ۱۷۵

ب) الأهداف الإنتمائيه ۱۸۴

۱. تنميه المطالبه بالحقيقه ۱۸۶

۲. تنميه النزعه إلى البحث عن الله ۱۸۸

۳. تنميه النزعه إلى اكتساب الفضيله ۱۹۲

۴. تنميه النزعه والميل إلى الخلود ۱۹۸

۵. تنميه النزعه إلى اكتساب الكمال ۲۰۲

۶. تنميه النزعه إلى الحياه الاجتماعيه ۲۰۶

۷. تنميه النزعه والميل إلى الدفاع ۲۱۵

۸. تنميه النزعه إلى الجمال ۲۲۰

۹. هدايه وتوجيه النزعه إلى التملّك ۲۲۳

ج) تعزيز الإراده: ۲۳۲

الأبعاد المشتركه بين الإنسان والحيوان ۲۴۰

۱. هدايه وتعديل الميول المشتركه ۲۴۰

٢. بحث خاصّ ٢٤٢

أ) هدايه وتعديل إشباع الجوع والعطش ٢٤٨

ب) هدايه وتوجيه النزعه إلى النوم ٢٥٤

ج) توجيه وهدايه الرغبه الجنسيه: ٢٥٥

٣. أهداف الإسلام التربويه فى خصوص جسم الإنسان ٢٦٠

الفصل الثالث: أهداف الإسلام التربويه فى خصوص علاقه الإنسان بالآخرين ٢٦٣

أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعيه: ٢٦٥

١. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالنبىّ والأئمه وخلفائهم ٢٦٥

٢. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالمعلِّم أو المتعلِّم ٢٦٦

مسؤوليات المعلِّم تجاه المتعلِّمين ٢٦٦

٣. الأهداف التربويه فيما يتعلّق بالارتباط بالوالدين: ٢٧٠

أ) إحترام الوالدين ٢٧٣

ب) الاعتراف بحقّ الوالدين ۲۷۵

۴. الأهداف التربويه فيما يرتبط بالعلاقه الزوجيه ۲۷۷

أ) تلبيه الاحتياجات الروحيه: ۲۷۸

ب) تلبيه الاحتياجات الماديه: ۲۸۰

۵. الأهداف التربويه فيما يرتبط بالعلاقه مع الولد ۲۸۱

أ) تجنب الإفراط والتفريط فى تربيه الأولاد ۲۸۲

ب) مسؤوليه الوالدين تجاه الأولاد ۲۸۴

۶. الأهداف التربويه بشأن علاقه المؤمنين ببعضهم ۲۸۹

۷. الأهداف التربويه فيما يتعلق بعلاقه المؤمن بعامه الناس ۲۹۳

الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصاديه ۲۹۷

۱. أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالإنتاج ۲۹۹

۲. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالتوزيع ۳۰۲

۳. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالاستهلاک ۳۰۳

أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بالعلاقات السياسيه ۳۰۴

۱. السعى إلى تحصيل القدره السياسيه ۳۰۵

۲. ممارسه السلطه من أجل تحقيق الأهداف الإسلاميه المتعاليه ۳۰۶

أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الثقافيه ۳۱۰

الفصل الرابع: أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بعلاقه الإنسان بالطبيعه ۳۱۳

معرفه الطبيعه ۳۱۴

توظيف الطبيعه بشكل صحيح ۳۱۶

المقدّمه

اسم ترک إنّ الکتاب الذی بین أیدیکم هو الجزء الثانی من سلسله مدخل إلی التعلیم والتربیه الإسلامیه، ویتضمن الطرح العام ل - (أهـداف التربیه الإسـلامیه) والأبحاث المرتبطه بها. وقـد تمّ إعـداد هذا المشـروع علی أساس الدراسات الشامله التی قامت بها هیئه العلوم التربویه فی لجنه التنسـیق بین الحوزه العلمیه والجـامعه. وقـد اشـتمل الجزء الأول من هـذا الکتاب علی تعریف التربیه والتعلیم، والمسار التاریخی لها، وموضوعها. وفی هذا الجزء سنتناول بحث الأهداف التربویه.

ومن الضروری - قبل کل شیء - أن نشرح باختصار بعض المسائل الموجوده فی هذا الکتاب:

۱. لم یکن المنظور فی هـذا الکتاب هو تنظیم وتبویب الأهداف طبقاً للمفهوم الخاص المتّبع فی العلوم التربویه، بل إننا نظرنا إلی هذه الأهداف من زاویه الرؤیه الإسلامیه.

۲. لقـد رأینا أن نطرح العدید من الآراء، وبعد البحوث المطوله والدقیقه تمّ إعداد الطرح الفعلی لهذا الکتاب. وفی هذا الطرح تمّ تقسیم الأهداف إلی

مجموعتین، هما: الأهداف الغائیه، والأهداف العامه. وقد کان بحث الأهداف العامه ضمن أربع مقولات، وهی:

علاقه الإنسان بخالقه، وعلاقه الإنسان بنفسه، وعلاقه الإنسان بالآخرین، وعلاقه الإنسان بالطبیعه. فی هذا التبویب وقد اتبعنا فی هذا التبویب منهج السید الشهید محمدباقر الصدر فی کتابه الفتاوی الواضحه، وکذالک منهج الأستاذ الشیخ محمد تقی مصباح الیزدی فی بحوثه الأخلاقیه. وبطبیعه الحال کان هناک فی جمیع المناهج المقدمه - بما فی ذلک منهج هذا الکتاب - بعض التداخلات، بید أننا وجدنا هذا المنهج فی نهایه المطاف أفضل من غیره من حیث الجامعیه والشمولیه والوضوح والمتانه والبساطه.

۳. تمّ تقسیم جمیع أبحاث هذا االکتاب إلی قسمین عامین: ففی القسم الأول بحثنا مفهوم الهدف، وتبویبه، والملاکات فی تحدید الأهداف، ونوع تبویبها من خلال دراسه تحلیلیه، وفی الختام تم بحث الأهداف الغائیه من وجهه نظر الإسلام. وفی القسم الثانی قُمنا - علی أماست الاعتماد علی المبانی - والمصادر الدینیه - بتقسیمات فرعیه بغیه استنباط الأهداف واستخراجها منها.

۴. إن میزه التحقیق الذی أنجزته الهیئه الآنفه الذکر والتی تمّ تلخیصها فی هذا الکتاب، تکمن فی الأمور الآتیه:

أولاً: إنّ تنظیم أهداف التربیه الإسلامیه بهذه الجامعیه والشمولیه یعد الخطوه الأولی فی هذا المجال.

ثانیاً: لقد کان الاستناد - فی جمیع الأبحاث - إلی المصادر الإسلامیه الموثوقه والمعتبره، بالإضافه إلی الآیات القرآنیه والروایات.

ثالثاً: لقد تمّ إنجاز هذا التحقیق بشکل جماعی وبمشارکه أساتذه الحوزه العلمیه والجامعه.

٥. لقد أحجمنا - فى هذا الكتاب - عن الخوض فى البحوث المقارنه بالأفكار والمدارس الأخرى، مكتفين بالآيات القرآنيه والروايات باعتبارها هى المصدر الرئيس.

٦. من الممكن أن يكون هذا الكتاب مصدراً للطلاب فى مرحله البكلوريوس والماجستير والدكتوراه، بخاصهٍ فى حقل الفلسفه، وتاريخ التربيه والتعليم والتربيه الإسلاميه، كما يمكن لغير هؤلاء - بطبيعه الحال - من الباحثين فى حقل التربيه والتعليم الإسلامى أن يستفيدوا من هذا الكتاب أيضاً.

وفى الختام نرى من الواجب علينا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير لسماحه الدكتور على محمد كاردان على مراجعته بحوث هذا الكتاب، وحضوره فى اجتماعات الهيئه العلميه، وما تفضّل به من مقترحات نافعه، وكذلك نتقدم بجزيل شكرنا إلى الأخ الفاضل سماحه السيد شهاب الدين مشايخى الذى قام بتقويم النص من خلال إعاده قراءته وكتابته وتنقيح محتواه، وكذلك نتقدم بالشكر الجزيل لكل الإخوه المسؤولين الكرام فى مكتب التعاون والتنسيق ومنظمه (سمت). ونتمنى من الإخوه الباحثين والمحققين أن لا يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم القيّمه.

هيئه العلوم التربويه

ص:١٥

القسم الأول: مفهوم الهدف والتبويب وماهيّه الهدف الغائی فی المنظور الإسلامی

اشاره

ص:۱۷

الفصل الأول: مفهوم الهدف وملاک تحدیده

مفهوم الهدف والمفردات المرادفه له

یتضح من خلال التدبّر فی المعانی اللغویه لکلمات من قبیل: الهدف والقصد، والغایه، أنّها تشتمل بأجمعها علی مفهوم (إتمام العمل وإنجازه). مع فارق أنّ الغایه النهائیه تاره تتعلّق بأمر خارجی من قبیل الهدف فی الرمایه أو المقصد الذی یرید المسافر بلوغه، وهو الذی یسمی ب - (الهدف) و (الغایه)، وتاره یکون أمراً ذهنیا أو وجدانیاً من قبیل: الشعور باللذه والمتعه عند شمّ الریاحین، وهو الذی یسمی: بالقصد والغرض والدافع والشوق(۱).

أ) معنی الهدف لغه: مرمی السهم، وکلّ شیء مرتفع ومُشرع.

ب) معنی الغرض لغه: الشوق والدافع والإراده، ومرمی السهم.

ج) معنی القصد لغه: الاعتدال، وإراده القیام بفعل، والتعمد والعمد، والطریق الصحیح والمستقیم.

د) معنی الغایه لغه: إتمام العمل وإنجازه، والهدف والغرض، والمقصود، والرایه.

۱- (۱)) وبطبیعه الحال فإنّ الهدف والغایه کلمتان تستعملان أیضاً للدلاله علی معنی الدافع والقصد أیضاً، کما یستعمل القصد والغرض فی معنی الهدف الخارجی أیضاً.

إنّ المعانی المشترکه بین مفرده ال -: (intention) ، و (purpose) ، و (goal) ، و (objective) ، و (aim) ، عباره عن الهدف والمقصود والنقطه والنهائیه التی یبلغها السهم، أو الشیء الذی یروم الإنسان أن یبلغه من وراء سعیه ومجهوده. وربّما أمکن القول إنّ لفظ (الهدف) قد استعمل أول الأمر لمرمی السهم، ثمّ - بالالتفات إلی أنّ (مرمی السهم) یکون ملازماً لوضعه فی مکان مرتفع ومشرع - شاع استعماله فی هذا المعنی بشکل عام. ومن ناحیه اخری حیث یُؤخذ المرمی بنظر الاعتبار والاهتمام أولاً ثمّ یصار إلی رمی السهم وإصابته لذلک الهدف، فقد استعمل هذا المصطلح فی مفهوم (النهایه)، و (إتمام العمل)، و (الغرض)، و (الدافع من وراء الفعل). کما أن مفرده الغرض والغایه تشتمل علی هذه المعانی أیضاً، وعلیه فهناک من الناحیه اللغویه نوع من الترادف بین هذه المفردات.

هذا وقد ذکر بعض المحققین أربعه معانی لمفرده (الهدف)(۱).

۱. السلوک الوظیفی: عندما یقال: (إنّ الغایه من مهاز الکلیه، هی تصفیه الدم) لا تکون هناک إشاره صریحه إلی عنصر هادف، ولذلک یمکن استبدال کلمه الغایه بکلمه وظیفه. إنّ المفاهیم الوظیفیه تلفت انتباه الفرد إلی سهم عضو أو تیار ضمن نشاط أو مجموعه کامله.

۲. سلوک التنظیم التلقائی: تصوروا منظومه للسیطره یتمّ فیها ترمیم کل نوع من الجنوح عن شرائط الجوده من خلال آلیه ترمیمیه تعمل بشکل تلقائی. من قبیل: أنظمه تعدیل مقیاس حراره الجسم بواسطه قیاس دفق الدم - وهو من أنظمه التعدیل الحیوی فی جسم الإنسان - أو نظام التوجیه الصاروخی الذی یبحث عن الهدف بتوجیه من جهاز الرادار أو الأشعه ما دون الحمراء. ففی هذه المنظومات یکون السلوک الغائی سلوکاً تتم السیطره علیه بواسطه التآکل السلبی الناشئ من الاختلال فی النظام.

۱- (۱)) العلم والدین، باربر، إیان: ۳۷۱.

۳. السلوک الموجّه نحو الهدف: یمکن تعریف هذا السلوک بأنّه (الخضوع للهدف فی ظروف مختلفه). إنّ هذا النوع من السلوک لیس میکانیکیاً لا یقبل المرونه، بل هناک مرونه عالیه فی اختیار أنواع الأعمال من أجل الوصول إلی الهدف، من قبیل سلوک الهره عند محاوله إمساکها بالفأره حیث ترکز انتباهها علی هدف خاص، وتحدد الطرق الممکنه للوصول إلی غایتها ومبتغاها.

۴. السلوک الهادف: تستعمل مفرده الهادف فی موضع یکون فیه شوق وقصد وعقیده تجاه هدفٍ ما. من قبیل سلوک الفرد تحت تأثیر الأهداف الواعیه.. جدیر ذکره أنّ الناس - بما یتناسب وأهدافهم المستقبلیه والحماسه التی یبدونها من أجل تحقیقها - یعملون بالشکل الذی یرونه هو الأفضل من أجل الوصول إلی أهدافهم.

المفهوم الفلسفی للغایه. تستعمل الغایه فی الفلسفه فی معنیین(۱):

أ) النتیجه والغایه حیثُ یقوم الفاعل المدرک بالفعل من أجل الوصول إلیها، وتصوّر تلک النقطه الأخیره التی تسوق الفرد نحو الهدف. ومن الزاویه الفلسفیه تکون للغایه بهذا المعنی ثلاث خصائص، وهی: التصور السابق فی الذهن، والتصدیق بفائدته، واقترانه بنوع من الشوق والرغبه.

ب) الغایه بمعنی النتیجه والنهایه التی تحصل بعد تحقق الحرکه.

مفهوم الهدف فی التربیه والتعلیم

إنّ الهدف فی التربیه والتعلیم یعنی الواقع النهائی والمناسب الذی تمّ اعتباره نافعاً بشکل واعٍ، ویتم القیام بأنشطه تربویه مناسبه من أجل تحقیقه

۱- (۱)) لمزید من الاطلاع انظر: الأسفار الأربعه، الشیرازی: ۲۵۱/۱؛ صدر الدین، شرح المنظومه، السبزواری: ۱۲۴؛ الشفاء، ابن سینا: ۴۴۸؛ آموزش فلسفه، مصباح الیزدی: ۹۹/۲.

والقيام به. وعلى هذا الأساس فإن الأهداف التربويه تحتوى على ثلاث آليات، وهى: قياده الأنشطه التربويه، وخلق الحافز والدافع لدى الفرد، وتقديم المعيار الناجع فى تقييم الأنشطه التربويه. وأنّ الخصوصيه المشتركه فى جميع الأهداف التربويه (الأهداف الغائيه، والأهداف العامه، والأهداف الخاصه والسلوكيه)، هى أنّ هذه الأهداف نتيجه نشاط واحد أو العديد من الأنشطه التربويه.(۱)

خصائص الهدف. بالالتفات إلى ما تقدّم من مفهوم الهدف، فإنّ أهم خصائصه عباره عن:

۱. الاختيار: حيث يتمّ القيام بالأفعال الاختياريه عن وعى وإراده، يكون هناك نوع من التكّهن والانتخاب فى جميعها، بمعنى أنّ ماهيه الهدف تستلزم جزأى الوعى والإراده. إذن، لا يكون للهدف من معنى إلّا فى دائره الأفعال الاختياريه التى تتم بوعى وإراده، وأمّا خارج هذه الدائره حيث لا تكون الأفعال عن وعى ولا تكون مسبوقه بالإراده فإنها ليست ذات معنى.

۲. الدافع: حيث إنّ الحصول على الأهداف يضمن الحاجه النفسيه وغيرها من حاجات الفرد، فإنّه يسير باتجاه الهدف عن شوق ورغبه. وعليه فإن من بين أهم خصائص الهدف إيجاد الدافع لدى الفرد.

۳. تحديد المسار: لا شكّ فى أنّه لا يمكن بلوغ الهدف من خلال سلوك أى طريق أو منهج، بل من الضرورى لبلوغ الأهداف من رسم مخطط ونظام مدروس. وعلى هذا الأساس لا بد - للوصول إلى الهدف - من وجود آليّه من قبيل: الإداره والأنظمه وتحديد المسار.

العمل التربوى، والنشاط الاختيارى: هل يعتبر كلّ نشاط يحتوى على

۱- (۱)) لمزيد من الاطلاع انظر: مبانى وأصول آموزش وبرورش، شكوهى: ۱۱۵؛ اصول آموزش وبرورش، هشيار: ۱۲؛ فلسفه التربيه والتعليم، سمث: ۷۴.

تـأثير تربوى، عملاً ـ تربويـاً؟ ومـا هو الركن الرئيس فى النشـاط التربوى؟ للإجابه عن هـذين السؤالين يجب أولاً تعريف (النشاط التربوى) وبيـان المراد منه. إن المراد من التربيه والنشـاط التربوى فى إطار نظام التربيه والتعليم مسار تشـكّل الأنظمه ركنه الرئيس بغيه الوصول إلى هـدف تربوى. وطبقـاً لهـذا التعريف يمكن لنـا أن نعتبر النشـاط التربوى عملاً هادفاً، والقول: إنّ عناصـر الوعى والإـراده دخيله فيه. إن بالإمكـان التكهن بتـأثير النشـاط التربوى، وكما يمكن تحديـده وبيانه على أساس خصائص الهـدف (من الاختيـار والـدافع والمسـار). لو أنّ نشاطـاً ترك أثراً تربوياً دون أن يكون له تخطيط أو قصـد سابق، لا يمكن عـدّه نشاطاً تربوياً. وتوضـيح ذلـك إنّ بعض الأنشـطه والأفكـار الـتى يمارسـها النـاس من قبيـل (الآـداب والتقاليـد، والصـحافه، ومشاهـده الأنشـطه التلفزيونيه وغيرهـا) والعوامـل الطبيعيه من قبيـل (هطول الأمطـار والثلوج، وحـدوث الزلازل والطوفان، وما إلى ذلك) قـد تترك تـأثيراً تربويـاً، فى حين أنّه لم يتم التخطيـط لهـا، ولم تكن هـادفه، ولم يتم اعتبارها نشاطاً تربوياً. وعليه فإن المهم فى البين هو ما كان له هدف تربوى. فإنّ النشاط الخالى من القصد التربوى حتى إذا كان مشتملاً على تأثير تربوى، لا يكون (نشاطاً تربوياً).

ضروره تحديـد الهـدف: هـل يمكن القيام بأمر دون الأخـذ بنظر الاعتبار هـدفاً محـدداً؟ يجب القول فى معرض الإجابه عن هـذا السؤال: من وجهه النظر الفلسـفيه والنفسـيه إذا لم يكن لـدى الإنسـان حـافز للقيـام بعمل، فإنّه لن يقوم باتخاذ أىّ خطوه فى هـذا الاتجـاه. بحسب المصـطلح الفلسـفى تسـمى نتيجه العمـل (غايه)، كما يسـمى الـدافع والحافز المسـبوق بالوعى والإدراك لنتيجه ذلك ب – (العله الغائيه). وأنّ دور العله الغائيه فى التحليل الفلسـفى يكمن فى خلق نوع من الشوق والرغبه الذاتيه للقيام بفعل أو تركه. ففى علم النفس نجد أحد الأبحاث الهامه يتلّخص فى بحث الحافز والدافع. يرى علماء النفس

أنّ أنواع السلوك التى تصدر عن الإنسان، ومن بينها: التعلّم؛ والإدراك والاستذكار، والتفكير، والإبداع، والحماسه، تحصل بتأثير من الحافز والدافع، وقد ذهبوا إلى الاعتقاد بأنّ الدافع يعمل على توجيه سلوك الإنسان، ويؤدّى به إلى الانتباه إلى الهدف من النشاط المنشود ومواصله نشاطه. وطبقاً للتحليلات الفلسفيه ودراسات علم النفس، فإن تحديد الهدف وتعيينه الدقيق تترتب عليه نتائج وآثار هامه على صعيد التربيه والتعليم، ومن بينها النتائج الآتيه:

١. معرفه الأساليب وإعداد الأدوات والوسائل المناسبه لرفع الموانع.

٢. التنسيق بين أنشطه مختلف العاملين فى الحقول التربويه من قبيل: المعلمين والمدرسين، والمخططين، وواضعى المناهج الدراسيه، ومدراء التربيه والتعليم.

٣. خلق الحافز والدافع إلى مزيد من الحركه بغيه الوصول إلى القصد والغايه.

۴. الحصول على معيار لقياس مدى نجاح النشاط التربوى وسعى النظام التعليمى، ولرفع النواقص وإعاده النظر فيها أحياناً.

الأهداف المناسبه للاختيار

إنّ أهميه الأهداف فى استثمار الأنشطه التربويه تحتّم علينا أن نستفيد من معايير محدده من أجل الاختيار المناسب. وإنّ أهم هذه المعايير لفى:

١. أن تكون الأهداف التربويه متناسبه و (الكمال النهائى) للإنسان الذى هو من أهم الأهداف فى حياته، بمعنى أنّ كلّ هدف يجب – فى النهايه – أن يؤثر فى تحقق الكمال النهائى للإنسان، وأن لا يكون مخالفاً له أبداً. من هنا يجدر أن تقوم علاقه وثيقه ومحكمه بين الأهداف التربويه الجزئيه والهدف النهائى والأخير.

٢. أنّ الهدف التربوى إنّما يكون جديراً بالانتخاب إذا كان – فى حدود الإمكان وبشكل معقول – مؤثّراً فى ضمان الحاجات المتنوّعه (الداخليه والخارجيه، والفرديه والاجتماعيه) للفرد، أو لا يكون له – فى الحدّ الأدنى –

تأثير سلبى على شؤون الحياه إثر الاهتمام بشؤون الحياه الأخرى.

۳. أنّ من بين معـايير تقييم الأهـداف التربويه، هو إمكـان الوصول إليها وحيويتها. أنّ الالتفات إلى الحاجات الراهنه والمسـتقبليه للفرد والمجتمع ومقتضيات الزمان والمكان والأخذ بنظر الاعتبار الخلفيات الخارجيه وتحديد الموانع والمشاكل يمكنه أن يكون مؤثّراً فى تحديد إمكانيه الوصول إلى الأهداف وحيويتها.

إنّ ما تم طرحه فى معيار اختيار الأهداف، على الرغم من عدم قابليه إحرازه من خلال العقل البشرى بشكل كامل، إلّا أنّ توظيف مصدر الوحى والدين يمكنه أن يلقى ضوءاً أمام العقل ليغدو بإمكانه النظر إلى الإنسان ببصـيره ورؤيه أوسع وأعمق، وعلى ضوء هذا المصدر يتمّ توظيف المعطيات العقليه فى دراسه المسائل الجزئيه وتطبيقها على الأهداف الإنسانيه الساميه.

تطبيق أهداف التربيه والتعليم على هدف الحياه:

ما هى العلاقه بين أهـداف الحياه وبين أهـداف التربيه والتعليم؟ إنّ هدف الحياه هو إقامه التناغم والانسـجام بين سـلوك الإنسان وبين بنيته الوجـوديه. وإنّ هـذه البنيه تشـتمل على عناصـر فطريه. وإن عـدم مراعـاه الأـطر الفطريه للإنسـان بمنزله الاـنحراف عن المسـار الفطرى لحياته. إن الإنسان من خلال اتخاذ التـدابير الضـروريه فى نظام التربيه والتعليم، وبالالتفات إلى المتغيرات الزمانيه والمكانيه وغير ذلك من مقتضـيات الحياه اليوميه، يسـعى إلى المسير على هـذا النهج الفطرى، ويعمد إلى تنظيم برامجه التربويه لتكون منسـجمه مع ذلك النهج. وعليه يمكن القول: هناك نوع من العلاقه الوثيقه بين هدف الحياه وبين أهداف التربيه والتعليم فى النظام التعليمى. بمعنى أنّ الهـدف الغائى فى التربيه والتعليم هو ذات هدف الحياه، وإن الانحراف عنها يؤدى بالفرد إلى عدم بلوغ

مقتضياته الفطريه، وأن لا يحصل على نصيبه من التربيه والتعليم الصحيح.

هدفیه العالم من منظور القرآن والعقل

اتفقت کلمه جمیع المتکلمین والفلاسفه المتألهین علی وجود غایه وهدف لعالم الوجود. حیث آمنوا بالأصل القائل إنّ للوجود هدفاً وغایه محدده، ورأوا أن النظم الحاکمه فی الطبیعه دلیل علی وجود ناظم قادر وعالم(۱). إن هدفیه الوجود تعنی أن للوجود وظیفه محدده ومساراً قد تمّ تعیینه مسبقاً، وقد رسمه الله لجمیع أجزائه، أی أن الوجود فی ذاته یحتوی علی غایه، وقد خلق بحیث یقوم بوظائفه المحدده له، وأن یسیر باتجاه الغایه التی رسمت له.(۲)

وهناک فی القرآن الکریم آیات متعدده تصرح بمختلف التعابیر علی وجود هدف من وراء هذا الوجود، من قبیل:

۱. منح الکمال الوجودی لکل شیء وهدایته نحو الکمال، قال تعالی: رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی .(۳)

۲. هدایه الکائنات إلی المصیر الذی رسم لها، والغایه التی قدرت لها،

قال تعالی: اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّی * وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدی .(۴)

۱- (۱)) إن من بین الأدله المحکمه القائمه علی وجود النظم فی الوجود، استنباط القوانین من الروابط القائمه بین أجزاء الوجود، والقدره علی التنبّؤ بالحوادث والوقائع علی أساس هذه القوانین.

۲- (۲)) إن المفهوم الصحیح لهدفیه الحیاه هو أن جمیع الفواعل الطبیعیه إنّما هی فواعل مسخّره، وإن فوق فاعلیتها فاعلیه المبادئ العالیه، وفوقها بأجمعها فاعلیه الله تعالی، وبذلک یکون لکل الحوادث هدف وعله غائیه، ولکن لا فی داخل الطبیعه، بل فی ذات الفواعل ما فوق الطبیعیه، وإن ما یتحقق فی عالم الطبیعه هی غایات الحرکات ولیس العلل الغائیه (آموزش فلسفه: ۱۱۴/۲).ولمزید من الاطلاع انظر: کلیات الفلسفه؛ بابکین، ریتشارد هنری، وآروم استرول، الأسفار الأربعه: ۲۷۷/۲.

۳- (۳)) طه: ۵۰.

۴- (۴)) الأعلی: ۲-۳.

۳. نفی العبثیه فی الخلق، والتأکید علی أن عملیه الخلق قامت علی الحق(۱) ، قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ .(۲)

۴. والأهم من ذلک وصف (الصنع الإلهی) ب - (الحکمه)، وهذه الصفه تقتضی أن یکون الوجود هادفاً، قال تعالی: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی * اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّی * وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدی۳ .

هدف حیاه الإنسان من منظور القرآن

إن توظیف لغه الوحی فی معرفه الهدف الکامن وراء حیاه الإنسان، یضع أمامنا افقاً أوسع مما نتصوّر؛ لأنّ معرفه خصائص الإنسان کما یجب، لا تدخل إلّا فی قدره الخالق تعالی. إنّ القرآن عندما یتحدّث عن الهدف من خلق الإنسان ومسار حرکته، یعتبره کائناً روحانیاً، ویعمد إلی رسم مسیرته فی الحیاه علی أساس من هذه الحقیقه. وإنّ تقسیم حیاه الإنسان إلی مرحله الحیاه الدنیا، ومرحله الحیاه الآخره یحکی عن هذه الرؤیه، و أنّ علی الإنسان أن ینتقل إلی مساحه أوسع من مساحه الحیاه الدنیا، کی لا تکون معجزه الخلق أمراً عبثیاً. قال تعالی فی محکم کتابه الکریم: أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنا لا تُرْجَعُونَ۴ . إذاً، فالأحری أن یرکز الإنسان انتباهه فی هذه الحیاه الدنیا علی الجانب الأبدی من الحیاه، ألا وهو الحیاه الأخرویه، ومن هنا نجد الله تعالی یقول: وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی .(۳) ویمکن أن یأتی إثراء القوی الفکریه والحصول علی التربیه والتعلیم الصحیحین، وکذلک توظیف

۱- (۱)) ص: ۲۷؛ الدخان: ۳۸؛ الأنعام: ۷۳؛ الجاثیه: ۲۲؛ الأحقاف: ۴.

۲- (۲)) الأنعام: ۷۳.

۳- (۵)) الضحی: ۴.

النعم الموجوده فی هذه الحیاه الدنیویه فی إطار الالتفات إلی الحیاه الأبدیه وتنظیمها علی هذا الأساس.

من وجهه نظر القرآن فإنّ الإنسان السعید هو ذلک الذی یسعی إلی الاقتراب من الله ویعبده حق عبادته، قال تعالی: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ۱ . وبطبیعه الحال فإن عباده الله لا- تعنی نفی الاستفاده من نعم الدنیا، وإنما تعنی أن علی جمیع المظاهر والقوی الفکریه والطاقات الکامنه فی وجود الإنسان أن تنظر إلی هدف واحد وهو الله سبحانه وتعالی، وفی ذلک یقول الله تعالی: إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ۲ . وقال الله سبحانه وتعالی أیضاً: قُلْ إِنَّ صَلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ۳ . وطبقاً للمصطلح القرآنی فإنّ الإنسان الکامل، هو ذلک الذی یحصل علی القرب الإلهی، ومن هنا فإن الهدف من الحیاه من وجهه نظر القرآن هو العبودیه، وبالتالی القرب من الله(۱).

أسس تحدید أهداف التربیه والتعلیم

اشاره

إنّ من المسائل الهامه فی البرامج التربویه تعیین الأهداف فی الحقل التربوی. وإن الالتفات إلی حاجه الإنسان - الذی هو موضوع التربیه - یشکل علی الدوام مصدراً هاماً، بل مصدراً وحیداً لاختیار الأهداف التربویه. وإن المصادر المؤثره فی معرفه هذه الاحتیاجات علی ثلاث طوائف، وهی: العلم والفلسفه، والدین. وأنّ کل واحد من هذه المصادر الثلاثه یمکنه أن یکون

۱- (۴)) لمزید من الاطلاع راجع: مرتضی، هدف زندکی، المطهری؛ معارف قرآن، مصباح یزدی؛ فلسفه وهدف زندکی، الجعفری.

أساساً لاختيار الأهداف التربويه ورفع الاحتياجات الإنسانيه. وبالطبع فإن التعرف على الطاقات الإنسانيه وجميع شؤون الإنسان الوجوديه تستلزم توظيف هذه المصادر الثلاثه بأجمعها، وأن التمسّك بواحد منها لا يكفى لتلبيه جميع الاحتياجات الإنسانيه. ومن هنا فإن استحكام الأسس التربويه إنّما يحصل من خلال الالتفات إلى جميع النواحى الوجوديه لدى الإنسان، والاستفاده مِمّا جاء فى المصادر الثلاثه بما يتناسب ورفع حاجاته وبيان الأهداف التربويه.

١. الأسس العلميه

كلما رسا الحديث حول الرجوع إلى الأسس العلميه فى تحديد الأهداف التربويه، طرح هذا التساؤل نفسه حيث يقال: ما هى احتياجات الإنسان، وأىّ منها يتكفّل العلم برفعه؟ إنّ العلم - بالنظر إلى رؤيته الخاصه فى كشف العلاقات الدقيقه بين جزئيات الأمور، - إنّما يستطيع الخوض فى مرتبه من مراتب الاحتياجات الإنسانيه التى تقع فى مستوى جزئى وأدنى من احتياجاته الأساسيه؛ لأنّ العلم - بلحاظ ماهيته - قد تمّ حصره ضمن نطاق وحدود التجربه الماديه، وإنّ مسائل من قبيل: الوجود، والقيَم، والإنسان والمعرفه، خارجه عن دائرته. فى حين أننا بحاجه إلى هذه المحاور فى تحديد الأهداف التربويه الغائيه من خلال التمسك بالفلسفه والدين. كما لا بد من الالتفات إلى أنّ ضمان وتلبيه الاحتياجات الأوليه من طريق المعطيات العلميه، وشرائط الارتقاء إلى المراتب العليا، ورفع الاحتياجات الأهم يأتى من خلال الاستعانه بالفلسفه والدين. ومن دون الاستفاده من المعطيات العلميه لا يمكن توفير الأرضيه اللازمه للوصول إلى الأهداف الناظره إلى الاحتياجات الفلسفيه والدينيه.

إنّ العلوم التى تقع مورداً للاستفاده المباشره فى العثور على الأهداف التربويه، هى العلوم التى تبحث فى حاجه الإنسان الجسديه والنفسيه، وتسعى إلى بيان الآليه الوجوديه للإنسان من خلال الالتفات إلى هاتين الناحيتين. من هنا فإن مختلف فروع علم النفس (ومن بينها علم النفس العام، والتنميه، والتعليم، والإدراك، والإثاره، والشخصيه، وعلم النفس الاجتماعى) وكذلك سائر العلوم الاجتماعيه من قبيل: علم الاجتماع (الشامل لمعرفه الآفات الاجتماعيه، وعلم الاجتماع التربوى والتعليمى وما إلى ذلك) يمكنها التأثير بشكل مباشر فى تحديد الأهداف التربويه.

٢. الأسس الفلسفيه

رغم ما للفلسفه من التعاريف المختلفه، وعلى الرغم من الفهم المختلف بشأنها، إلّا أنّها على كلّ حال تحتوى على خصيصه محدده، وهى أنّها تعمل على تحليل المسائل التى يتعذر إثباتها من طريق العلم والأدوات المخبريه والأساليب التجريبيه. إنّ المنهج الفلسفى أسلوب عقلى، وإن الفلاسفه يسعون على الدوام - من خلال الدراسات الانتقاديه الدقيقه - إلى تقييم عقائد البشر حول الكون بأسره وما عَيوب من أسرار بما فيه الإنسان نفسه، ومساعده الإنسان من خلال تقديم إطار محدد لهذه الأمور، ليكوّن إدراكاً صحيحاً عن العالم والإنسان، ولكى يسعى إلى تنظيم أفعاله وسلوكه.

لقد لعب الفلاسفه أهم الأدوار فى تأسيس المذاهب والمدارس التربويه. فقد سعوا - من خلال تقديم نظام محدد مستوحى من طريقه تفكيرهم حول العالم والإنسان والمعرفه وغيرها، - إلى بيان الأفكار والآراء التربويه. وفى الحقيقه فإن جميع الذين أسهموا بنحو من الأنحاء فى تحديد المذاهب والأهداف التربويه، إما أنّ يكونوا أنفسهم من الفلاسفه، أو أن يكونوا أتباعاً

للفلسفه السائده على ثقافه عصرهم، وأنّهم كانوا بنحو من الأنحاء متأثرين بنوع من الآراء الفلسفيه فيما يتعلّق بالأفكار والأهداف التربويه. لقد ترك الفلاسفه بتدوين - الأهداف الفلسفيه وبسط الآراء التربويه - تأثيراً فى مسار التربيه، بحيث أننا اليوم نجد أنفسنا ملزمين بتبنّى بعض الأسس الفلسفيه من أجل اختيار الأهداف التربويه.

فما لم يتضح رأينا الفلسفى بشأن مفاهيم من قبيل: الكون والطبيعه والإنسان والمعرفه والقيَم وأمثال ذلك، لن يكون بإمكاننا أن نقيم مذهباً تربوياً، والبحث عن أهداف خاصه للتربيه. لأن معيار تحديد الهدف فى مستوى عام رهن بنوع رؤيتنا إلى هذه الأمور، وما لم نعمل على إيضاح هذه المسائل فإننا نبقى فى ضياع وتخبّط. إنّ دور الأفكار الفلسفيه الملحوظ فى تكوين الأهداف التربويه، من السعه بحيث نجد حتى أولئك الذين يبحثون عن الفلسفه ضمن أساليب وأُطر التحليل اللغوى، ولا يرون لها أى دور فى بسط وتقديم الحلول، يعملون على توظيف سلسله من الفرضيات العامه المسبقه فى دائره أفكارهم التربويه.

إنّ المسائل التى يجب على المتخصّص فى حقل التربيه والتعليم أن يدركها بشكل دقيق كيما يمكنه الخوض فى تحديد الأهداف، عباره عن: مسائل معرفه الكون والعوالم ذات الصله بالإنسان (الإنسان والمعرفه والقيَم). وعليه يمكن تلخيص الأسس الفلسفيه لتحديد الأهداف التربويه ضمن الأُطر الأربعه الآتيه:

أ) علم المعرفه: إنّ من بين الأبحاث المهمّه التى تتمّ دراستها طبقاً للمنهج الفلسفى، هو بحث علم المعرفه. فعلماء المعرفه وأغلب الفلاسفه - عند تناولهم هذا البحث - يعمدون إلى دراسه مسائله من خلال تقييمها ورصد مقدار صدقها ومدى مطابقتها للواقع. وإن من بين الأمور التى تخضع للدرس بشكل دقيق ضمن هذا الإطار هو السؤال القائل: هل هناك واقع وراء ذهن

الإنسان؟ وهل يمكن معرفه الواقع كما هو موجود خارج الذهن؟ وهل يمكن للأفراد أن ينقلوا تجاربهم الشخصيه إلى الاخرين؟ إنّ الإجابه عن هذه التساؤلات يفتح الطريق أمام حل أكثر المسائل التربويه؛ لأن التربيه والتعليم إنما يؤتيان ثمارهما ويُعطيان نتائجهما عندما يتمّ وضعهما على أرض صلبه وقرار مكين بعد حل مسائل علم المعرفه.

وقبل كلّ شيءٍ لا بدّ من الإجابه عن السؤال القائل: ما هو أساس المعرفه البشريه؟ وعلى ماذا تقوم هذه المعرفه؟ وهل يمكن ادّعاء امتلاك (الاعتقاد الصادق)؟ وبعد حلّ هذه المسائل يمكن لنا مباشره التعليم؛ لأنّ أهم ركن فى التربيه والتعليم، هو إدراك ونقل المفاهيم الناشئه عن الواقعيات الخارجيه. فمن باب المثال: إن الاختلاف فى الرؤيه المعرفيه بين المذهب (المثالى)(۱) والمذهب (الواقعى)(۲) ، ينعكس على نوع التدريس والتعليم. فالمثاليون يرون مكانه خاصّه وقيمه كبيره للعقل والذهن. وقد ذهب كل من إفلاطون وسقراط إلى الاعتقاد بأن المعرفه الحقيقيه لا تحصل إلّا من خلال العقل؛ لأنّ العقل قابليه ذهنيه حيث يمكن من خلاله الوصول إلى كنه الأشكال المعنويه الكامنه وراء الوجود المادى للأشياء. قال (هيجل) - بوصفه من المنتسبين إلى المذهب المثالى - إنّ المعرفه إنما تكون معتبره إلى حدّ ما إذا كانت تشكل نظاماً، وحيث إنّ الواقعيه الغائيه تشتمل على ناحيه عقليه منتظمه، فإن معرفتنا القائمه على الواقعيه ستكون معرفه حقيقيه بالحدّ الذى تستطيع معه أن تكون منتظمه. وأما (كانت) وأغلب المثاليين الجدد فيذهبون إلى الاعتقاد بأنّ أساس المعرفه هو تنظيم المعلومات التى يتمّ جمعها عبر الحواس. ومن جميع هذه الآراء يمكن لنا أن نستنبط أنّ للتلميذ فى هذه الرؤيه محوريه فى أمر

۱- ((۱)) . idealism.

۲- ((۲)) . realism.

التعليم والتدريس؛ لأنّ بيان سلسله من المعلومات - دون القيام بأى نشاط ذهنى بشأنها - لا يمكنه أن يضمن رأى المثالى فى حقل النشاط الذهنى والعقلى. من هنا فإنهم يعتبرون أن أفضل أنواع المعرفه هى تلك التى تنبثق عن التلميذ دون تلك التى يتم إقحامها فى ذهنه. وبعكس ذلك فى الرؤيه المعرفيه عند المذهب الواقعى، حيث لا يكون التأكيد على العقل والذهن وتأصيلهما، ولا يعدّ العالم الخارجى عالماً غير واقعى يحتاج إلى ترميم وخلق فى الذهن. من هنا فإنّ الواقعيين يرون أهميه كبيره للمعلومات الحاصله من خلال الحواس. فمن وجهه نظرهم أنّ القضيه إنّما تكون صادقه إذا تطابقت مع خصائص العالم التى تدل على صحه توصيفها، وأنّ المعرفه الصائبه هى المعرفه التى تنطبق على العالم كما هو. ومن وجهه نظر الواقعى أنّ أهم وظائف التعليم تكمن فى إظهار مجموعه مختاره من المعرفه التى تم تجميعها من قبل البشر، لتعرض على المتعلم. وعليه فإن الابتكار فى التربيه والتعليم يقع على عاتق المعلم أو الناقل للثقافه. والمعلم هو الذى يجب أن يأخذ القرار فى قاعه الدرس بشأن محتوى الدرس، وليس الطالب. ومن ناحيه أخرى فإن الفلسفه المعرفيه العمليه تقوم على أساس المعرفه الحاصله من العمل، وأنّ العمليون يرون أنّ الحقيقه هى المعرفه العمليه التى هى بدورها حصيله التعاطى بين الإنسان ومحيط حياته، وبالتالى فإنّهم يعتقدون بأنّ على كلّ من المعلم والطالب - بدلاً من اتباع الصيغه التقليديه للمحتوى الدرسى - أن يركزوا اهتمامهما على المعلومات التى ثبتت فائدتها وجدواها فى حل المسائل الخاصه التى نتعاطى معها فى حياتنا. وإن هؤلاء يعتقدون بأن الطالب ومطالبه واحتياجاته هى محور النشاط التعليمى؛ لأن التعليم بوصفه معرفه حاصله من التقابل بين الذهن والعالم الخارجى، ليس أمراً مفتعلاً، وإنما هو جزء من الحياه.

ب) معرفه الوجود(۱): کما تقدم أن ذکرن، فإن مصدر الکثیر من الآراء والغایات التربویه، یعود إلی الأفکار الفلسفیه ومعرفه الوجود. إن موضوع معرفه الوجود هو (ماهیه الواقعیه) أو بعباره أخری (إظهار الواقع). فالفلاسفه ینظرون إلی الوجود کله بنظره جامعه وعامه، ویسعون إلی تقدیم نظام فلسفی قائم علی الآراء المعرفیه بشأن الوجود. ویختلف الفلاسفه فی نوع رؤیتهم إلی العالم. فمنهم من ینظر إلیه برؤیه معنویه، معتبراً أن جمیع المظاهر الموجوده فی العالم المادی تعبر عن حقیقه غیر ماذیه وأکثر تأصیلاً (من قبیل: هیجل وإفلاطون بوصفهما من الفلاسفه المثالیین). فمن وجهه نظر هؤلاء الفلاسفه تصبّ جمیع جهود الإنسان حول مسأله التربیه فی الوصول إلی الأهداف المعنویه، وبلوغ الحقیقه التی تعدّ أمراً معنویاً - نظریه المُثُل عند إفلاطون، والروح المطلقه أو الخالده عند هیجل - تشکلان محور جمیع الأنشطه التربویه. بینما یذهب بعض الفلاسفه الآخرین إلی اعتبار الحقیقه النهائیه أمراً مادیاً، ویقولون: إنّ الأشیاء الموجوده من حولنا تحضی باستقلالیه وجودیه، فهی لیست ظلالاً عن الحقائق المعنویه. ویتزعم أرسطو القائلین بهذا النوع من الآراء، حیث کان یسعی - فی إطار الواقعیه العقلیه - إلی تقدیم تفسیر مختلف عن التفسیر الذی ذکره إفلاطون بشأن الوجود.

وإلی جانب هذه الواقعیه العقلیه، هناک واقعیتان أخریان، وهما (الواقعیه الدینیه)، و (الواقعیه الطبیعیه) أو العلمیه أیضاً. وبناءً علی الواقعیه الدینیه فإن عالم الماده والروح رغم استقلالهما وعدم ارتباطهما ببعضهما، إلّا أنّهما ینبثقان عن مبدأ واحد، وهو (الله)، وأنّ الروح هی الوجه الأفضل والأسمی فی الوجود. وأما الواقعیه الطبیعیه التی تحتوی علی ماهیه تشکیکیه وتجریبیه، فهی تقول: حیث إنّ

۱- (۱)) لمزید من الاطلاع، انظر: فلسفه آموزش وبرورش، شعاری نجاد، علی أکبر؛ فلسفه آموزش وبرورش، فیلر، جورج اف؛ فلسفه تعلیم وتربیت، شریعتمداری.

العالم من حولنا حقيقى، فإنّ من واجب العلم أن يـدرس خصائصه دون الفلسـفه، وإذا أرادت الفلسـفه أن تدرسه وجب عليها أن تتخـذ ماهيه علميه. وأن الـذين يتبنون هـذا النوع من الاراء الفكريه، إما هم من المنكرين للأمور المعنويه، أو من الـذين يذهبون إلى القول إنها غير قابله للإثبات.

تختلف الأهـداف الـتربويه فى كُـلٍّ... من الواقعيه العقليه، والواقعيه الطبيعيه، والواقعيه الـدينيه. فالـذين يؤمنون بـالواقعيه العقليه أو الواقعيه الطبيعيه لاـ يعتقـدون بغايه خالـده وأبـديه فى تصوير الحياه الإنسانيه كما هو الحال بالنسـبه إلى الواقعيه الـدينيه. فإنهم لا يرون الطبيعه من صـنع الله، وإنمـا يرومون مجرّد الكشف عن القوانين السائـده فى عـالم الوجود بغيه الحصول على حيـاه أفضـل، ويقيّمون الأهـداف التربويه على هـذا الأسـاس. وإن ضـروره التعقل، والوصول إلى النتائـج المنطقيه فى التفكير وإدراك الروابط القائمه بين الظواهر الماديه تعتبر من أهم الجوانب التربويه فى الواقعيه العقليه. وفى هـذه الفلسـفه يعتبر التعليم كاشـفاً عن الروابط المهيمنه على عـالم الوجود، وليست نوعـاً من الاسـتذكار والإنتاج الفكرى. ومن جهه أخرى فإنّ بعض الفلاسـفه من أمثال (وليم جيمز) و (جون ديوى) كـان لهمـا منهـج عملى؛ إذ يـذهبون إلى الاعتقـاد: بـأنّ عالم الوجود لا هو مرتبط بتصور الإنسان، ولا هو مسـتقل عنه. بـل إنّ الواقعيه عبـاره عن التعاطى بين الإنسان والطبيعه، أو مجموع ما نحصل عليه من خلال التجربه. إنّ الـذى تنظر إليه هذه الفلسفه بوصفه من الأهداف التربويه ليس هو مجرد الوصول إلى الحقيقه الخارجيه، وممارسه الأمور المعنويه والروحيه، بـل هو الحصول على التجربه وجعلهـا محوراً فى المراحـل التربويه. وطبقـاً لهـذا المـذهب يعتبر كـلّ أمر لاـ يخضع للتجربه فاقـداً للحقيقه.

بالالتفـات إلى الاختلاـف المحتـدم بين الآـراء الفلسـفيه، يمكن لنا الوقوف على اختلاف الرأى بشأن تحديـد الأهـداف التربويه. فكلّ واحد من الفلاسفه

يذهب - بالنظر إلى ما يتناسب ونوع رؤيته وفهمه للوجود - إلى تبنّى بعض الأهداف الخاصّه، وأنّ منشأ هذا الاختلاف فى الآراء والأهداف التربويه ليس سوى الاختلاف فى المبانى والأسس التى تقوم عليها معرفه الوجود.(۱)

ج) المعرفه الإنسانيه: إن النمط الفكرى الذى يحمله الفيلسوف عن ماهيه الإنسان هو الذى يحدد مساره فى تدوين الأهداف التربويه. من هنا فإن الفلاسفه - بالنظر إلى محوريه الإنسان - يختلفون فيما بينهم فى أمور من قبيل: ماهيه الإنسان والتعريف الذى يقدمونه له، والطاقات والعوالم الإنسانيه (من العقل، والعواطف والطبيعه الإنسانيه)، واستقلال الإنسان أو تبعيته للمجتمع.

لا شك فى أنّ إبداء الرأى حول كلّ واحد من هذه الموضوعات يمكنه أن يعكس آراء الفلاسفه بشأن الأهداف والآراء التربويه. من باب المثال: يذهب المثاليون (التوهميون) إلى الاعتقاد بأن الإنسان فى ماهيته كائن مجرّد، ويتمتع بقوه الفكر والقدره والحريه والإراده، ويشعر فى نفسه بالقابليه على البقاء بعد الموت، وتشكل ماهيته الذهن أو الروح. كما أنهم يقولون: إنّ القيَم الروحيه للإنسان تترك تأثيراً قطعياً على أمور العالم، وإنّ كلّ شىء هو روحى أو عقلى أو معنوى قبل أن يكون مادياً. كما يعتقدون بأن سلوك الإنسان فى ذاته هادف، وأنّه ليس تابعاً للمحركات الخارجيه، وعليه فلا بد من البحث عن الدوافع الرئيسه للسلوك فى داخل الإنسان. ومن ناحيه أخرى فإن الواقعيه تقف فى الطرف المقابل للمثاليه، فهى ترى حقيقه للأشياء الواقعه خارج دائره ذهنيه الإنسان، وتؤمن بوجودها المستقل. يرى الواقعيون أنّ العالم

۱- (۱)) إن التربيه والتعليم يبحثان فى... الآراء التربويه من خلال هذه الرؤيه، حيث يسعيان إلى دراسه أسسها من الزاويه الفلسفيه. وإن فلسفات من قبيل: التوهميه، والواقعيه، والطبيعيه، وأصاله العقل، وأصاله التجربه، والبراغماتيه، والوجوديه، والشيوعيه، والفلسفه التحليليه، والنزعه الإنسانيه العلميه تشكل جميعُها أساساً لعرض الآراء وتحديد الأهداف التربويه.

الخارجى حقيقه، ويذهبون إلى الاعتقاد بأنّ الإنسان يمكنه أن يدرك هذا العالم؛ لأن من أهم خصائص العقل أو الذهن البشرى قدرته على استيعاب وهضم الأفكار المتنوعه وإقامه الارتباط بينها. إننا إذا أجرينا مقارنه بين هاتين الرؤيتين بشأن الإنسان، سندرك أن هدف التربيه فى المذهب الواقعى يكمن فى تنميه وتكامل الذهن والذات، وإن الذى يكون هو المحور فى التعليم هو الأنشطه العقليه، والأحكام الأخلاقيه، ومعرفه الجمال، والحريه، والمسؤوليه الفرديه والسيطره الشخصيه. وإن هذا المذهب يهتم بالبحث عن الأهداف التربويه فى العلوم الإنسانيه أكثر من اهتمامه بالعلوم الطبيعيه؛ وذلك لأن النشاط العقلى، وماهيه وعى الإنسان أو ذهنيته، وكل ما يسمى ثقافه أو فناً أو أخلاقاً أو ديناً هو أقرب الأشياء إلى الحقيقه. وفى هذه الفلسفه يتم التأكيد على عظمه الروح الإنسانيه بشكل خاص. وأنّ الهدف والغايه من التربيه فى هذا المذهب تكمن فى إصلاح الإنسان دون حشو ذهنه بالمعلومات. ومن هنا يكون تفضيل الإنسان الصالح على الإنسان العالم.

ومن ناحيه أخرى فإنّ المثالى يعتقد بالطبيعه الخارجه عن الذهن، ولذلك فإنّه يرى أنّ دراسه الروابط القائمه فى الطبيعه واكتشاف قوانينها، من أهم الأهداف التربويه، ويذهب - فى تحديد هذه الأهداف - إلى الاهتمام بأمرين، وهما:

١. التعويل على البحث العلمى والتفكير المنطقى فيما يتعلّق بالتجربه العمليه.

٢. إقرار المواد والمناهج الدراسيه المرتبطه بالعلوم الطبيعيه بدلاً من العلوم الإنسانيه والأدبيه المحضه. إن الاختلاف فى الرؤيه بين هذين المذهبين - فيما يتعلّق بالمعرفه الإنسانيه - يؤثّر حتى فى طريقه التدريس والارتباط التعليمى أيضاً؛ إذ بناءً على المذهب المثالى يكون الطالب هو المحور فى عمليه التعليم، وكما تقدّم أن ذكرنا أنّ أفضل معرفه هى المعرفه التى يتوصل إليها الطالب، لا تلك التى يتم إقحامها فى ذهنه إقحاماً. وأما فى

الرؤیه الواقعیه فإن المعلم یکون هو المسؤول، وهو الذی یتعیّن علیه حث الطالب وتحفیزه إلی النشاط والعمل، ویعطیه الفرصه ویخلق له أجواء البحث والنقد وحب الاستطلاع.

د) معرفه القیم: إنّ الأسس الأخلاقیه ومنظومه القیَم المتّبعه فی کل فلسفه، تترک تأثیراً مباشراً فی الآراء والأهداف التربویه. وإنّ موضوعات من قبیل: ثبات أو تغیّر القیَم، وخلودها أو مرحلیتها، وکذلک خارجیتها أو ذهنیتها، إنما تستوحی من الرؤیه المعرفیه لدی الفلاسفه بشأن الوجود؛ لأنّ فهم کل مفکر للقیم سیکون مرتبطاً بفلسفته العامه. وأنّ لهذا الفهم تأثیراً مباشراً فی الآراء التربویه، وأن لاختلاف الآراء المعرفیه لدی الفلاسفه تأثیراً لا ینکر فی تحدید الأهداف التربویه. فمن باب المثال: أنّ القیَم فی المذهب المثالی ذات ماهیه مطلقه وخالده وغیر قابله للتغییر، حیث تتجلّی إما فی وجود الله أو فی الروح المطلقه. إن القیَم والأخلاقیات لیس لها صوره مطلقه من وجهه نظر القائل بالمذهب المثالی. إنّ الصلاح والحقیقه والجمال تنتقل من خلال الحفاظ علی جوهرها الثابت من جیل إلی جیل، ومن مجتمع إلی مجتمع آخر، کما أنّها مفاهیم تعکس جانباً من الماهیه الحقیقیه للعالم.

تنعکس الرؤیه المثالیه علی المسار التربوی وتعلیم الطالب وتعریفه بالقیم الثابته. إنّ هذا التعلیم یتضمّن إیجاد التنسیق الوجودی بالکلّ المعنوی والروحی الأکبر المرتبط به. ومن ناحیه أخری فإن القیَم فی المذهب العملی نسبیه، وأنّ الأسس الأخلاقیه تتغیر تبعاً لتغیّر الثقافات والمجتمعات. إنّ هذه الرؤیه تحکی عن أنه لا یجب اعتبار أی قانون أو أصل ملزماً أو عاماً لکلّ الناس فی العالم دون الأخذ بنظر الاعتبار الأوضاع والأحوال التی یقع فیها النشاط. وفی هذا النظام - خلافاً للمذهب الواقعی - لا ینبغی تعلیم الطفل القوانین العامه وغیر القابله للتغییر، بل علیه أن یتعلّم کیفیه اتخاذ أفضل

القرارات بالالتفات إلى إفضائها إلى أفضل النتائـج. إن على المدرسه أن تعمد إلى تعميم التجارب التى تؤهل الفرد لحياه أفضل. إنّ التربيه والتعليم مساران يؤديان بالشـخص إلى السـيطره على أعماله، وأن يتعرف على نتائـج أعماله وأعمال الآخرين. وبـذلك تتسع بصيرته وتغدو أكثر عمقاً، وتمكنه من التنبّؤ بنتائج وتبعات أعماله.

وفيما يلى نشير إلى بعض المسائل الأخلاقيه وارتباطها بأهداف التربيه والتعليم:

أ) مـا هو معيـار وجـذور القيَم؟ إن الفيلسوف لاـ يعـدد القيَم ومـا يعارضـها، وإنّمـا يبين ملاكاتهـا وموازينها؛ فهو يقول مثلاً: (إن أساس القيم يكمن فى الاعتـدال، ويجب توجيه جميع الخطط وأهـداف التربيه والتعليم نحو هذا السـمت). ومن ناحيه أخرى فإن (مـذهب اللـذه) يرى أسـاس القيم فى الانغماس فى المتعه الحسـيه، والاحتراز عن العناء والألم. وعليه فهو ينتقى من الأهـداف ما يضـمن الحصول على اللـذه والابتعاد عن المعاناه والألم. وهكذا إذا كان المفكر يرى جذور القيَم فى العوده إلى الحياه البسـيطه، فإنه سـيختار أهدافاً تؤدى إلى نتائج فى هذا الإطار. كما أن ملاكات أخرى من قبيل: حب الإنسان لنفسه، والاستئثار بالسـلطه وما إلى ذلك تؤثر فى اختيار الأهـداف التربويه بشـكل كامل. وعلى هـذا الأساس فإن المعيار فى انتقاء أهـداف التربيه والتعليم، هى القيم والمسائل الأخلاقيه.

ب) هل القيَم ثابته ولا تتغير بتغير الظروف الاجتماعيه والثقافيه والاقتصاديه والسياسيه أم أنها نسبيه؟

ج) هـل للقيَـم سلسـله مراتب أم لاـ؟ وأىّ القيَم تحضـى بـأهميه أكـبر، هـل هى القيم المعنـويه أم المـاديه؟ أم القيم السياسـيه أم الاقتصاديه أم الثقافيه؟ واضـح أنّ لهـذا النوع من المسائل تأثيراً مباشـراً فى اختيار الأهـداف التربويه، وأولويه بعضـها على بعض، وتفريع بعضها على بعض.

۳. الأسس الدينيه

تعود وظيفه الـدين فى تحديـد أهـداف التربيه والتعليم إلى دوره فى حياه الإنسان. لا شكّ فى أنّ الإنسان والمجتمع الذى يحدد مسـار حيـاته من خلال الانتمـاء إلى دين أو مـذهب خاصّ، لا يسـتطيع الاسـتغناء عن الأوامر والواجبات والمحرمات الـدينيه فى انتخاب الأهـداف التربويه. إنّ الثقافه الـدينيه التى تحكم الإنسان تمـد جـذورها الى جميع شؤون حياته. وإنّ التربيه الدينيه تلازم الطريق والنهـج إلـذى يؤدى فى نهايه المطاف إلى الهـدف والغايه من الحياه، وأنّ كلّ دين أو مذهب يرسم هذا الهدف بشـكل مغـاير للـدين أو المـذهب الآـخر. فمن بـاب المثـال: أنّ الـدين الإسـلامى ينظر إلى مسائل الحياه برؤيه توحيـديه. إذ يقوم اعتقاد المسـلم على أنّ كمال الإنسان رهن بالتزاماته تجاه نفسه ومجتمعه وخالقه. وهو يعتقد بأن لحياه الإنسان بعداً أبدياً وخالداً يشكل أساس حياته، وإن سعادته تكمن فى التزامه بالأبعاد الروحيه من وجوده.

إن الـدين يعمـل على توجيه الرؤيه الفلسـفيه لـدى الفرد فى التربيه والتعليم، وبتبعها الأهـداف التربويه. وأنّ الـذى ينظر إلى عالم الوجود بنظره إلهيه، لاـ يسـتطيع أن يسـلك فى حيـاته سـلوكاً مشابهاً لسـلوك الملحـد. فإن سـلوك الموحّـد مقتبس من التعاليم الإلهيه وفى سـياق يؤدى إلى هـدوئه وطمأنينته المعنويه. خلافاً للفرد الملحـد الـذى يحصـر الحياه فى دائره الرفاه والهـدوء القائم على الإمكانات الماديه، وهى إمكانات لا تستطيع مواكبته وإيصال النفع له لأكثر من عمره المحدود فى الحدّ الأقصى.

الفصل الثانی: تبویب أهداف التربیه والتعلیم

اشاره

سنبحث فی هذا الفصل المفهوم العام لتبویب الأهداف التربویه، وتطبیقها علی الأهداف التربویه فی الإسلام. ولتحقیق هذه الغایه لا ـ بدّ أولاً ـ من إیضاح ما هو المراد من تبویب الأهداف التربویه؟ وما هی الناحیه التی یرمی إلیها تبویب الأهداف التربویه فی الإسلام من نواحی حیاه الإنسان؟ وما هو دور وفائده هذه التبویبات فی کلّ واحد من المجالات التحقیقیه؟ وهل هناک تعارض وتنافر بین تبویب الأهداف التربویه ذات المنشا الدینی الناظر إلی جمیع نواحی الحیاه وبین تبویب الأهداف التربویه فی العلوم التربویه الناظره إلی نواحی خاصه من وجود الإنسان، أم هناک تآلف وتعاضد؟ سنعمد فی هذا الفصل إلی بیان ماهیه أنواع التبویب وحقول توظیفها فی مجال العلم والدین وارتباطها ببعضها.

مفهوم تبویب الأهداف التربویه من الزاویه الدینیه والعلمیه

إنّ المراد من تبویب الأهداف فی العلوم التربویه غالباً هو التبویب التعلیمی الخاص. وعلی الرغم من أنّ الأهداف التنمویه لا تنحصر بالأهداف التعلیمیه (الأهداف السلوکیه)، وإنّما تشمل الأهداف العامه أیضاً، بید أنه عندما یأتی الحدیث بشأن تبویب الأهداف فی هذا العلم، یکون المراد هو

الأهـداف الجزئيه التى يتم الحصول عليهـا بعـد نهايه كل مقطع ومرحله تعليميه خاصـه(۱). بمعنى أن الطـالب - بعـد اجتياز كل مرحله دراسـيه محـدّده، - يحصـل على الأهـداف المتوقعه فى تلك المرحله. وفى هـذا المفهوم يكون التبويب ناظراً إلى هـدف خـاص يتعلق بمرحله وفتره محـدده. فمن باب المثال: أنّ (تعليم القراءه) يمكنه أن يكون هـدفاً تربوياً للصف الأول فى المدرسـه الابتدائيه، أو القدره على حل المعادلات الجذريه هدفاً لنهايه المرحله الابتدائيه من الدراسه.

إن تبويب الأهـداف التربويه من هـذه الزاويه يحتوى فى الغالب على جهه تعليميه، ويتبع أسـساً بنائيه خاصه. وإن جميع التبويبات النـاظره لغايات تعليميه يتم بيانها على أساس الأهـداف التعليميه. وفى الحقيقه فإن الأهـداف التعليميه تعمل على بيان مراد المعلم من الأهـداف التعليميه وأسـلوب فهمه لهـذه الأهـداف، وبيـان كيفيه تبويب الأهـداف التعليميه من وجهه نظر ذلك المعلم. ومن الممكن تحديد هذه الأهداف من خلال الالتفات إلى الموارد الآتيه:

۱. نشـاط المعلم: يقوم بعض المعلمين ببيـان أهـدافهم التعليميه بالالتفات إلى أسـلوبهم التعليمى أو الأنشـطه التى يقومون بها من أجل تعريف الطالب بتلك الأهداف، من قبيل استعراض طريقه عمل جهاز مخبرى.(۲)

۲. نشاط الطالب: يعمـد بعض المعلمين إلى تحديد أهدافهم التعليميه بالالتفات إلى مختلف الأنشـطه التى يمارسـها الطلاب، من قبيل كتابه صفحه كامله بالخط الرقعى، أو القيام بحل معادلات حسابيه فى جدول الضرب والتقسيم مثلاً.

۱- (۱)) وبالطبع فإن تبويب الأهداف التربويه - كما سنشير إلى ذلك لاحقاً - قد تكون له فروع عديده. وهذا الأمر يتوقف على المجـال الـذى يتم فيه طرح الأهـداف الـتربويه. وأن الحقـول الثلاـثه الـتى ترسم للأهـداف عبـاره عن: الحقـل المعرفى، والحقل العاطفى، والحقل الروحى - الحركى.

۲- (۲)) روانشناسى برورشى، سيف، على أكبر: ۷۴-۷۵.

۳. عنوان الـدرس: فی بعض الموارد تکون عناوین الـدروس أساساً لتحدیـد الأهداف التعلیمیه، من قبیل: أسـباب الحرب العالمیه الأولی، أو قانون انکسار الضوء وما إلی ذلک. إن الإشـکال الأساسـی فی هـذه الأسالیب الثلاثه یکمن فی أنّ الهـدف الـذی یتمّ تحدیـده یؤکـد – فی الغـالب – علی نشـاط المعلم أو الطـالب، دون النتائـج المترتبه علی التعلیم، وما یحصل علیه الطالب. بعباره أخری: عنـدما یجری اسـتعراض عمل وسـیله مخبریه، أو عنـدما ینتهی تدریس ما تمّ تحدیده ضـمن عنوان درسـی محدد، تکون الغایه من التعلیم قد تحققت، سواء فی ذلک تعلم الطالب شیئاً أو لم یتعلم إطلاقاً.

۴. مقـدار استیعاب الطالب: إن الأسـلوب الأفضل والأکثر تجـذراً من أجل بیان الأهـداف التعلیمیه، یکمن فی تحدید النتائج التی نتوقع لهـا أن تـترتب علی التعلیم، وعلیه فـإنّ خیر طریقه لتـدوین الأهـداف التعلیمیه هی أن نأخـذ بنظر الاعتبـار مقـدار وحجم ما یتعلمه الطلاب. وکلما تمّ بیان الأهداف علی هذا الأساس، فإنها سوف تدل مباشره علی أنواع السلوک التی نتوقع من الطالب أن یظهرها ویقوم بها إثر الانتهاء من العملیه التعلیمیه. ولهذه الغایه یجب بیان الأهداف التعلیمیه بالالتفات إلی السلوک والأداء الذی یمکن له أن یشاهد أو یقدّر. وقد أطلق علی هذا النوع من الأهداف التعلیمیه ب – (الهدف السـلوکی)(۱). إنّ الأهداف التعلیمیه السـلوکیه هی تلک الأهـداف التی تبیّن غایه المعلم من التعلیم بالالتفات إلی الأداء أو السـلوک الـذی یمکن لنا رؤیته من خلال النشاط الذی یقوم به الطالب. إنّ هذه الأهداف تساعد المعلم علی تحدید غایته من تعلیم الموضوع الدراسـی بشـکل دقیق، وأن یشـرح للمتعلّم ما یتوقّع منه أن یقوم به فی نهایه الـدرس بوضوح. فمن باب المثال: یتوقع من الطالب فی نهایه الـدرس أن یـذکر الأسباب الرئیسه التی أدّت إلی سقوط الخلافه الأمویه

۱- ((۱)) . behavioral objective.

واضمحلالها، أو أن يبين تجارب رحلته الصيفيه فى تقرير تحريرى.

حتى الآـن أدركنا مفهوم تبويب الأهـداف التربويه فى العلوم التربويه، فكما ذكرنا إن هـذه الأهـداف يتمّ مجرّد طرحها فى مجال خـاص يرتبـط بمرحله خـاصه من حيـاه الإنسـان (المرحله التعليميه). فى حين أن الإنسان فى تبادل مسـتمر للمعلومات مع محيطه الخارجى، ويسـتمر هـذا التعاطى المعرفى حتى يتخطى الأروقه التعليميه والدراسـيه. فإن تعلم الإسـلام وتأثيره لا يمكن أن يحـدد ضمن فتره زمنيه أو مرحله خاصه، فهو فى صـراع مسـتمر فى كلّ الوصور من أجل تحقيق أهدافه. إنّ سـعه حياه الإنسان وارتباطه مع الآخرين فى الوسط الاجتماعى، وكـذلك فى طريقه ارتباطه بمعبوده سـبحانه، تـدل على جهده وسـعيه من أجل الوصول إلى أهـدافه التى سـبق أن رسـمها وحددها لنفسه. وأنّ ما قام به الأنبياء والمصـلحون والفلاسـفه والمعلمون طوال تاريخ الإنسان بشأن مسائـل من قبيـل: الهـدف من الخلق، والغـايه من الحيـاه، ومراحـل هـدايه الإنسـان، ودرجـات الكمال والسـعاده، ومراحل التنميه الأخلاقيه والسير والسلوك الإنسانى، ومسؤوليه الإنسان فى الحصول على الأهداف الغائيه، وكذلك الأهداف الروحيه والجسديه والفرديه والاجتماعيه والسياسـيه والاقتصاديه، يثبت لنا أنّ الأهـداف التربويه لا يمكن حصـرها ضـمن تبويب واحد، أنّ الأهداف والبرامـج التربويه للأديـان لاـ تنظر إلى ناحيه خاصه من وجود الإنسان، أو دوره خاصه من حياته، بل إنّها تنظر إلى جميع مراحل الحياه الإنسانيه.

العلاقه بين تبويب الأهداف التربويه من الزاويه الدينيه والزاويه العلميه

إن ارتبـاط أهـداف البرامـج التربويه الـدينيه بالأهـداف التربويه التعليميه، بمنزله الارتباط بين الغايه والوسـيله. إن توظيف التقـدّم العلمى فى مجال العلوم الإنسانيه، ومن بينها التعليم المدرسى فى العصر الراهن، يمكنه تطبيق البرامج التربويه الدينيه

بشكل أفضل. يمكن للأساليب العلميه والمدرسيه - للحصول على الأهداف المعرفيه والعاطفيه والنفسيه الحركيه - أن يكون لها تأثير كبير على التنميه والتقدم الأخلاقى والدينى للطلاب. وفى الحقيقه فإنّ تبويب الأهداف فى العلوم التربويه يقدم منهجاً وأسلوباً للحصول على الأهداف المعرفيه والعاطفيه والنفسيه - الحركيه. فى هذا النوع من التبويب، يتم تكوين إطار علمى يساعد على إدخال مضمون يشتمل على ثقل أخلاقى فى العمليه التعليميه. من هنا فإن تبويب الأهداف التربويه الناظره إلى جميع شؤون الحياه، والتى يكون مصدرها التعاليم الدينيه، لا تتعارض مع تبويب الأهداف التربويه فى العلوم التربويه أبداً، بل يمكن - للارتباط الوثيق بينهما - أن يضمن لنا الوصول إلى الأهداف التربويه. وبعباره أخرى: إن ما يتمّ طرحه فى بحث تبويب الأهداف فى العلوم التربويه، ليس هو إظهار المضمون التربوى، بل هو اقتراح الأساليب والأطر من أجل الحصول على مختلف المضامين التربويه. إن العلوم التربويه تقدّم أطراً عامه من أجل الحصول على كل نوع من أنواع الأهداف المعرفيه والعاطفيه والنفسيه - الحركيه. إن المطروح فى هذا الفرع هو كيفيه الوصول إلى الأهداف المدرسيه، وليس تحديد المضمون والمحتوى ونوع الهدف، فى حين أن رسم الأهداف والبرامج التربويه الدينيه - التى تحدد مسار الحياه - يكون البحث فيها حول مضمون وتحديد مواد ووسائل الحركه. لقد كان الأنبياء (عليه السلام) والمصلحون يؤكدون على مضمون أهداف الحياه، دون الأساليب والأطر، رغم أن الأساليب العامه كانت تشكل جانباً من مضامين برامجهم. وأما فى العلوم التربويه، فإن الأساليب الجزئيه - للوصول إلى الأهداف السلوكيه - تكون منظوره ومنشوده أيضاً(١).

١- (١)) إننا لا نروم تبويب موارد من قبيل: أساليب تعليم المعلمين، وسبل الارتباط بالطلاب أو مختلف أنواع المواد التعليميه. كما أننا لا نسعى إلى تبويب موضوع أو مضمون درس خاص، وإنما الذى نسعى إلى تبويبه هو السلوك الصحيح للطالب، بمعنى الأعمال والأفكار أو المشاعر والأحاسيس الحاصله من خلال المشاركه فى نوع من المناهج الدراسيه (تبويب الأهداف التربويه، بلوم، بنيامين اس: ٢۵).(... إن التبويب مورد البحث، يجب أن يكون طرحاً توصيفياً كاملاً بحيث يمكن تعريف كل نوع من أنواع الأهداف التربويه بشكل محايد نسبياً. وعلى هذا القياس نظام ديوى العشرى فى تبويب المكتبات، حيث يتم فيه توصيف جميع طبقات الكتب. إن هذا التبويب لا يتحدث عن قيمه أو كيفيه طبقه من الكتب بالقياس إلى الطبقات الأخرى، ولا يتم تحديد عدد أو نوع الكتب التى ينبغى اشتمال المكتبه عليها. وهذا يعنى أن بالإمكان تعريف جميع أنواع المتغيرات السلوكيه التى يتم التأكيد عليها فى أىّ مؤسسه أو حقل تربوى أو فلسفه تربويه فى هذا التبويب. وبعباره أخرى: إن كل هدف يعمل على وصف سلوك معيّن سيكون له حيّز فى هذا التبويب). (المصدر: ٢٧).

جدیر ذکره، أنّ تبویب الأهداف التربویه فی العلوم التربویه یشتمل علی مجرّد الأهداف السلوکیه، وقد لا یمکن إدراج جمیع الأهداف الدینیه فی إطار سلوک قابل للملاحظه أو القیاس. وعلی هذا الأساس فإنه علی الرغم من جدوائیه توظیف الأسالیب العلمیه من أجل تحقیق الکثیر من الأهداف التربویه الدینیه، إلا أنّ بعض الأهداف الدینیه التربویه ذات صبغه داخلیه ومعنویه خاصه، وإنها رغم تأثیرها التام علی الفرد، لا تتجلّی علی المستوی الخارجی والظاهری إلّا علی نحو باهت للغایه. وعلیه فبالالتفات إلی هذا الأمر لا یمکن لنا أن نتوقّع حصول جمیع الأهداف التربویه الدینیه من خلال توظیف الأسالیب العلمیه المأخوذه من تبویب الأهداف التربویه. وفی البحوث القادمه سوف ندرس سلسله المراتب الموجّهه، بغیه الحصول علی الأهداف الدینیه التربویه بشکل تفصیلی.

تبویب الأهداف التربویه من زاویه العلوم التربویه

اشاره

بعض الباحثین من قسَّم التربیه والتعلیم وعلم النفس التربوی والأهداف التربویه، إلی طبقات مختلفه. ومن بین التبویبات التی تحظی بشمولیه وأهمیه

خاصّه، تبویب جماعه من المحققین تحت إشراف (بلوم)، والهیکله الرئیسیه تشتمل علی ثلاث مساحات هامه: وهی المساحه المعرفیه، والمساحه العاطفیه، والمساحه النفسیه (الحرکیه).

أما المساحه المعرفیه فتشتمل علی الأهداف المرتبطه بالاستذکار، أو إعاده التعرّف بالفکر وتنمیه القابلیات والمهارات الذهنیه. وأنّ هذه المساحه تمثل أهم مجالات الأنشطه لأکثر المختبرین فی الوقت الراهن. وأنّ أکثر الأعمال المرتبطه بالتخطیط والبرامج الدراسیه تقع فی هذه المساحه، ویمکن العثور علی أوضح التعاریف المتعلقه بالأهداف المعرفیه - علی شکل توصیف سلوک الطلاب - فی هذه المساحه.

وأمّا المساحه العاطفیه فتشتمل علی الأهداف التی تحکی عن المتغیرات فی العلاقات والرؤی والقیَم وتنمیه الاحترام والانسجام.

وأمّا المساحه الثالثه فإنّها ترتبط بالمهارات النفسیه - الحرکیه(۱). جدیر ذکره أنّ الطبقات المتعلّقه بکلّ مساحه قد تمّ تنظیمها ضمن سلسله تراتبیه تبدأ من أبسط النتائج السلوکیه وتنتهی بأکثرها تعقیداً.

۱. المساحه المعرفیه

إنّ هذه المساحه تشتمل - بشکل أکبر - علی الأهداف التی ترمی إلی العلم والفهم والمهارات الفکریه. وبعباره أخری: أنّ الأهداف المعرفیه ترتبط بما یجب علی الطالب أن یعلمه ویستوعبه. وأن طبقات هذه المساحه عباره عن:

العلم (المعلومات): إنّ استحضار المطالب التی سبق للطالب أن تعلّمها

۱- (۱)) أخذ البحث المرتبط بالمساحه المعرفیه، والمساحه العاطفیه من کتاب: الأهداف السلوکیه، لمؤلفه: نرمان ای. غرونلند، ترجمه: أمان الله صفوی، من الصفحه ۳۲ إلی ۳۸، والبحث المرتبط بالمساحه النفسیه - الحرکیه من کتاب: المهارات التربویه والتعلیمیه، لمؤلفه: حسن شعبانی، من الصفحه ۱۸۴ إلی ۱۸۶.

يسمى بالعلم أو المعلومات. يمكن لهذا التعريف أن يشمل استذكار مطالب واسعه ابتداءً من المسائل الجزئيه وصولاً إلى النظريات الكامله، ولكن المراد فى البين هو استذكار المعلومات المناسبه. وتعتبر هذه الطبقه من أدنى سطوح نتائج التعلم فى المساحه المعرفيه.

الإدراك: عرّف الإدراك بأنه: (القدره على فهم المطالب). ويمكن اعتبار هذه القدره تحويلاً للمطالب من صوره إلى صوره أخرى من قبيل: (تحويل الكلمات إلى أعداد)، أو تفسير المطالب من قبيل: (توضيحها وتلخيصها) أو التكهّن بأحداث المستقبل (التنبؤ بالعواقب والنتائج). وإن نتائج التعلم فى هذه الطبقه تتخطّى الاستذكار البسيط للمطالب بخطوه، وهى تحكى عن أدنى مستويات الإدراك.

التطبيق: يشير التطبيق إلى القدره على توظيف المعلومات فى الموقعيات الجديده والواقعيه. وأنّ هذا المستوى يشمل تطبيق القواعد والمفاهيم والأسس والقوانين والنظريات. وفى هذا المستوى يكون الفهم أعمق منه فى الطبقه السابقه.

التجزئه والتحليل: تشير عمليه التجزئه والتحليل إلى القدره على تقسيم المطلب إلى الأجزاء المكونه له، والتى توفر الأرضيه لإمكان معرفته التركيبيه. ويمكن لهذا المستوى أن يشتمل على تحديد الأجزاء، وتجزئه وتحليل الروابط بين الأجزاء، ومعرفه الأصول الجذريه. وفى هذه الطبقه تكون نتائج التعلّم على مستوى أعلى بالقياس إلى الطبقات السابقه؛ لأنّها تستلزم فهم المحتوى والبنيه التركيبيه للمطالب.

التركيب: يحكى التركيب عن القدره على المزج بين الأجزاء بشكل يؤدى إلى بناء كلٍّ جديد.. وأنّ هذه العمليه قد تشمل إعداد رساله فريده من نوعها، أو تقديم مشروع عملى (مشروع تحقيق) أو تنظيم نظريه. وفى هذه

الطبقه تكون نتائج التعلم مرتبطه بالسلوكيات الخلّاقه، ويكون التأكيد الرئيس على تدوين المشاريع والتركيبات الجديده.

التقييم: يحكى التقييم عن القدره على الأحكام بشأن قيمه المطالب (الإعلان، والبيان، والقصه، والشعر، والتقرير التحقيقى) لغايه محدده. إن هذا النوع من الأحكام يجب أن يقوم على أساس الملاكات القطعيه والمحدده. إنّ هذه الملاكات قد تكون داخليه وقد تكون خارجيه. إن نتائج التعلم المرتبطه بهذا القسم تقع على رأس سلسله مراتب المساحه الذهنيه؛ لأنّ هذه النتائج تشتمل على جميع الطبقات الأخرى أيضاً.

٢. المساحه العاطفيه

تشتمل هذه المساحه على تلك المجموعه من الأهداف المرتبطه بالإحساس والعاطفه، من قبيل: العلائق والرؤى والتكريم وما إلى ذلك. إن حجم السلوك فى المساحه العاطفيه واسع وكبير، بيد أنّه فى الوقت نفسه غير محدد. بحيث إن تقييم الأنشطه السلوكيه - بسبب عدم بروز الميول والمشاعر الباطنيه كافه على الأفعال الظاهره - يبدو فى غايه التعقيد. وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نحقق تقدماً فى هذه المساحه من خلال مواصله الجهود والاهتمام المستمر. وإن الطبقات الخمس فى هذه المساحه عباره عن الأمور الآتيه:

أ) التلقّى: يشير التلقّى إلى دقّه الطالب فى الظواهر أو الإجابه عن المحركات الخاصّه من قبيل: (النشاط المدرسى فى الفصل، والمناهج الدراسيه، والموسيقى، وما إلى ذلك). ومن الناحيه التدريسيه يرتبط باستقطاب وحفظ وتوجيه الطالب. وأن التعلّم فى هذا القسم يتغيّر ابتداءً من الوعى البسيط للطالب بشأن ظاهره من الظواهر وحتى الاهتمام المدروس والمتأنى. فى هذه المساحه العاطفيه يعدّ التلقى من أدنى سطوح التعلم.

ب) ردّه الفعل: تشير ردّه الفعل إلى المشاركه والنشاط الفعّال للطالب. وفى هذا المستوى لا يهتم الطالب بظاهره خاصّه فقط، بل يبدى ردّه فعل وتفاعل تجاهها بنحو من الأنحاء. ومن الممكن فى هذا القسم أن تكون نتائج التعلّم عباره عن قبول القيام بالتكاليف، والرغبه بالتفاعل وردود الأفعال من قبيل: (القيام بالواجبات والوظائف الدراسيه الإضافيه)، أو (الرغبه فى التعبير عن ردّه الفعل) أو (الشعور باللذه والرغبه الشخصيه فى المطالعه). إنّ المستويات العليا فى هذه الطبقه عباره عن تلك المجموعه من الأهداف التى يتمّ تبويبها عاده تحت عنوان (العلائق)(۱) ، بمعنى الأهداف التى يكون منشأها الرغبه فى العمل، والشعور بالمتعه عند القيام بها.

ج) التقييم: وهو عباره عن القيمه التى يوليها الطالب لشىء أو ظاهره أو سلوك خاص. وتتغير هذه الطبقه ابتداء من القبول البسيط لقيمهٍ من قبيل: الرغبه فى تطوّر المجموعه، وصولاً إلى سطوحها المعقده. بمعنى القبول بالالتزام، من قبيل: القبول بالمسؤوليه من أجل تقدم المجموعه. إن التقييم يقوم على استبطان مجموعه محدده من القيم، ويتمّ تحديد علامه استبطان القيَم من خلال سلوك الطالب وأدائه. وإن نتائج التعلم فى هذا المستوى تشتمل على السلوكيات التى يكون الاتصال والثبات فيها مشهوداً وملحوظاً. وإن هذه المجموعه من الأهداف التى يتمّ تصنيفها بالكامل تحت عنوان: (الرؤى والتكريم)، تندرج فى هذه الطبقه.

د) التدوين (التنظيم): إنّ التدوين عباره عن إدغام القيَم المختلفه ورفع حاله التعارض بينها، وبناء منظومه قيَم ثابته ومنسجمه. لذلك يكون التأكيد هنا على المقارنه والربط بين القيَم. وإنّ التعلّم فى هذه الطبقه قد يكون مجرد امتلاك تصوّر عن كلّ قيمه أخلاقيه من قبيل: (معرفه المسؤوليه الفرديه

۱- ((۱)) . interests.

لتحسين الروابط والوشائج الإنسانيه)، أو أن يرتبط بمنظومه القيَم من قبيل: (إعداد مشروع توظيف يعالج المشكله الاجتماعيه والاقتصاديه فى المجتمع). وأنّ تلك المجموعه من الأهداف التعليميه التى تؤدى إلى الغايه من الحياه تندرج ضمن هذه الطبقه.

ه) استبطان القيَم: يمتلك الفرد فى هذا المستوى من المساحه العاطفيه نظاماً أخلاقياً خاصّاً يعمل على بلوره شخصيته وتنظيم سلوكه. وأن نتائج التعليم فى هذا المستوى تشتمل على نشاطات واسعه، وأن كلّ واحد من هذه الأنشطه يعبّر عن شخصيه الطالب. كما أنّ الأهداف المناسبه فى هذه الطبقه عباره عن تلك المجموعه من الأهداف المرتبطه بالنماذج العامه لسلوك الطالب فى إقرار التفاهم والوئام.

٣. المساحه النفسيه – الحركيه

ترتبط هذه المساحه بالمهارات الحركيه وتتعاطى مع الحركات الإراديه والهادفه للإنسان، والتى يستلزم القيام بها توظيف العضلات والأعصاب والمُستقبِلات الخاصّه بجهاز المركز العصبى. وأنّ مراحل هذه المساحه عباره عن:

أ) المشاهده والتقليد: فى هذه المرحله يقوم الطالب بمشاهده أداء المعلم المشغول بالعمل فى الموضوع مورد البحث. إنّه مضطر إلى متابعه تفاصيل الحركات وتسلسلها وتعاقبها والعلاقه بينها، حتى بلوغ النتائج النهائيه بدقّه. ويتفق أحياناً أنّ تحل مطالعه قانون العمل محل هذه المرحله من المشاهده، ولكن فى الغالب تقترن مطالعه قانون العمل بتطبيق المهارات فى وقت واحد.

ب) تطبيق الموضوع دون مساعده: فى هذه المرحله يكون مستوى التعلم أعلى من المرحله السابقه شيئاً ما، ونبتعد فيه عن أسلوب التقليد السطحى، ونصل إلى مرحله التطبيق الواعى. وفى هذه المرحله يجب أن

ينخفض اعتماد الطالب على المعلم إلى أدنى مستوياته، بحيث لا يعود بحاجه إلى مساعده مباشره منه. ولكن يجب أن يستمر إشراف المعلم على أداء الطالب عند تطبيق المهارات.

الدقه فى العمل: فى هذه المرحله يجب على الطالب أن ينجز النشاط والعمل بدقه وسرعه. وإنّه فى هذه المرحله يكون قد بلغ مرحله من الكفاءه فى أداء أعماله بمهاره، وتنظيمها بحسب الحاجه. فمثلاً، نجده ينظم إيقاع حركاته بين السرعه والبطء، ويقلل من مستوى أخطائه، أو يعمل على تغيير مسار حركاته.

تنسيق الحركات: بمعنى إقامه التنسيق بين سلسله من الأعمال والنشاطات، مع مراعاه النظم والكفاءه. وفى هذه المرحله يكون الطالب قد تمكن من القيام بالتنسيق بين عده حركات فى وقت واحد.

الأداء الطبيعى: تعتبر هذه المرحله أعلى مراحل التعلم فى المساحه النفسيه – الحركيه، حيث يقوم الطالب بأداء مهامه بشكل تلقائى وعفوى وعلى نحو دقيق ومتوازن. وبعباره أخرى: إنه فى هذه المرحله يستغنى عن إمعان النظر وبذل الطاقه من أجل التنسيق بين الأنشطه وتنظيم تعاقبها، وتصدر عنه الأعمال بشكل طبيعى وعلى نحو ذاتى وتلقائى.

ومن المهم التذكير بهذه النقطه الهامه وهى أنّ الأنشطه التعليميه لا يمكن بيانها فى مساحه واحده فقط. بل لربما تكون هناك ضروره لأن تقع الأنشطه التعليميه فى مساحتين، بل وحتى ثلاث مساحات لتعطى نتائج سلوكيه، بمعنى أن تكون مسبوقه بالمعرفه والتعلم الذهنى، وفى الوقت الذى تعتبر حركه فيزيقيه، فإنّها تقع تحت التأثير العاطفى أيضاً. وعلى هذا الأساس فإن الأهداف التعليميه فى دائره الحركه تشمل – نوعاً ما – بعض العناصر التابعه للدوائر المعرفيه. بيد أن إبداء المهاره الحركيه جزء من الخصوصيه البارزه

للمساحه الحركيه. وإن وجود الوجه المشترك لا يقتصر بهذه المساحه والمساحتين الأخريين فقط، بل هناك فى نتائج التعليم فى المساحه المعرفيه عناصر من المساحه العاطفيه، وبالعكس أيضاً. إن تقسيم الأهداف التعليميه إلى هذه المساحات الثلاث يعتبر أسلوباً نافعاً، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذا التقسيم إنما هو اعتبارى إلى حدٍّ ما، ولا يعنى أن كل واحد من هذه الطبقات مستقل عن الطبقات الأخرى.

تبويب الأهداف التربويه من زاويه الإسلام

ما هو المراد من تبويب الأهداف التربويه فى الإسلام؟ هل هناك معيار خاص فى الإسلام بشأن تبويب الأهداف المطروحه، كما هو الحال فى العلوم التربويه أيضاً؟ وما هى الأصول الحاكمه على تبويب الأهداف التربويه فى الرؤيه الإسلاميه؟

كما يتضح من مفهوم التبويب فإنّ هذا المصطلح يستعمل فى مورد تكون فيه:

١. سلسله المراتب مختلفه. وبعباره أخرى: أن تكون هناك مراحل يكون بينها تقدُّم وتأخُّر، بحيث إنها تشكل سلسله من الحلقات المترابطه والتى لايمكن بلوغ طبقه فى هذه السلسه إلّا بعد اجتياز الطبقه السابقه، ولا يمكن الحصول على المراتب العليا إلّا بعد الخوض فى المراتب الدنيا. وبشكل عام يمكن بيان تصوير طريقه الارتباط وترتب الأهداف ببعضها على عده أنحاء، وهى:

أ) الترتب الخارجى: بمعنى أنّ الهدف الأدنى يشكّل بالنسبه إلى الهدف الأعلى جهه عليه وتقدّميه، بمعنى سواء كان هناك دافع ونيه فى البين أم لا، فإن الذى يقع فى الخارج هو تقدم الهدف الأدنى على الهدف الأعلى. فمن باب المثال: إن إيجاد التغيير والإصلاح فى المجتمع يتوقف على إيجاد التغيير

والإصلاح فی أفراد المجتمع. إن هذا الترتب هو من نوع الترتب العلّی الذی یتمتع بماهیه واقعیه وخارجیه.

ب) الترتب القصدی: فی الکثیر من الأحیان لا یکون بین الأهداف ترتیب خارجی، بل الارتباط بینها یکون من طریق: القصد، والنیه، والدافع، فمن باب المثال: یمکن أن یکون هناک ارتباط بواسطه النیه والقصد بین هدفین هما: (الاکتفاء الذاتی فی الاقتصاد) و (التقرب من الله).

والمسأله الأخری التی یتم التطرق إلیها فیما یتعلّق بطریقه الارتباط بین الأهداف، هو أننا إذا قلنا: إنّ الأهداف تترتب علی بعضها، وإنّها بالتالی تشتمل علی هدف نهائی، فلیس المراد أنّ لعنصر الزمن دخل فی جمیع هذه الترتبات، بل إن الغائیه هنا تعنی أن الهدف النهائی هو النقطه المطلوبه والمنشوده من الناحیه المنطقیه.

إنّ القرب الإلهی لیس هدفاً بعید المنال، ومنفصلاً عن السلوک الیومی، بل هو هدف له مراتب واسعه، وعلی الرغم من أنّ مراتبه الأولیه یمکن الحصول علیها من خلال القیام بأی عمل نقوم به بنیه التقرّب من الله، إلّا أنّ الوصول إلی المراتب الأعلی یتوقّف علی القیام بأعمال أسمی وأکثر تأثیراً. خلاصه القول: یُمکن للمسلم أن یقوم علی الدوام بالتقرب إلی الله من خلال الأعمال الصالحه.

۲. إنّ کل طبقه فی هذه السلسله تکون بسیطه بالقیاس إلی الطبقه الأعلی، وهذا یعنی أننا کلّما تقدمنا إلی الأمام ستکون الطبقات العلیا أکثر تعقیداً.

۳. إنّ تبویب الأهداف فی الدین لیس تبویباً علمیاً. بمعنی أن التبویب العلمی یعتمد الشکل والصوره، وبعباره أخری: إن الذی یتمّ بحثه فی التبویب العلمی هو إطار العمل وأسلوبه کما هو الحال بالنسبه إلی تبویب «بلوم ومساعدیه»، ومن هنا فإنّه لا یشتمل علی بعد أخلاقی، فهو لا ینظر إلی مفاهیم

من قبيل: الحسن والقبيح أو الثواب والعقاب. وأما فى تبويب الأهداف التربويه من الزاويه الإسلاميه، فحيث يتمّ تبويب المحتوى التربوى، فإنّه يشتمل على ثقل أخلاقى. بمعنى أنّ الأهداف التى يتمّ تحديدها فى النظام الدينى هى أهداف ذات توجّه أخلاقى وإيجابى، وتبيِّن الواجبات والمحظورات الدينيه.

إنّ المعيار والملاك فى تبويب الأهداف التربويه فى الإسلام ينظر إلى ذات الإنسان. وعندما ننظر إلى الإنسان من زاويه الإسلام، فإننا نكوّن فرضيات مسبقه تحدد لنا نوع رؤيتنا للإنسان. من قبيل: إن الإنسان والكون من مخلوقات الله، وإن الإنسان خليفه الله فى أرضه، وإنّه يتمتّع بالهدايه الذاتيه والتكوينيه (الفطره). وعلى هذا الأساس إذا أردنا تبويب الأهداف الموجوده فى النصوص الدينيه، وجب علينا أن نأخذ ملاك هذا التبويب من الدين أيضاً. فلا يمكن أن نختار ملاكاً ومعياراً من خارج الرؤيه الدينيه، والعمل من خلاله على تبويب الأهداف الدينيه بغيه الوصول إلى تحقيق أهدافه ومطالبه. وفى الحقيقه لا ينبغى لنا أن نفرض إرادتنا على الدين، أو أن نتمسك بالنصوص الدينيه (الآيات والروايات) من أجل إضفاء الشرعيه على إرادتنا. وبعباره أخرى: إن نفس الملاك المستنبط من النص الدينى، يجب أن يكون هو المحور فى عمليه التبويب. ومن هنا تجب الاستعانه بالدين والتمسك به حتى فى هذا الأمر. وإن الرؤيه التى يمكنها من طريق الوحى أن تكون ملاكاً ومعياراً للحركه التربويه فى حياه الإنسان، ليس هناك من شك فى ثباتها وديمومتها، وهى ترصد الإنسان من جميع أبعاده وجوانبه الوجوديه، ولا تقتصر فى تقييمه على جهه خاصه أو على مقطع محدد. إن الدين عندما ينظر إلى الإنسان لا ينظر إليه بوصفه (مواطناً) أو فرداً من أفراد المجتمع، وما إلى ذلك من العناوين الناظره إلى بعد واحد أو جهه واحده من الجهات

الوجوديه، وإنما ينظر إليه بوصفه (إنساناً) ويروم بلوره وبناء شخصيته الحقيقيه على أساسٍ من هذه الرؤيه. إن الإسلام يعتبر الإنسان خليفه الله فى الأرض، ويسعى إلى تقديم منظومه تربويه تشتمل على جميع أبعاده الوجوديه (من العقل، والروح، والجسم، والأبعاد الفرديه، والاجتماعيه، والإلهيه وما إلى ذلك) والعمل على تربيته تربيه إنسانيه صالحه.

إنّ المعيار أوالملاك الذى يقدمه الإسلام فى إطار رؤيته إلى الإنسان يحكى عن اهتمامه ببنيته الوجوديه. وهى بنيه يلعب فيها عنصر الفطره دوراً أساسياً ومحورياً. ولكى نتمكّن من الحصول على تبويب واقعى فى إطار النظام الإسلامى، يجب علينا ملاحظه رؤيه الإسلام بشأن البنيه والتركيبه الوجوديه للإنسان، والعمل على تبويب الأهداف التربويه من خلال الالتفات إلى هذه الأسس المعرفيه من قبيل: (الفطره). ومن خلال الالتفات إلى هذا المعيار يمكن تبويب الأهداف التربويه فى النظام الإسلامى وتقسيمها إلى ثلاث طبقات عامه، وهى: الأهداف الغائيه (النهائيه)، والأهداف الوسيطه، والأهداف الجزئيه. وكل واحده من هذه الطبقات تحتوى على عدّه طبقات أخرى، سيأتى شرحها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث: الهدف الغائی وخصائصه

مفهوم الهدف الغائی من الزاویه الدینیه وخصائصه

إن الهدف الغائی من التربیه فی کل مذهب تربوی هو البلوغ بالإنسان إلی الکمال، ویجب أن تکون جمیع أنشطته بتأثیر من هذا الهدف. وإن الأهداف الغائیه من وجهه نظر الإسلام - والتی أعطته ماهیه خاصه فی الإطار العام - عباره عن:

۱. الانسجام مع الفطره: کما تقدم أَن ذکرنا إن أصل التناغم والتنسیق بین الأهداف التربویه والبنیه الوجودیه للإنسان یجب أن تراعی فی جمیع الموارد. إن الهدف الغائی فی المنظار الدینی یتناسب والبنیه الوجودیه وماهیه الإنسان التی یطلق علیها فی النصوص الدینیه عنوان (الفطره). إن التناسق بین الهدف الغائی وفطره الإنسان یعتبر من أهم خصائصه. وأن أقل اضطراب فی للتوازن والتنسیق بین الهدف والفطره سیؤدی إلی الانحراف عن مراحل النمو والتطور الإنسانی، وبالتالی فإنّ ذلک سیفضی إلی عجزه وعدم تمکّنه من الحصول علی بلوغ الکمال النهائی.

۲. الشمولیه: إنّ المراد من شمولیه الهدف الغائی فی الإسلام هو شموله

لكافه القيَم الإنسانيه. فمن باب المثال: إن الدفاع عن الوطن يعدّ من أهم القيم الاجتماعيه فى الإسلام، وإنّ هذا الأمر هو فى حدّ ذاته هدف، ولكنه ليس هدفاً غائياً أو نهائياً. وعلى هذا الأساس يجب إدراج جميع القيَم الدينيه - التى تحدد مسار الحياه - ضمن الهدف الغائى والنهائى الذى يشتمل على جميع القيم الأخلاقيه.

٣. التحفيز: إن وجود الحافز والرغبه نحو القيام بأى نشاط، رهن بالوصول إلى النتيجه. وبعباره أخرى: إن الوصول إلى كل هدف من الأهداف المحدده فى كل نشاط أو برنامج، يضمن استمرار ذلك النشاط أو ذلك البرنامج. وأن القيام بالأنشطه دون أن تحقق أى نتيجه، سيؤدى بالتدريج إلى اضمحلال وزوال الدافع والحافز والشوق إلى مواصله النشاط. إن التساؤل القائل: ما هى ثمره تحديد الهدف النهائى؟ وكيف يمكن لما هو بعيد المنال أن يكون مشجعاً وحافزاً ومحركاً؟ وإن كان تساؤلاً فى محله ويحتوى على أهم الأسس المهيمنه على نظام المكافأه (بمعنى الحافز)، ولكن يجب الالتفات إلى هذه النقطه أيضاً وهى أن تحديد الهدف الغائى لا يعنى كونه مستحيل التحقق أو أنه بعيد المنال، وكما تقدّم أن قلنا: إنّ المراد من ترتيب الأهداف - وخاصّه الهدف النهائى - على سائر الأهداف الأخرى، ليس هو الترتيب الزمنى. وفى البحوث القادمه سيتضح لنا أن الهدف الغائى من وجهه نظر الإسلام يستلزم ترتباً منطقياً، ويبدأ من المراحل البسيطه ويمضى قدماً من خلال توجيه مطلق نحو المراحل الأكثر تعقيداً. إن الفرد من خلال قيامه بكل نشاط دينى يحصل على الهدف الغائى، إلّا أن بلوغ هذا الهدف الغائى من الضرورى أن يتناسب على الدوام مع نوع النشاط والعمل. فليس الأمر بأن التقرّب من الله الذى هو الهدف الغائى يتحقق بعد القيام والانتهاء من الأعمال الكثيره، بل إن كل عمل ونشاط دينى يؤدى إلى تقرّب بحجم ومقدار ذلك

العمـل. وعليه يمكن أن نصـل إلى هـذه النتيجه وهى: أن الوصول إلى الهـدف الغـائى حتى بعـد القيام بكل نشاط جزئى، يغـدو ممكناً وميسوراً.

عـدم المحـدوديه: إنّ الخصوصـيه الرابعه للهدف الغائى (النهائى) فى الرؤيه الدينيه تكمن فى عدم محدوديته. والسؤال المطروح هنا هو: ما هو المراد من عـدم محدوديه الهدف؟ هل يمكن أن نتحرّك باتجاه غايه ليس لنهايتها أمد محدد؟ وإذا كان كذلك، كيف نعـدّ تلـك الغـايه هـدفاً نهائيـاً؟ إن المحور فى الإجابه عن هـذه الأسـئله هو لزوم تطبيق الهـدف الغائى على فطره الإنسان، والالتفـات إلى ماهيته الأبـديه. وعلى هـذا الأساس يجب أن يكون الهـدف الغائى هـدفاً أبـدياً غير محـدود، ليتناسب مع الإنسان ويمكن تطبيقه عليه. وبعبـاره أخرى: إن الإنسـان كائن يُنشـد الكمال، وحيث إنّه كائن إلهى، فإن محاوله الوصول إلى الكمال لا يمكن أن تقف عند حدٍّ. وعليه بما أنّ اللاتناهى فى الهدف الغائى ينسجم مع حلم الإنسان بالكمال وحقيقه وجوده على الأرض، فإن هـذا الهدف يكون منتخباً له. وإذا كان الهدف الغائى محدوداً، فإن الإنسان بعد بلوغه سـيصاب بالخواء واليأس والقنوط، بل قـد يمكن لتصوّر محدوديه الهدف الغائى أن يثبط من عزيمه الإنسان. بالالتفات إلى أن بلوغ كل مرتبه من مراتب الهدف الغائى رهن بتجاوز المرحله السابقه والقيام بعمل متناسب وطبيعه تلك المرحله، ويمكن القول: إن عدم محدوديه الهدف الغائى عنصـر هام فى اكتساب المراتب العليا والدرجات الأسمى.

اتحاد الهـدف النهائى مع هدف الحياه (الخلق): إنّ ما يعتبر هدفاً نهائياً فى النظام التربوى للإسـلام ليس أمراً منفصـلاً عن الهدف من خلـق الإنسـان وحيـاته. إن الإنسـان يتمتع بكرامه وقيمه عـاليه من وجهه نظر الإسـلام، وإن الهـدف من بعث الأنبيـاء وإرسـال الرسل هو تنميه طاقاته الذاتيه. من هنا فإن كل توجيه من قبل الله لخلق الإنسان يعتبر نوعاً من بيان الهدف من حياته. وفى الحقيقه فإن

هذا الهدف يبين فی قالبه وصيغته النهائيه (الهدف الغائی) المتمثل بالشخصيه الساميه للإنسان الصالح.

اتحاد الهدف الغائی: إنّ من بين خصائص الهدف النهائی، اتحاده. بمعنی أننا إذا اعتبرنا الهدف النهائی جامعاً لكل القيَم، وحاوياً للمراتب المختلفه.(۱) إذن، لاـ يمكن إلّا أن يكون هذا الهدف حقيقه وماهيه واحده. ومن الناحيه المنطقيه هناك تناقض بين تعدد الهدف النهائی وبين اعتباره نهائياً. وإن هذا الهدف إنما يكون محوراً لجميع أنشطه وحركات الإنسان إذا كان متصفاً بالوحده، وأن يكون - على الرغم من بساطته - مستوعباً لجميع القيَم والكمالات الإنسانيه، ومشتملاً على ازدهاره ونموّه وتساميه فی جميع مراحل حياته.

بلوغ القرب الإلهی: إنّ الشعور والإحساس بنتائج وثمار كلّ نشاط يعتبر عاملاً محركاً فی مواصلته والشروع فی النشاط التالی، بيد أننا فيما يتعلّق ب - (القرب الإلهی) - الذی هو الهدف النهائی فی الإسلام - نتساءل: كيف يكون الشعور بالنتيجه والثمره؟ بعباره اخری: أنّ الفرد فی نهايه الكثير من السلوكيات والأعمال التی يمارسها يحصل على الأهداف التی توخاها من القيام بتلك الأعمال، من قبيل: الشعور بالصحه والعلاج بعد تناول الدواء، أواستيعاب الدرس بعد قراءته وما إلی ذلك؛ فكيف يكون الشعور بالقرب من الله وتأثيره فی الحياه؟ وما هی الوسيله وبأی عنصر من العناصر ندرك القرب الإلهی وتأثيره على حياتنا؟ إذا كان هذا الهدف - طبقاً للخصوصيه الثالثه التی ذكرناها له - يمكن الوصول إليه بعد القيام ببعض الأعمال الجزئيه للغايه، كيف يمكن الشعور بنتائجه فی حياه الإنسان؟

۱- (۱)) إن المراد من المراتب هنا هی سلسله المراتب الطوليه، وكثره المراتب فی سلسله المراتب الطوليه لاـ يؤدی إلی تعدد الأهداف؛ إذ إن كل واحد من أجزاء السلسله الطوليه يقع تحت المرتبه الأعلی منه. أما الذی يوجب التعدد والكثره وعدم الاتحاد فهو الارتباط العرضی.

إن هـذه الأسـئله ناظره إلى كيفيه وطريقه تأثير الهـدف النهائى على مسار الجهود والأنشـطه اليوميه للحياه، دون أصل التأثير. وأن مضـمون هذه الأسـئله لا يتعلّق بإمكان تأثير الهدف النهائى والوصول إليه، بل بكيفيه الشعور به وفهمه واستيعابه. بمعنى أنه كيف يمكن لنـا الإحسـاس بالقرب الإلهى؟ وذلك لأن الأصل الهام فى إيجاد الشوق والحركه، هو إدراك النتيجه، وليس مجرد تحقق وجودها.

نبـدأ الإجابه عن هـذه الأسـئله، ببيان هـذه النقطه وهى: أنّ الهدف والنتيجه فى الدين تتناسب والبنيه الوجوديه للإنسان. وهى بنيه وتركيبه لاـتنظر إلى الوضع الحالى (الآنى) وحسب بل تنظر إلى المسـتقبل والأبـديه، وبإدخال هـذين العنصـرين فى مسار الحياه، يتم احتواء النتائـج المنشوده والحاصـله من بلوغ الهدف النهائى. وبعباره اخرى: كما تقدّم أن ذكرنا فإنّ الإنسان يسـتطيع الوصول إلى الهدف النهائى - ألا وهو القرب من الله - من خلال القيام بكلّ عمل مهما كان ضـئيلاً وجزئياً، شـريطه أن يقوم ذلك العمل على أساس من ذلك الهدف النهائى. ولو نظرنا بهذه الرؤيه ستكون النتيجه المنطقيه المترتبه على الأعمال الواقعه فى إطار القرب من الله، مختلفه عن تلك المترتبه على الأعمال الفاقده لهذه الخصوصيه، وسوف تترك آثاراً مختلفه على روح الإنسان وحياته.

إنّ الأعمـال التى تتحقق من خلاـل الالتفـات إلى الهـدف النهائى المتمثّل بالقرب من الله تحمل للفرد نتائـج إيجابيه قيّمه توفر له الأرضيه للتقدّم والتطوّر والارتقاء - على المستوى النفسى والروحى - نحو المراتب والمراحل العليا.

وعلاـوه على انعكـاس التـأثير الإيجـابى لهـذه الأعمـال على روح الإنسـان ونفسه، فـإنّ تحققهـا الخارجى يكون مقترناً بالمصالح الفرديه والاجتماعيه؛ لأنّ هذه الأعمال إنّما يكتب لها التحقق الخارجى فى الإطار المحدد من قبل

الـدين وبإشـراف كامـل من الأـمر الإـلهى. وعلى هـذا الأسـاس فإنّ صـلاح وطهر وتطبيق العمل على وقائع حياه الإنسان، وتأثيره الإيجابى على روح الفرد ونفسه، رهن بحجم ومقـدار اهتمامه بالقيام بالعمل من أجل الله (تعالى) وفى سبيله. إنّ هذا التوجه ليس مجرّد عنايه شكليه أو صوريه، بل إنّ آثارها تلفت انتباهنا إلى بذل الجهود وتكثيفها من أجل تحسين العمل وإبراز الواقع والعمل الـدؤب على الإصـلاح. إنّ التـأثير الآنى والمرحلى لهـذا التوجه علاوه على الشـعور بالرضا الـداخلى والروحى، تترتب عليه أبعاد حقيقيه وخارجيه بالكامل، ويمكن تطبيقها على واقع الحياه. وبالإضافه إلى هـذا الأمر الناظر إلى البعـد الوجودى من الإنسان (أى حاجته إلى الحصول على إجابه فوريه وسـريعه بشأن بلوغ النتيجه المنشوده بعـد العمل)، فإن هذا الهدف فى المسار الأبدى لحياه الإنسـان الروحيه يكون مؤثراً أيضـاً؛ لأـن تـأثير الأعمال الجزئيه للإنسان – طوال حياته – على روحه ونفسه، يؤثر فى بناء سـلوكه وشخصيته.

فى الحقيقه فـإنّ شخصـيه الإنسـان تتبلور من خلاـل الربـط والتلفيق بين آثار الأعمال فى نفسه وروحه على مرّ الزمن، وهى ذلك البعـد من وجود الإنسان الـذى يمثل – من الزاويه الدينيه – أصـله وتركيبته. إن الإنسان يواصل حياته الأبديه من خلال شخصـيته هـذه التى تبلورت فى الحيـاه الـدنيا. إنّ تأثير الأعمال الصالحه والطالحه على منظومه الإنسان الشخصـيه دائمى، من هنا فإنّ الفرد إذا احتفـظ بسـلامه شخصـيته، وسار فى حياته على أساس من الفطره الإلهيه الطاهره، فإنّه سـيرى النتائـج الإيجابيه المتمثله بالأجر الإلهى فى الحياه الآخره.

الهدف الغائى من وجهه نظر الإسلام

يمكن الاسـتنتاج من البحوث السابقه أنّ الهدف الغائى – الذى هو حقيقه مطلقه ومسـتوعبه لجميع القيَم – من وجهه نظر الإسلام هو الله سبحانه وتعالى.

فهو المطلق والكامل هو المحور لجميع أفعال الإنسان. والمراد من محوريه الله وكونه هدفاً هو حضوره فی صلب الحیاه. وفی الأساس لیس دور الهدف النهائی فی مسیره الحیاه سوی استمرار حضور الله والشعور بهذا الحضور. إنّ هذا الهدف هو حقیقه تعود إلیها جمیع الفضائل والکمالات. إنّ القرب من الله، والعلم بالله، والإیمان بالله، وما إلی ذلک، ناظر إلی حقیقه واحده، ألا وهی الله.

ومن هنا یجب أن یکون (الله) نفسه - الذی هو حقیقه أزلیه - هو المحور، ولیس الأمور التی تربطنا به بنحو من الأنحاء. وقد عبّر القرآن الکریم عن هذا الارتباط بعبارات ومفاهیم مختلفه، من قبیل: القرب من الله، والوصول إلی الله، والعبودیه، والطهر، والحیاه الطیبه، والإیمان بالله. إنّ جمیع هذه المفاهیم تشیر إلی بیان کیفیه ارتباط الفرد بالله، وفی الوقت الذی تشتمل علی هدف خاص، فإنها تلعب دور الوسیط أیضاً، والذی یکون هو المحور والأصل هو الله والحقیقه الواحده التی تقع معیاراً لجمیع هذه المظاهر وغیرها. کما أن الفلاح والسعاده والفوز العظیم هی من المفاهیم التی تشرح کیفیه الارتباط بالله، وتجعل من الهدف النهائی أکثر وضوحاً(۱).

إنّ عطاء الله اللامتناهی من الجنه وجنه عدن والفردوس والرضوان، إنّما هی مظاهر عن نتیجه ارتباط الإنسان بخالقه، وحتی القرب من الله لیس هو الهدف النهائی، وإنّما هو مجرد نموذج عن الارتباط الأکمل بین الإنسان والإله. وعلیه لو استنبط مفهوم الهدف من هذه النماذج والأهداف، وتم إطلاقه علیها، فإنه یصبّ فی مطلوبیه تلک الحقیقه الواحده، ألا- وهی الله سبحانه وتعالی. إن التوجّه إلی الله یعتبر فی الإسلام محوراً لجمیع العقائد والأسالیب التربویه وکافه القوانین والبرامج التوجیهیه فی الإسلام، وقد تم بناء صرح حیاه الفرد المسلم علی أساسٍ من هذه القاعده. إنّ جمیع المناهج

۱- (۱)) انظر: المجادله: ۲۲؛ هود: ۱۰۸؛ النور: ۵۲.

التربويه فی الإسلام تحکی فی حقیقتها عن الارتباط الوثیق بین الإنسان وخالقه، وإن جمیع الفروع والأقسام التربویه تنشأ من هذا الارتباط وکیفیته، وإن مآل جمیع الأمور فی الختام إلی الله سبحانه وتعالی.

وفیما یلی نشیر إلی بعض المفاهیم القرآنیه التی تحکی عن الارتباط القائم بین الإنسان وبارئه:

۱. العبودیه: تعتبر العبودیه، والحصول علی الحیاه الطیبه، والقرب الإلهی فی القرآن الکریم من مصادیق السعاده. وقد جاء الأنبیاء (علیه السلام) لیوصلوا الإنسان إلی هذه السعاده. بید أنّ السعاده لیست رهناً بکسب العلم أو الحصول علی اللذه أو المزید من القوّه والسلطه وما إلی ذلک(۱). وإنما تحصل سعاده الإنسان من خلال الارتباط مع الله، وقد عبّر القرآن الکریم عن هذه السعاده بالعباده، وذلک إذ یقول الله تعالی: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ۲ .

إن العباده هی الغایه من خلق الإنسان. وإن الإنسان السعید من وجهه نظر القرآن هو الذی یصل إلی هذا الهدف. وقد اعتبر النبی إبراهیم (علیه السلام) أسوه السعداء، ولسان حاله یقول: إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ۳ ؛ قُلْ إِنَّ صَلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ .(۲) وفی المقابل فإنّ الذین یتمرّدون علی عباده الله، ویقیمون أساس حیاتهم علی غیر جهه الله، لیس لهم من مصیر غیر الرزوح فی الشقاء، قال الله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِی سَیَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِینَ .(۳)

۱- (۱)) انظر: مطهری، مرتضی، هدف زندگی (هدف الحیاه): ۱۲.

۲- (۴)) الأنعام: ۱۶۲.

۳- (۵)) غافر: ۶۰.

۲. القرب: إن المفهوم الآخر الذی یبیّن کیفیه الارتباط بالله هو مفهوم القرب. والمراد من القرب لیس هو القرب الزمانی أو المکانی، بل هو القرب الارتباط الروحی والمعنوی. وهو ارتباط یمدّ جذوره فی أعماق وجود الإنسان وشخصیته، ویقرّبه من الله حقیقه.

۳. الحیاه الطیّبه: لقد استعمل هذا المفهوم أیضاً لبیان کیفیه الارتباط بالله، قال تعالی: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیاهً طَیِّبَهً۱ .

والمراد من الطهاره - بالإضافه إلی الطهاره الجسمانیه - هی طهاره النفس والروح الشامله. وإن طهاره الروح - التی یطلق علیها فی عرف الإسلام اسم الطهاره الکبری - إنما تتبلور فی أصل التوحید، وتشمل جمیع التعالیم العقائدیه، وأصول الأخلاق العملیه، والأعمال الشرعیه(۱). إنّ القرآن الکریم یری أنّ الإنسان المطهّر هو الذی أدرک حقیقه الهدایه القرآنیه، وذلک إذ یقول تعالی: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ * فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ * لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ۳ . إن القرب الإلهی هو المقام الأرفع الذی ناله أهل البیت (علیه السلام) بوصفهم المصادیق الکامله حیث یصلح التأسی بهم واتخاذهم من قبل الناس قدوه لهم، قال تعالی: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً۴ . والمراد من الطهاره فی هذا المورد، الطهاره الکبری أیضاً، وهی تساوق الاعتقاد بالحق. وعلیه یکون المراد من تطهیر أهل البیت هو تجهیزهم بإدراک الحق فی الاعتقاد والعمل.(۲)

۱- (۲)) راجع: المیزان فی تفسیر القرآن، العلامه الطباطبائی: ۱۸۰/۲، تفسیر الآیه: ۲۲۲ من سوره البقره.

۲- (۵)) المیزان فی تفسیر القرآن: ج ۱۶، تفسیر الآیه ۳۳ من سوره الأحزاب.

وهنـاك فی القرآن الکریم تعابیر اخری لبیان نتیجه الوصول إلی الهـدف أیضـاً(۱) ، بیـد أنّ هـذه الموارد إنّما هی مجرد مظاهر لنیل الهدف النهائی الذی یمکن تحصیله من خلال المحافظه علی مراتب کمال الإنسان فی مختلف المراحل.

بحث خاص

لو آمنا بأنّ الله حقیقه واحده وأنه المحور والهدف النهائی، وأنه یجب أن تنتهی جمیع حرکات الإنسان - من وجهه نظر الإسـلام - إلیه، یرد هذا السؤال القائل: کیف یتسـنّی لنا أن ندرک حقیقهً هی خارج وجود الإنسان، والوصول إلی اکتشافها بوصفها هدفاً تربویاً؟ وبعباره أخری: إن الـذی یؤثر فینا لا یمکن أن یکون أمراً خارجیاً، وإذا أراد الأمر الخارجی أن یؤثّر فینا، فلا شک فی أن تـأثیره سـیکون من خلالنا. من هنا فإن التأثیر التربوی للهـدف یقتضـی أن یکون له أثر نفسانی فی أرواحنا وکیاننا. ولـذلک فمن الأفضـل اعتبـار ذلـک الأـمر الـذی یؤثر فی أرواحنـا بوصـفه هو الهـدف النهائی. فمثلاً: إنّ القرب من الله مفهوم ینتزع من کیفیه ارتباطنـا بـالحقیقه الخـارجیه (الله)، وإن هـذا الارتبـاط الوثیق هو الـذی یؤثر فی ضـمیرنا. ولکن کیف یمکن لنفس وجود الله أن یکون هـدفاً؟ وذلـک لأـن وجوده غیر وجودنـا، وأن الوصول إلیه لیس من قبیـل الوصول إلی الهـدف والمقصـد المکانی. ففیما یتعلّق بالوصول إلی الهدف المکانی یمکن لنا أن نقطع مسافه محدده، لنصل إلی ذلک المکان المنشود، ولکن کیف

۱- (۱)) وهی مفاهیم من قبیل: الجنه، وجنه عـدن، والنعیم، والفردوس، والرضوان الإلهی فی آیات من قبیل: الآیه ۵۷ و ۱۲۲ من سوره النساء، والآیه ۸ من سوره البینه، والآیه ۹ من سوره یونس، والآیه ۱۰۷ من سوره الکهف، والآیه ۱۵ من سوره آل عمران، والآیه ۲۷-۳۰ من سوره الفجر.

يمكن تحقيق ذلك بالنسبه إلى الوصول إلى الله بوصفه حقيقه خارجيه؟ كيف يمكن اعتباره هدفاً ومقصداً، يمكن بلوغه فى نهايه الطريق وانتهاء الحركه؟ للإجابه عن هذا السؤال لا بد من التذكير بهذه النقطه الهامّه وهى: الوصول إلى هدف وغايه خارج وجود الإنسان، لا يعنى الاتحاد مع ذلك الهدف، وإنّما يعنى قيام نوع من الارتباط المنطقى والمعقول مع الهدف، والسعى إلى الوصول إليه. إن هذا النوع من الارتباط يختلف باختلاف الموارد؛ فمثلاً: عندما أقول: إن غايتى وهدفى هو الوصول إلى المدينه الكذائيه، فهذا لا يعنى أنى أريد أن أتحد مع تلك المدينه، وإنما يعنى الحلول فيها، أو مثلاً: عندما أقول: إن الهدف من الجهود التى بذلتها فى الجامعه هو الحصول على شهاده جامعيه، يكون المراد هو الحصول على تلك الشهاده. وهكذا عندما أقول: (هدفى هو الله)، لا يكون المراد هو الاتحاد مع الله، بل الارتباط به فى إطار التقرّب منه، ومحبّته وعبادته. ومن هذه الناحيه لا إشكال فى أن نعتبر الله هدفاً نهائياً، ولكن يجب بيان الأثر التربوى للوصول إليه فى قالب القرب الإلهى وغير ذلك من المقولات التى تفهم من طريقه ارتباطنا بذلك الوجود المتعالى. وعليه فإننا إذا كنا نأخذ القرب الإلهى بوصفه هدفاً نهائياً، فإن ذلك يعود إلى أن الأثر التربوى لهذا التعبير أكثر قابليه للفهم والاستيعاب، وإلّا فإنّ القرب الإلهى يعكس ذات ارتباطنا بالله. كما يجدر التذكير بهذه النقطه الهامّه وهى: أنه يمكن القول: إن هناك مفهومين للقرب، أحدهما عام والآخر خاص. والمراد هنا هو المفهوم العام من القرب. بمعنى القرب الشامل لكافه نشاطاتنا (فيما إذا كانت ذات توجّه إلهى)، وإلّا فإن القرب بمعناه الخاص الذى تمّ التعبير عنه فى آيات القرآن الكريم تحت عنوان المقربين، فهو يختص بفئه

خاصه من أصحاب التقوى، ولا يشمل من هم دونهم فى المراتب التى لا ترقى إلى مراتبهم.

القسم الثانی: الأهداف العامّه (الوسیطه)

اشاره

ص:۶۹

إنّ المراد من الأهداف الوسيطه هى سلسله من الغايات العامه، التى يجب تحديدها بشكل أوضح، من أجل تبديلها إلى سلوكيات جزئيه. إن هذه الأهداف – بالقياس إلى الهدف النهائى – ذات سعه أدنى، وهى تمثل الحد المتوسط بين الهدف النهائى والأهداف السلوكيه والجزئيه. إنّ الأهداف الوسيطه تعمل على إيضاح مسار حركه الإنسان إلى حدٍّ ما، وهى تشكل مجموعه يتبلور هيكل الهدف النهائى من خلال ارتباطها ببعضها. ومن ناحيه أخرى، فإن كل هدف عام إنما هو ثمره سلوكيات محدده صدرت عن الإنسان عبر الزمن طبقاً لبرنامج محدد. ولكن ما هى الفلسفه من وجود الأهداف الوسيطه؟ ألا يمكن للهدف النهائى أن يلبى حاجاتنا؟ وهل نعجز عن الوصول إلى الهدف النهائى من خلال تحقيق الأهداف الجزئيه دون اللجوء إلى الأهداف الوسيطه؟ للإجابه عن هذه الأسئله، من الضرورى الالتفات إلى أهميه تحديد الأهداف الوسيطه، ولهذه الغايه سنبحث فوائد هذه الأهداف على النحو الآتى:

١. تبويب مراحل الهدف النهائى: إنّ الأهداف الوسيطه صوره مبوبه ومرحليه للوصول إلى الهدف النهائى، وهى فى المجموع تشكّل الهدف النهائى. إن السبب الكامن وراء تقسيم الهدف النهائى إلى أهداف وسيطه هو

إيضاحها وإزاحه الغموض عنها، ليتمكن المرء من التعرّف بوضوح إلى مسؤوليته ومهمته فى كل مرحله من المراحل.

۲. تبويب الأهـداف على أسـاس مراحل الحياه: إن لحياه الإنسان مراحل واقعيه وغير اعتباريه. وإن مهمه الهـدف النهائى تنحصـر فى تحديـد الاتجاه والمسار، وأما تحديـد كيفيه سـلوك واجتياز هـذا المسار فلا تقع على عاتق الهـدف النهائى. وإنما تقع أعباء هـذه المهمه على كاهـل الأهـداف الوسـيطه. ومن ناحيه أخرى، هناك فى طريق الحركه، الكثير من المشاكل والعقبات والموانع التى يتوقّف رفعها وتجاوزها على كيفيه اجتياز الطريق، ولا يكفى مجرد معرفه المسير. وعليه فإن مهمه الهدف النهائى تنحصر فى تحديـد المسار، وأما مهمه الأهـداف الوسـيطه فهى بيان كيفيه الطريق والمراحل التى تؤدى إلى الأهـداف النهائيه على المسـتوى العملى. فمثلاً: إن الهدف النهائى للتربيه الإسـلاميه هو القرب من الله، وهذا هدف وسـيط يحدد كيف يمكن للمرء أن يصبح من المقربين.

۳. الإسـراع فى الحصول على المكافأه: إن من بين أسـس علم النفس التحفيزى هو الحصول على المكافأه عنـد إنجاز العمل. إن مراعـاه هـذه النقطه تحظى بـأهميه بـالغه من أجـل تحفيز الإنسـان واسترضائه للحصول على النتائـج المطلوبه. إن الأداء التحفيزى للأهداف الوسـيطه يرمى إلى الحصول على النتائج المطلوبه والملموسه فى سياق الوصول إلى الهدف النهائى، وفى الحقيقه، فإن اجتياز كل مرحله يشكّل بارقه أمل للتحرّك باتجاه المرحله التاليه، وخطوه ضروريه للوصول إليها.

بحث خاص

إنّ ما قيل من أن الأهداف الوسيطه هى ذات الهدف النهائى الذى تمّ

تقسیمه إلی مراحل مختلفه، لا یعنی بالضروره أن الزمان یلعب دوراً فی ماهیه هذه المراحل، فإن الارتباط بین المراحل الوسیطه والهدف النهائی هو ارتباط منطقی قبل أن یکون ارتباطاً زمنیاً، بمعنی أنّ إنجاز کل مرحله لا یکون إلّا بعد اجتیاز المراحل السابقه لها. إن الارتباط بین الأهداف الوسیطه إما طولیّ أو عرضیّ. وفی الارتباط العرضیّ لا یکون هناک تقدم زمانیّ بین بعض الأهداف وبعضها الآخر، وکذلک لیس هناک بینها تقدم بحسب الرتبه. وأما فیما یتعلق بالارتباط الطولیّ فهناک تقدّم زمنیّ وتقدم بحسب الرتبه بین الأهداف. وبالطبع فإن نفس الارتباط الطولیّ لا یستوجب ضروره منطقیه، وقد حدث کثیراً أن طوی بعض الأشخاص مسیره المئه میل فی لیله واحده.

بالالتفات إلی هذه المقدمه یمکن اختصار الأهداف التربویه الوسیطه من وجهه نظر الإسلام ضمن أربع مجموعات عامه، وهی کالآتی:

أ) الأهداف التربویه التی یکون الله سبحانه وتعالی هو محور الاهتمام فیها.(۱)

ب) الأهداف التربویه التی یکون الفرد نفسه هو محور الاهتمام فیها.

ج) الأهداف التربویه التی یکون الآخرون هم محور الاهتمام فیها.

۱- (۱)) المراد من هذه الأهداف التربویه، لیس هو المفهوم العام للارتباط؛ وذلک لأنّ کل نوع من أنواع نشاط الإنسان إذا أخذ فی سیاق الارتباط بالله یکون مشتملاً علی أثر تربوی، بما فی ذلک الأهداف التربویه التی یکون الملحوظ فیها هو الذات والآخرون والطبیعه. بید أنّ المنظور فیما یتعلق بالأهداف التربویه بشأن الله إلی جانب سائر الأهداف الوسیطه الأخری هو مفهومه الخاص، بمعنی أنه کما یکون الارتباط بالله حاکماً علی هذا الهدف، فکذلک محتوی الهدف بشأن الخالق أیضاً، من قبیل: معرفته والتوکل علیه وشکره وما إلی ذلک. لا شک فی أن هذا النوع من الأهداف یختلف عن الأهداف الأخری التی یدور محتواها وماهیتها حول غیر الله، رغم أن الارتباط بالله - بالمعنی العام - یکون حاکماً علی هذا النوع من النشاط التربوی أیضاً.

د) الأهداف التربويه التى تكون الطبيعيه هى محور الاهتمام فيها.

إنّ الإنسان معرّض على الدوام لنوع من التعامل والارتباط، فهو داخل دائره لا تسمح له بأن يتجنب التأثير والتأثر وإقامه العلاقات فيها. وإن العناصر التى يمكنها التأثير فى كيان الإنسان عباره عن: الله والآخرين والطبيعه. وإن الإنسان على الدوام فى تعاطٍ وارتباط مع عنصر واحد أو أكثر من هذه العناصر. وبطبيعه الحال فإن الارتباط مع عنصر أو أكثر لا يشكل مانعاً من الارتباط بالعناصر الأخرى. فمن باب المثال: إن الارتباط مع الذات أو الطبيعه أو الآخرين يمكن أن يكون من بعض النواحى ارتباطاً مع الله أيضاً.

إن حصر الأهداف الوسيطه فى هذه الأقسام الأربعه حصر عقلىّ. وذلك لأننا مع قليل من التسامح لا يمكننا أن نتصوّر دائره ارتباطيه أخرى خارج هذه الدوائر الأربع. إنّ الأهداف الوسيطه تمدّ جذورها فى هذه الأقسام الأربعه، ولا يمكن للطالب أن يكون له من هدف خارج هذه الأقسام الأربعه.

إنّ كل واحد من الأهداف الوسيطه الكليه يتحوّل إلى أهداف وسيطه أخرى تحكى عن أنواع أكثر جزئيه من الارتباط تحت ذلك العنوان الكلى. وإن هذه الأهداف الأكثر جزئيه تتمتع أيضاً بالكليه والشموليه، ولذلك هناك نوع من الارتباط الطولىّ بين هذه الأهداف الجزئيه وبين الأهداف الوسيطه الكليه.

الفصل الأول: الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلّق بارتباط الإنسان بخالقه

اشاره

إنّ هـذه الأهـداف تحكى عن نوع من الارتبـاط النظرىّ والعملىّ بين الإنسان وخالقه. إن ارتباط الإنسان بالله يبـدأ من معرفته به، ويتسع من خلال الانتماءات العمليه فى إطار التوكّل والشـكر. ويمكن تلخيص المحاور العامه للأهـداف التربويه فى الارتباط مع الله بمعرفته، والإيمان به، وبالتقوى الإلهيه، والعبوديه، والشعور بالتكليف، والشكر.

معرفه الله

إنّ هـذا الهـدف يمثـل مفتـاح الوصول إلى الهـدف النهائى. فإن لمعرفه الله دوراً هاماً فى القرب منه. بل لا يمكن التقرّب من الله دون معرفتـه. وإن التخلّق بأخلاـق الله، والحصـول على الإيمـان والتقـوى، والتوكّـل عليـه ومـا إلى ذلـك، كله رهن بمعرفته. إنّ المعرفه السـطحيه تقتضـى تمسّـكاً وارتباطاً ضـعيفاً. وبعكس ذلك كلّما كانت المعرفه أوسع وأكثر عمقاً، كان الارتباط أكثر قوّه واسـتحكاماً. وقـد جاء فى الروايات، الكثير من الأمور المتعلّقه بمعرفه الله، الأمر الـذى يـدلّ على أهميه هـذه المسأله. يقول الإمام على (عليه السلام): (أوّلُ الدينِ

مَعرِفَتُه)(۱). کما جاء فی الکافی: (أوّلُ الدِیانَهِ بهِ، مَعرِفَتُه)(۲). إن هذه الکلمه تحکی عن محوریه معرفه الله، وإنه لا وجود للتدین لولاها. وإن المعرفه فی هذا المقام إما حصولیه أو حضوریه.

المعرفه الحصولیه: إن هـذه المعرفه عقلیه وتجریبیه (حسیه)، وعلی الرغم من احتمـال وجود الخطأ، إلاـ أنه بإمکان المرء صـیانه نفسه عن الوقوع فی الخطأ إذا راعی بعض الشـروط.(۳) إن العلم بصـفات الله ودوره فی الحیاه بشـکل عام وحیاه الإنسان بشکل خاص، وحلّ المشاکل النظریه والاعتقادیه التی تعرض فی حیاه الإنسان، تعمل بأجمعها علی تمهیـد الأرضـیه التی تمکّن الإنسان من القیـام بوظـائفه ومسؤولیاته الـدینیه عن طیب نفس. ومن هنا فإن معرفه الله لا تنحصـر بمعرفه الـذات وصـفات الأفعال الإلهیه، وفی ضوء هذه المعرفه الرئیسه ترد المعارف العقائدیه الأخری أیضاً. إن التعالیم العقائدیه تشتمل علی طول الزمن - وبما یتناسب والثقـافه السائـده والحـاجه الفکریه - علی سلسـله من الأسـئله التی تتوقّف الإجـابه عنهـا علی المعرفه التوحیـدیه. ومن هنـا فحتی المسائـل التی یتمّ طرحها حالیاً فی البحوث الکلامیه والعقائـدیه المعاصـره یمکن اعتبارها داخله ضـمن سلسـله البحوث المتفرعه عن أصـل المعرفه الإـلهیه، والعمـل علی حلهـا فی ضوء هـذه المعرفه التوحیـدیه. ولیس هنـاک من شـک فی أن حـلّ المشـاکل العقائدیه، والاستجابه للمطالب الفکریه، والاحتراز من کل شک أو شبهه، یترک أثراً ملحوظاً علی مسیره الحرکه

۱- (۱)) نهج البلاغه: الخطبه الأولی.

۲- (۲)) أصول الکافی: ۱۴۰/۱.

۳- (۳)) المراد من ذلـک رعـایه الجوانب العملیه المقترحه من قبـل الـدین. فالإنسـان الـذی یلتزم الزهـد والتقوی والإیمـان بـالله ویجعـل هـذه الأـمور محوراً، فـإنه لا یتعرّض إلی الانحراف من خلال الإنجرار وراء الإلحاد والتشـکیک مما ینشأ فی الغالب عن الأهواء بعلم أو غفله.

التربويه للإنسان، وإن الخوض فى التعاليم العقائديه وحل معضلاتها يحضى بأهميه بالغه.

المعرفه الحضوريه: إن هذا النوع من معرفه الله راسخ فى فطره الإنسان، فإن هذه المعرفه ممتزجه بجميع أبعاده العاطفيه والنفسيه. إن المعرفه الحضوريه بالله هى التى تصوغ شخصيه الإنسان، وتحدد نظامه السلوكى والعملى. وأنّ هذا النوع من المعرفه هو علم لا يتطرّق إليه السهو أو الخطأ، وهى المرحله الوحيده التى توصل الإنسان إلى الهدف النهائى مباشره. وأنّ جميع الأهداف الوسيطه تقوم على خدمه هذا الهدف السامى، لكى نعرض عن غير الله من خلال معرفته وإدراكه الحضورى.

الإيمان

إنّ الإيمان مفهوم يحكى عن الاعتقاد الداخلى، وهو بمعنى التصديق لغه(۱). وقد استعمل فى الشرع - بالإضافه إلى معناه اللغوى - بمعنى الإيمان القلبى والالتزام فى مقام العمل أيضاً. وعليه يكون للإيمان ركنان أساسيان، وهما: الالتزام القلبى، والظهور العملى. روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (من عمل بما أمر الله (عز وجل) به فهو مؤمن)(۲) ، وعن الباقر (عليه السلام): (الإيمان إقرار وعمل)(۳). فلو أن عملاً صدر عن امرئ دون أن يعتقده قلبه فإنه لا يحكى عن إيمانه، وكذلك لو لم يكتب الظهور للالتزام القلبى، ولم يتجلّ على المستوى العملى، كان دليلاً على نقصان الإيمان وضعفه. إنّ جميع مراتب الإيمان تشترك فى أمر واحد، ألا وهو مدخل الإيمان المتمثل بالعمل بالمقتضى المشترك بين مختلف مراتب الإيمان.

۱- (۱)) لسان العرب: ۲۲۴/۱.

۲- (۲)) أصول الكافى: ۳۲/۲.

۳- (۳)) تحف العقول عن آل الرسول، الحرانى: ۲۱۷.

وعلى الرغم من توقف الإيمان على العلم والوعى (الحصولى) بيد أنّه ما من شك فى أنّ هذين المسارين يختلفان عن بعضهما. فالعلم يسعى إلى مجرّد الكشف عن الحقائق، أما الإيمان فهو أمر اعتقادى وأخلاقى، يخلق الحافز لدى الإنسان من أجل القيام بالعمل الصالح. فالعلم لا يمكن أن تكون له جهه أخلاقيه خاصه، ومن هنا فإنه لا يعمل على بناء شخصيه الإنسان وتهذيب سلوكه بالضروره، وليست لديه أى ضمانه تنفيذيه.

إنّ الهدف - من وجهه نظر الإسلام - هو الحصول على الإيمان وليس العلم البحت، لأن العلم من لوازم الإيمان الكامل، فى حين أنّ الإيمان والالتزام العملى ليسا من اللوازم المنطقيه للعلم، قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ١ .

وقد عبر القرآن الكريم عن الإيمان بالله والنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بوصفه من أهداف البعثه النبويه، وذلك إذ يقول تعالى: وَ ما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ٢ . ويقول أيضاً: لكِنِ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ٣ .

إنّ الذى يدل - فى هذه الآيات وغيرها - على التوسط من دون الإيمان، هو تعلق الإيمان بالهدف النهائى الذى هو الله، وما ذكره النبى للتقرّب منه. وفى الحقيقه أنّ الإيمان وسيله، وأنّ متعلّقه هو الهدف. وأنّ كلّ شىء يتعلّق به الإيمان يكون هو الأصل والأساس، وفيما يتعلّق بالإيمان بالله يكون الله هو الأصل والغايه النهائيه.

إنّ الإيمان هدف وسيط، ويقوم من خلال مراتبه التكامليه على هدايه

الإنسان نحو هدفه النهائی. وفی الروایات عندما یکون الحدیث عن الإیمان، فإن المراد غالباً هو الإیمان بالله، والتأکید علی محوریته. وفی ذلک روی عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

أفضل الإیمان أن تعلم أنّ الله معک حیث ما کنت)،

وعنه أیضاً: (أفضل الأعمال أن تحبّ لله، وتبغض لله)(۱).

الآثار التربویه للإیمان

إنّ المراد من الآثار التربویه للإیمان هو دور الإیمان فی الوصول إلی الهدف النهائی المتمثل بالله سبحانه وتعالی. وإن الوظیفه الملقاه علی عاتق هذا الهدف الوسیط تکمن فی إیجاد الأرضیه المناسبه لتنمیه الصفات الإیجابیه الفردیه والاجتماعیه لدی الطالب. وإن من بین أهم الآثار المترتبه علی الإیمان هی:

الطمأنینه وانشراح الصدر: یواجه الإنسان طوال حیاته أموراً تضعه أمام موقف فی غایه الخطوره، وإذا واصلها ستقضی علیه لا محاله. لقد کان تاریخ البشریه فی کل مرحله من المراحل مفعماً بالمشاکل الروحیه والنفسیه للناس الذین عاشوا فی تلک المراحل الخاصه. ففی مرحله من مراحل التاریخ کانت الکوارث الطبیعیه والحروب المدمّره تعرّض حیاته للخطر، والیوم یشعر بالوحده والیأس وانعدام الأمل بسبب هیمنه الحضاره الغربیه. فهل هناک من حلول لمواجهه الوضع المأساوی الراهن؟ وهل کتب علی الإنسان أن یعیش فی قلق دائم؟ ینظر الإسلام إلی الإنسان بوصفه کائناً قویاً جداً، ولذلک فإنه یستطیع التغلّب علی جمیع المشاکل، وإن الإیمان من العوامل التی تزوّده بهذه القوّه. وبعباره أخری: إن الإیمان بالإضافه إلی أنه یجعل الإنسان عضواً

۱- (۱)) میزان الحکمه، ری شهری: ۳۱۷/۱.

فاعلاً فی المجتمع، فإنه یحصّنه من خطوره المشاکل الروحیه والنفسیه، ویحلّ له مشاکله الاجتماعیه والفردیه.

إن الإنسان المعاصر وبسبب افتقاره إلی الإیمان الدینی، أخذ یلجأ - من أجل التغلب علی مشاکله الروحیه والنفسیه - إلی بناء وتوسیع الآراء الفلسفیه والنفسیه. وعلی الرغم من أن هذه الخطوات تبعث الأمل لدی الإنسان وتعطیه جرعه من التفاؤل النسبی، إلا أنها لا تستطیع الهیمنه علی شخصیته، أو أن تسیطر علی سلوکه. فالإنسان بحاجه إلی عنصر یکون علی الدوام فی متناول یده، وأن یکون جزءاً من شخصیته. ولیس هذا العنصر إلا الإیمان الدینی. إن الهدوء النفسی والطمأنینه القلبیه - من وجهه النظر الدینیه - لیست مسأله یمکن للإنسان أن یوجدها ویخطط لها، وإن الإنسان لا یمکنه الحصول علی الطمأنینه إلّا من خلال التمسک والتشبّث بقدره أسمی منه. إن انخفاض نسبه الامتعاض، ومقاومه الصعاب والآلام والمصائب والإخفاق والفقدان ومراره الهزائم، بحاجه إلی قوّه تمکّن الإنسان من مواجهه هذا النوع من المشاکل. وهذه القوه لا یمکن للإنسان أن یحصل علیها إلا فی ضوء الإیمان الدینی، قال الله تعالی فی محکم کتابه الکریم: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِینَهَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ لِیَزْدادُوا إِیماناً مَعَ إِیمانِهِمْ۱ .

إنّ النشاط والانبساط والتفاؤل والأمل واللذه المعنویه وکل ما هو ضروری للحصول علی الطمأنینه الروحیه، لا یمکن للمرء أن یحرزه إلّا من خلال الإیمان الدینی. وأنّ ما یؤدی إلی الحیاه الضیقه والکبت من وجهه نظر القرآن الکریم هو عدم الإیمان بالله، والغفله عن هذا الإیمان ونسیانه، قال تعالی: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی۲ .

وعليه فإنّ الحياه فى ظلّ الإيمان الدينى، تعتبر طوق نجاه يخلّص الإنسان من جميع المآزق، ويمنحه الهدوء والطمأنينه.

تجنّب المعصيه: إن من بين الآثار الإيجابيه الأخرى المترتبه على الإيمان، تجنّب الأعمال القبيحه. إن المؤمن لا يلوّث حياته الطاهره بشوائب الحياه وأدرانها. وهو ما دام متحلياً بزينه الإيمان فهو فى مأمن من الانحراف، ولكنه ما أن يتلوث بالمعصيه حتى ينحرف عن هذا المسار وينحدر فى وادى السقوط، وعندها يفقد حصنه المنيع المتمثّل بالإيمان. وأساساً فإن ميزه الإيمان الدينى هو أنه يصون الفرد المؤمن ويحفظه من اقتراف الذنوب. وعليه فإن العاصى لا يمكن أن يكون مؤمناً. وهناك روايات تشير إلى هذا الأمر بشكل مباشر، حيث تقول: إنّ الشخص الذى يرتكب المعصيه، لا يكون مؤمناً عند ارتكابها. فقد سُئل الإمام على (عليه السلام) عن الكبائر التى تُخرِج من الإيمان؟ فقال:

«نعم، وما دون الكبائر، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن».(۱)

وهناك من الروايات ما اعتبرت الإيمان مشروطاً بأداء الطاعات وتجنب المعصيات، وأشارت إلى أن الفرد عندما يرتكب المعصيه فإنّ روح الإيمان ستفارقه. وسئل الإمام محمد الباقر (عليه السلام) عن قول رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان؛ قال: (هو قوله عزّ وجل: وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ۲ ، ذلك الذى يفارقه».(۲)

وفى الحقيقه فإن أحد أركان الإيمان هو العمل بالمعتقدات القلبيه. فالإنسان إذا لم يعمل بما يعلم، لا يكون فى الحقيقه مدركاً لماهيه ما علم،

۱- (۱)) بحار الأنوار: ۶۳/۶۹.

۲- (۳)) بحار الأنوار: ۱۹۰/۶۹.

ولا يكون مؤمناً بما علم. وإن روح وجوهر الإيمان بالله هو الاحتراز من المعاصى؛ وذلك لأن المرء إذا أراد الوصول إلى الهدف النهائى وجب عليه اجتياز مراحل تجعله مستعداً للقرب من الله، وإن الإيمان هو أحد الأهداف الوسيطه التى تقوم بهذه المهمه.

دور الإيمان فى الحياه الاجتماعيه: إنّ سلامه المجتمع رهن بسلامه جميع أفراده. فلو أن جميع أفراد المجتمع كانوا يتمتعون بالإيمان الإلهى، فإنهم سوف يحضون بمجتمع طاهر وبعيد عن جميع أنواع التشتت والانحراف. إنّ المجتمعات الإنسانيه التى تتمتع بخصائص الإيمان الدينى - من الهدوء والسكينه والبعد عن المعاصى - سوف يتمكّن أفرادها لا محاله من إقامه المجتمع السليم الذى يحترم أبناؤه القوانين والحقوق ويحافظون على حدودهم ولا يعتدون على حدود الآخرين، ويعتبرون العداله أمراً مقدّساً، ويثقون ويعتمدون على بعضهم. وإن الضمانه التطبيقيه والتنفيذيه فى هذا المجتمع ليس هو الخوف من القوى العسكريه والعناصر التأديبيه، بل هى الكيفيات الروحيه والإيمان الذى يتحلى به أفراد ذلك المجتمع، خلافاً للأفراد فى الكثير من المجتمعات الأخرى التى تكون فيها الضمانه الإجرائيه والتنفيذيه - لإطاعه القوانين ورعايه النظم والآداب الاجتماعيه - ذات مناشئ بعيده عن الإيمان والعواطف القلبيه، حيث تقتصر على التوقعات المتبادله والخوف من العناصر التأديبيه الوضعيه. إن الناس فى مثل هذه المجتمعات محرومون من إقامه العلاقات العاطفيه والأخلاقيه، وهم يرزحون تحت وطأه سلطه الحكومه أو النظام الاجتماعى السائد، وما أن تغيب هذه العناصر المذكوره حتى يكشفون النقاب عن شخصياتهم الحقيقيه، ويرتكبون جميع أنواع الجرائم والموبقات من أجل تحقيق أهوائهم ورغباتهم، معرضين بذلك سلمهم والسلم الاجتماعى للخطر.

إن هدايه المجتمع تكون فی ظل الهدايه الفرديه، وإن الإيمان الدينی هو وحده الذی يستطيع تنظيم العلاقات بين الأفراد من خلال المحافظه علی بعض النواحی والأبعاد المحدده، من أجل البلوغ بهذه العلاقات إلی أعلی مراتبها. إن المنطق الاجتماعی للإسلام يری سلامه المجتمع متفرعه عن السلوک الإيمانی لدی الأفراد، معتبراً هؤلاء الأفراد بمنزله الجسد الواحد، بحيث لو أصاب الألم عضواً من أعضائه شعر الجسد بأكمله بذلک الألم، روی عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«المؤمنون فی تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكی [منه عضو] تداعی له سائره بالسّهر والحمّی».(۱)

وروی عن رسول الله (صلی الله عليه و آله) أنه قال:

المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد علی من سواهم، ويسعی بذمّتهم أدناهم(۲).

التقوی

اشاره

إنّ التقوی كلمه شائعه فی النصوص الدينيه (الكتاب، والسُنّه). وهی مأخوذه من (وقی) التی تعنی: الحفظ والصون والوقايه. فالتقوی تعنی: المحافظه علی النفس، فالمتقون هم: الذين يحفظون أنفسهم. وأنّ استعمال كلمه التقوی بمعنی الخوف، والكفّ، والاحتراز لا يعكس المعنی الحقيقی للتقوی، فإنّ هذه الأمور إنّما هی من لوازم حفظ النفس وصيانتها من شیء ما، فالخوف من ذلک الشیء من الأمور المترتبه عليه. فمثلاً: إذا قيل: (اتقوا النار) كان المعنی قوا أنفسكم من عذاب النار والعذاب الإلهی، وبالمعنی المجازی أی خَفُوا من النار، وعندما يقال: (اتقوا الله) كان معنی ذلک ادخلوا فی دائره الحفظ الإلهی، وإذا استعمل مجازاً فی

۱- (۱)) المصدر: ۲۷۴/۷۴.

۲- (۲)) كنز الكراجكی: ۹۲/۱.

الخوف من الله، لم يكن المعنى التخافوا من الله، بل المراد لتخافوا من العقوبه المترتبه على الخروج عن الحدود الإلهيه. وبهذا المعنى فإنّ على المؤمن أن يخشى على الدوام من مغبّه طغيان نفسه الأمّاره وأهوائه المتمرّده، كى لا يفقد السيطره على زمام عقله، وأن يثق على الدوام بعون الله له.

وعلى هذا الأساس يكون معنى التقوى هو الصيانه، والصيانه على نوعين، وهما:

١. الصيانه السلبيه: بمعنى أن يبادر المرء إلى الابتعاد عن المقدّمات التى من شأنها أن تؤدى به إلى الوقوع فى المعاصى. وفى الحقيقه فإنّ تجنب الدخول فى دائره المنكرات، يحفظ الإنسان ويقيه من السقوط فى مستنقع الرذيله. وقد أشارت بعض الروايات إلى هذا المعنى من التقوى، إذ روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (التقوى اجتناب)(١).

٢. الصيانه الروحيه: بمعنى أن الإنسان حتى إذا وجد نفسه فى مناخ الرذيله، إلّا أنّه - حيث يتمتع بروح طاهره ومحصنه تجاه ارتكاب المعاصى - يستطيع صيانه نفسه عما يدنّسها. وفى هذه الحاله يكون المرء على درجه أكبر من التقوى بالقياس إلى الحاله السابقه. وإن حصر حقيقه التقوى بتجنب الدخول فى الأماكن الموبوءه بالمنكر ليس صحيحاً؛ وذلك لأن هذا التفسير يؤدى بالتدريج إلى شيوع ثقافه العزله والابتعاد عن المجتمع. ومن هنا فإنه وإن كان من الواجب فى بعض الأحيان سلوك الحاله الأولى لتجنب الوقوع فى المنكر، إلا أنه من الأفضل للإنسان أن يعزز فى نفسه الحاله الثانيه بأن يوجد فى نفسه العصمه من اقتراف الذنوب، لكى يتمكن من اجتناب المعاصى حتى إذا دخل فى مناخها، مارس دوره ومسؤوليته الاجتماعيه بشكل طبيعى.

وقد تمت الإشاره فى الآيات الكريمه والروايات الشريفه إلى هذا النوع

١- (١)) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدى.

من التقوى. من ذلك قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ١ . وروى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (من ملك شهوته كان تقياً)(١) ، وروى عنه أيضاً أنه قال: (عند حضور الشهوات يتبيّن ورع الأتقياء)(٢). وهناك فى الروايات أيضاً تعبيرات، من قبيل: «إنّ التقوى حصن حصين وإنها خير ساتر» الأمر الذى يحكى عن أن التقوى تحفظ الإنسان عند هجوم المعاصى والذنوب عليه، ومن ذلك قول الإمام على (عليه السلام): (أمنع حصون الدين، التقوى)، وقوله: (ثوب التقى أشرف الملابس)(٣).

وبالطبع فإن توظيف كلتا الحالتين من الناحيه التربويه يكون هو الأنجع والأولى.

١. التقوى هدف وسيط

بمعنى أن التقوى مرحله من الازدهار الدينى والإلهى، وأنّ الوصول إليها وتحقيقها يعتبر أمراً ضرورياً ومطلوباً فى الكثير من الموضوعات الدينيه. وقد تمّ تعريف التقوى بوصفها هدفاً وغايه للسلوك والنشاط الدينى فى الكثير من الآيات والروايات، ومن ذلك اعتبار التقوى غايه لبيان الآيات الربانيه، من قبيل: قوله تعالى: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ٥ . واعتبار عباده الله مقدّمه للحصول على التقوى، من قبيل: قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ٦ . واعتبار تشريع

١- (٢)) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدى.

٢- (٣)) المصدر.

٣- (٤)) المصدر.

الأحكام مقدّمه للحصول على التقوى، من قبيل: قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ١ ، وقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ٢ ، وما روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

التقوى غايه لا يهلك من اتبعها، ولا يندم من عمل بها؛ لأن بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصيه خسر الخاسرون.(١)

وعنه (عليه السلام) قال:

وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه.(٢)

٢. اختلاف التقوى عن الإيمان

إن التقوى من الأهداف الوسيطه وهى على مستوىً مختلف عن الإيمان. وعلى الرغم من أنّ التقارب بين هذين المفهومين أمرٌ لا يمكن إنكاره؛ فالتقوى هى المنشأ والمصدر بالنسبه إلى الإيمان الحى والفاعل، حتى تمّ اعتبار الإيمان فى بعض الآيات ظرفاً للتقوى، وكأنّ مرحله من الإيمان تكون ممتزجه بمرحله من التقوى، كما فى قول الله تعالى حكايه عن النبى عيسى بن مريم (عليه السلام): قالَ اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ٥ ، وقول الله تعالى: وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ٦ ، وقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ٧ .

بيد أننا فى مقام الانتزاع يمكننا أن نعتبر التقوى مرحله أعلى من الإيمان فى

١- (٣)) كنز العمال: الخطبه: ۴۴٢١۶.

٢- (۴)) نهج البلاغه: الخطبه رقم ۵٧.

سلسله مراحل القرب من الله. فإن مجرّد الإيمان لا يكون كافياً فی حصول الرحمه ونزول البرکات الإلهيه. بل إن الذی يجعل المجتمع مستعداً للحصول علی النعم والبرکات الإلهيه هو الوصول إلی المراحل الأعلی والأسمی المتمثله بالتقوی الإلهيه. وفی ذلک قال الله تعالی فی محکم کتابه الکريم: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَکاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ١ . وهناک آيات ذُکرت فيها التقوی بعد الإيمان للصعود إلی المراحل الأعلی من أجل الحصول علی النعم والبرکات الإلهيه، من قبيل: قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْکِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَکَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ٢ ، وقوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ لَوْ کانُوا يَعْلَمُونَ٣ . وعليه فإن التقوی حاله روحيه تهيمن علی نوايا وأفعال وسلوکيات الإنسان، وتستوعب شخصيته بشکل عام.

وعلی الرغم من أن التقوی ذات مراتب ومراحل متنوّعه، إلّا أن الخصوصيه المشترکه بين جميع مراحل التقوی هی أن زمام شخصيه الإنسان وسلوکه تحت سيطره الملکات والصفات التی تحفظه علی الدوام من الزلل وتصونه من الوقوع فی الخطأ. وقد أشار القرآن فی الکثير من مواطنه إلی شرف المتقين وکرامتهم وقيمهم الوجوديه، دون أن يذکر ولو مرّه واحده

إمكـان فقـدانهم للتقوى الإلهيه، والسـقوط فى مسـتنقع المعاصـى، كما هو الحال بالنسـبه إلى سائر المؤمنين.(۱) بـل اعتبروا على الـدوام بـأنّهم من ذوى الـدرجات الإنسانيه العليا، وكانوا لـذلك أهلاً للثناء والتبجيل. قال تعالى: ذلِكَ أَمْرُ اللّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً۲ ، وقـال أيضاً: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْـدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ۳ ، وقـال أيضاً: وَ الْعاقِبَهُ لِلتَّقْوى۴ ، وقال أيضاً: وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ۵ .

كمـا ذهبت الروايـات - تبعـاً للقرآن الكريم - إلى اعتبـارالتقوى بوصـفها أفضل الثياب، وحصن المؤمن، والحبل المتين، ومفتاح الصـلاح والفلاح، وبناء الـدين، وعماد التـديّن. وإن الخصائص التى ذكرت للكيفيه الروحيه للإنسان فى النصوص الدينيه تحكى عن قيمتها وأهميتها البالغه والكبيره. وعليه فإننا إذا أردنا الوصول إلى أعلى مراتب ومدارج القرب من الله، تعين علينا بعد الإيمان بـالله، ومـا جـاء به النبى، أن نراقب أنفسـنا على الـدوام عنـد امتثـال جميع الأـوامر الإـلهيه، والإعراض عن جميع المعاصـى وحتى الشبهات، فى إطار خاص، ألا وهو الإطار المتمثل بالتقوى الإلهيه.

۳. التقوى وسيله للوصول إلى المراحل العليا

فى سلسله المراحل التصاعديه إلى الله سبحانه وتعالى، تعتبر التقوى من

۱- (۱)) جدير بالذكر أن استحكام شخصيه الإنسان مأخوذه من قوه التقوى، بيد أن هذا لا يعنى ان التقوى عصيه على الزلل، فإن التقوى وإن كانت ضـمانه جيـده من الوقوع فى شّـرك الكثير من الـذنوب، ولكننا نجد فى التعاليم الدينيه تأكيداً على الحذر من بعض الذنوب ذات التأثير القوى حتى على المتقين، من هنا يجب الحذر منها، بمعنى التقوى من النوع الأول.

المراتب العليا، ولكنها مع ذلك تعد مقدمه وواسطه بالنسبه إلى المراحل الأخرى. فهناك الكثير من الآيات فى القرآن الكريم تعرّف التقوى بوصفها وسيله للوصول إلى المراحل والمراتب الأخرى. ومن بينها:

١. الوصول إلى مرتبه الشكر، من قبيل: قول الله تعالى: فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ١ .

٢. والتعرّض إلى الرحمه الإلهيه من قبيل: قول الله تعالى: وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٢ .

٣. والحصول على بركات السماء والأرض من قبيل: قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ٣ .

٤. والحصول على الأجر العظيم من قبيل: قوله تعالى: ذلِكَ أَمْرُ اللّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً٤ .

٥. وصحبه الله من قبيل: قوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ٥ .

٦. والإحاطه بالعلوم والمسائل بوضوح من قبيل: قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ٦ .

٧. وتحقيق النجاح فى مختلف المواقف من قبيل: قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ٧ .

وعلى الرغم من أن الكثير من هذه الموارد تعد من الآثار المترتبه على

التقوی، بیـد أنه یمکن اعتبارها بأجمعها من أهداف الحصول علی التقوی أیضاً. ومن ناحیه أخری، فإن التأکید الکثیر فی الآیات والروایات علی التقوی (الإلهیه) یحکی عن أن التقوی لیست هی الغایه النهائیه، بل إنها علی غرار الإیمان ذات متعلق، وأن ذلک المتعلق هو الأصـل ومنتهی الغـایه. ففی تعبیرات من قبیـل: (اتقوا الله)، و (تقوی الله) الوارده فی الکثیر من الآیات والروایات، نجد (الله) هو الأصـل والمحور، بمعنی أن تقوی الله هی التی تقع موضع الاهتمـام، ولیس أی تقوی أخری یضـعها الإنسـان بـدیلاً عن تقوی الله عز وجل.

۴. الآثار التربویه للتقوی

إن للتقوی تأثیراً کبیراً علی حیاه الإنسان سواء من الناحیه المادیه أو الناحیه المعنویه، فبالإضافه إلی الثمرات التی تقدم ذکرها فی بحث الإیمان، هناک فوائـد وآثار أخری أیضاً. وبعباره أخری: من وجهه نظر القرآن الکریم هناک نتائـج تترتب علی التقوی، لا یمکن لغیر المتقی أن یحصل علیها. وإن تلک النتائج عباره عن:

۱. الوضوح فی الرؤیه: إن من بین الآثـار الـتربویه الهـامه المـترتبه علی التقوی هی وضوح الرؤیه. والمراد من الوضوح فی الرؤیه، هو نوع من الإحـاطه بمسـار حرکه الحیـاه فی ضوء النور الإـلهی. فالإنسـان المؤمن هو الـذی لاـ تقهره حوادث الحیـاه ووقائعهـا، ویعمـد فی مسـرح الحیاه إلی انتقاء الخیارات الصائبه والصـحیحه فی دائره نشاطه الدؤوب. إن التقوی هی صـفه یسـتطیع الإنسان المؤمن من خلالها أن یتلمس الصـراط المستقیم ویمیّزه من السبل الأخری التی تؤدی إلی الانحراف، ویتمکن فی ضوء الوضوح فی الرؤیه الناتجه عن التقوی من الوصول إلی الغایه النهائیه وهی القرب من الله عز وجل. إنّ حیاه الإنسان مفعمه بالخیارات. وهو فی کل لحظه - سواء علی المستوی الفکری والنظری أو

على المستوى الفعلى والعملى - يعمد إلى اختيار موقف من المواقف. من هنا فإن اختيار الموقف سواء على المستوى الاعتقادى أم على المستوى العملى أمر لا مناص منه، ولا شكّ فى ضروره أن يكون هناك معيار وميزان يصوّب عمليه الاختيار. فإنّ الكثير من الناس - وبسبب عدم إحاطتهم بعاقبه الأمور - يكونون عرضه للانحراف، وحيث إنّهم يميلون إلى الخيارات الخاطئه، فإنهم يبتلون بنتائج غير ممدوحه العواقب. وإن هذا النوع من التجارب المريره يدخل الناس فى اضطراب مريج بشأن اختيار الطريق الصحيح من الطريق الخاطئ. ولا يمكن اختيار الطريق الصحيح إلّا من قبل أولئك الذين يدركون عاقبه الأمور، ويتمكنون من اختيار الطريق الصحيح مستعينين بوضوح الرؤيه قبل المبادره إلى خوض التجربه. إن هذا الوضوح فى الرؤيه - طبقاً لمنطق القرآن - لا يكون إلّا من نصيب الذين تحلّوا بصفه التقوى، وعملوا على توظيفها فى حياتهم. قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ١ . إن التقوى فى الرؤيه الإسلاميه تمنح المرء قوه الفرقان، بمعنى القدره على التمييز والتفريق بين الحق والباطل. ويتجلى هذا التفريق بين الحق والباطل فى مختلف المجالات. إن ثمار شجره التقوى تطلع من خلال التمييز بين الحق والباطل الذى يتجلّى على هيئه الإيمان والكفر، والهدايه والضلال. إن التقوى تجعل الإنسان قادراً فى مقام العمل على التفريق بين الطاعه والمعصيه، وكل ما من شأنه أن يرضى الله أو يسخطه، كما تجعله قادراً - فى مقام اختيار الرأى والنظر - على التمييز بين الرأى الخاطئ والرأى الصائب. أنّ المتقى - ومن خلال التمسّك بالتقوى الإلهيه - يتسلّح بسلاح الوضوح فى الرؤيه، ويغدو بإمكان عقله - فى ضوء الهدوء والطمأنينه الحاصله

من السلامه الروحيه والنفسيه - أن يعمد إلى اختيار الموقف المناسب فى كل واحد من هذه المجالات الفكريه والعمليه بما يتناغم مع ضمان سعادته، وأن يحدد مساره دون خوف أو شك أو تردد. ومن ناحيه أخرى فإن الذين يضعون أنفسهم فى الأجواء المشحونه بالذنوب والآثام، سيحرمون فى حياتهم من دعامه العقل الذى هو من أعظم نعم الله على العباد. روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع)(۱). وعنه (عليه السلام) أيضاً: (الهوى عدوّ العقل)(۲). وإنّ السر فى تنوير العقل والوضوح فى الرؤيه الحاصل من التقوى، هو أن التقوى تمهّد الأرضيه لإعمال الفكر برويه، والعمل على اختيار الطريق الصحيح وتمييزه من الطريق الخاطئ بهدوء وتمعّن.

والذى نحن بصدد توظيفه من التقوى فى هذا الكتاب التربوى هو مجرّد إعداد الأرضيه المناسبه من أجل تنميه الاستعداد العقلى، وإيجاد الرؤيه والتفكير الصحيح فى هذا السياق. وهناك مواضع من القرآن الكريم تثبت أن اعتبار كون المخلوقات فى الكون آيه على وجود الله وحكمته وعظمته وتدبيره، لا يتضح إلّا فى ضوء التقوى، من قبيل قوله تعالى: إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللّهُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ۳ . وهذا يعنى أن دور التقوى فى الحياه الفكريه للناس يتضمن إدراك عظمه الله والوصول إلى كنه أسرار الخلق. إن المتقين هم الذين يحضون على الدوام بالهدايه والعنايه الإلهيه، إذ يقول تعالى فى محكم كتابه الكريم: ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ۴ . كما أنّهم يحضون بالتعاليم الإلهيه فى إطار معرفه المسائل الشرعيه والعمل بمضامينها.

۱- (۱)) نهج البلاغه: الحكمه: ۲۱۹.

۲- (۲)) مصباح الشريعه: الباب: ۳۸، ص ۲۲۳.

وباختصار يمكن اعتبار التمييز بين الحق والباطل بوصفه الأثر التربوى الأول المترتب على التقوى، والفصل بين هذين العنصرين فى المجالات الثلاثه الآتيه:

أ) العقائد: فالتقوى هى ميزان التفريق بين الإيمان والكفر، أو الهدى والضلاله.

ب) العمل: حيث إن التقوى تفرّق بين الطاعه والمعصيه.

ج) الرأى والتفكير: إذ إن التقوى تميز الرأى الصائب من الرأى الخاطئ.

٢. التغلب على المشاكل والمعضلات: إن من بين الآثار التربويه الأخرى المترتبه على التقوى، هى التخلص من المشاكل والصعاب. فمن وجهه نظر القرآن، إن الله يهب المتقى قوّه دفاعيه خاصه - سواء على المستوى النفسى والداخلى أو على المستوى الخارجى - بحيث يستطيع من خلالها التغلب على جميع المشاكل المحيطه به. ومن ذلك قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً١ ، وقوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً٢ ، وقوله تعالى: فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى * وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى٣ ، وقوله تعالى: فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ٤ . وكما تقدمت الإشاره فى

معرض الحديث عن الآثار التربويه للإيمان، فإنّ الطمأنينه الحاصله من الإيمان الإلهى تحصّن الفرد من الحوادث التى يكون لإراده الإنسان دخل فيها، أو تلك التى لا يكون لإراده الإنسان تأثير فيها. كذلك الأمر بالنسبه إلى التقوى أيضاً، فإنها تمنح الإنسان مثل هذه القدره على نحو أشد وأقوى، حيث تفرض سيطرتها على شخصيه الإنسان، وتربطه بالقدره الأزليه والأبديه

لله عزّ وجل، وبذلك فإنها تضمن له ما يساعده على رفع مشاكله والعقبات الماثله فى طريقه. وأساساً فإن من جمله الآثار الوضعيه المترتبه على التقوى، هى تسهيل الأمور والتمكن من التغلب على المشاكل والصعاب. إن المتقى يتمسّك عند احتدام أمواج الحوادث والفتن بحبل الله المتين، فيخلّص نفسه من اليأس والقنوط. قال تعالى: وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ١ ، وقال أيضاً: لا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعاقِبَهُ لِلتَّقْوى٢ . وحيث إنه يتسلح بشعاع الأنوار الإلهيه، ويتمتّع بالفيض الربانى، حيث قال تعالى: هذا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ٣ وقال أيضاً: وَ الْآخِرَهُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ٤ ؛ فإنّه يتجاوز العقبات الماثله فى طريقه، ويعتلى صهوه التقوى بصبر واستقامه ويمضى قدماً نحو الغايه النهائيه والهدف السامى، قال تعالى: فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَهَ لِلْمُتَّقِينَ٥ . إنّ الصبر والحلم من بين أهم النتائج المترتبه على الإيمان. فإنّ الإنسان المتقى عند احتدام المشاكل حيث يتحلى بالأمل فيما يتعلق بقدره الله، فإنه سوف يتمتع بصبر خاص لا يمكن أن يتحلى به غيره.

كما أنّ من بين أهمّ الثمار المترتبه على هذا الأثر التربوى، هو تنميه روح المقاومه فى الإنسان، والتى تخلق لديه نوعاً من الصبر والقوّه على التحمّل. فعلى الرغم من أنّ أصل النجاح فى مواجهه المشاكل ناشئ عن وجود قوّه المقاومه، إلا أنّ تجربه تكرار المقاومه الناجحه يكون سبباً فى تنميه قوّه المقاومه. إنّ إعداد وتربيه الصغار على تحمّل الصعاب، ومواجهه

المشاكل، يؤدّى بهم إلى مواجهه العقبات ومشاكل الحياه منـذ مسـتهل التنميه، وأنّ يـذوقوا حلاوه التغلّب عليها من خلال توجيه وهـدايه المربين ومساعـدتهم، والوصول إلى الغايـات والأهـداف فى ظـل مساعيهم وجهودهم الشخصـيه. ولا شك فى أن التأنى إنمـا يكون نافـذاً فى روح الإنسان، إذا تمسَّك بالصبر والمقاومه والثبات بوجه المشـكلات مما يجعله أقرب إلى أهـدافه منه إلى التسرّع وعدم الاسـتقرار. وبشـكل عام فإن كل إنسان إنما يتحلى بالصبر فيما إذا كان أولاً: على استعداد نفسى من أجل الصمود والمقاومه. وثانياً: أن يعلم بأنه سـيحصل على النتيجه التى يرومها من خلال السعى وبذل الجهد والصبر والاستقامه. فإن الكثير من الأفراد مع أنهم يـدركون ضـروره الصبر أمام المشاكل والصـعاب من أجل الوصول إلى الهـدف، بيـد أنهم حيث لا يملكون هذا الاسـتعداد من الناحيه الداخليه، وحيث لم يوجدوا فى أنفسهم أرضيه الصبر والثبات، فإنهم لا يستطيعون الصمود والمقاومه بوجه المشاكـل والصـعاب. وإن روح الصبر والاسـتقامه إنمـا تحرز فى ضوء بعـد النظر (وضوح الرؤيه الناتجه عن التقوى) والاتجاهات الإنسـانيه السـاميه. إن الإنسان المتقى هو الـذى يسـتطيع تحليل عواقب الأمور برؤيه إلهيه، وأن يميّز طريق الحق من طريق الباطل، كمـا أنه هو الـذى يسـتطيع أن يصـارع جميع المشـقات والمنغّصـات الـداخليه والخارجيه على المسـتوى العملى، وأن ينجـح فى الوصول إلى أهـدافه. وعلى هـذا الأسـاس فـإن الصبر والتـأنى الـدينى إنمـا يتحقق فى ظل التقوى الألهيه، وليس هناك أى عامل يستطيع أن يخلق هذه الروحيه فى الإنسان.

٣. حفظ وصيانه النفس من التمرّد: إنّ من بين الآثار البارزه المترتبه على التقوى، صيانه النفس عن المعاصى. وعلى الرغم من أنّ الوضوح فى الرؤيه الحاصل من هذه الصفه الإلهيه يجعل المرء على معرفه بالضلاله والضياع، بيد

أنّ دور التقوى ليست مجرّد بثّ للوعى، بل إن دورها يـذهب إلى أبعـد من ذلك حيث يأخـذ الاتجاه العملى بنظر الاعتبار أيضاً. إن المنظور الرئيس والأول من هذا الأثر التربوى هو الدور الفاعل للتقوى فى الحياه الإنسانيه. تذهب الرؤيه الإسـلاميه إلى القول: إنّ الإنسـان المتقى يميـل ميلاً ـ باطنيـاً وفطرياً إلى الله، وإن هناك قوّه تلقائيه تنظم حركه الإنسان للوصول إلى الله، وضـمان عـدم انحرافه فى مسـيره الحياه، قال الله تعالى فى كتابه الكريم: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ١ ، ومن وجهه نظر القرآن الكريم ليس هنـاك من زاد لقطع هـذا الطريـق الملىء بالعقبـات والمنعطفـات غير التقوى الإلـهيه، وفى ذلك قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِى الْأَلْبابِ٢ .

العباده

اشاره

إنّ من بين الأهـداف الوسـيطه الأخرى التى يتمّ طرحها فيما يتعلّق بالارتباط بالله هى العباده التى تشـتمل على مرحله من المراحل الخـاصه بـالعروج إلى الله سـبحانه وتعالى. وبطبيعه الحال فإن العباده بمعناها العام تشـمل كل ما يرتبط بالله عزّ وجل؛ وذلك لأن روح العبـاده تعنى الشـكر والتبجيل والخضوع أمام الله (تعالى) فى جميع مراحل القرب والتقرّب إليه؛ فإننا عنـدما نتمسك بمعرفه الله فى إطـار التقرّب منه، نكون فى الحقيقه قـد مارسـنا نوعـاً من العبـاده والتقرب منه سـبحانه وتعـالى. كمـا أن الإيمـان والتقوى والشـكر والتوكل تشـتمل على هـذا المظهر من التقرّب المتمثّل فى العباده. وإن المنظور فى إطار هـذا الهدف الوسـيط، ليس هو المعنى العام للعباده، وإنما هو مفهومها الخاص.

والمراد من العباده بهذا المعنى هو إقامه نوع من الارتباط المباشر مع الله، حيث يكون نفس الارتباط من أهم خصائصه. وإن العنوان الذى يعبّر عن هذا الارتباط ليس شيئاً آخر غير العباده، خلافاً لما عليه الأمر فيما إذا كان المنظور فى ذلك هو العباده بالمعنى العام، حيث تصدق بشأنها عناوين أخرى من قبيل: المعرفه والتوكّل والشكر وما إلى ذلك أيضاً. بالالتفات إلى هذه المقدمه فإن العباده عباره عن نوع من الارتباط الخاشع والمسبح والمفعم بالإطراء والثناء والتبجيل الذى يقوم به الإنسان تجاه بارئه وخالقه سبحانه وتعالى. وإن هذا الارتباط يتحقق على نحوين:

١. العباده اللفظيه: وهى بيان سلسله ومجموعه من العبارات والأذكار، من قبيل: قراءه سوره الحمد والسوره فى الصلاه، أو قراءه الدعاء.

٢. العباده العمليه: يقوم الإنسان بأعماله العباديه للتعبير عن خضوعه لخالقه، ويعمل على إظهار مشاعره عن طريق القيام بأعمال عباديه خاصه.

ومن الضرورى الالتفات إلى هذه النقطه وهى أنه على الرغم من أن روح العباده تتبلور لدى الإنسان من خلال تكرار الألفاظ والقيام بالأعمال الخاصه، إلّا أن مجرّد هذه الأعمال لا تكون كافيه من أجل تحصيل حقيقه العباده ألا وهى تنميه روح العبوديه، وإذا كانت العباده - اللفظيه والعمليه - خاليه من التدبّر والإخلاص، فإنها لن تحتوى على تأثير ملحوظ فى تنميه روح العبوديه. وإن هذه الروحيه إنما يمكن الحصول عليها إذا كانت الأعمال الظاهريه مقرونه بحضور القلب والإخلاص الداخلى. روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (لا خير فى عباده ليس فيها تفقّه)(١) ، كما روى عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: (لا عباده إلّا بالتفقّه)(٢).

١- (١)) بحار الأنوار: ٧٥/٧٨.

٢- (٢)) المصدر: ١٣٨.

۱. العباده هدف وسیط

إنّ مرادنا من اعتبار العباده هدفاً هو الحصول على روح العبوديه وتنميتها بحيث تكون لدى الإنسان على الدوام حاله من الخضوع والخشوع تجاه الله سبحانه وتعالى، وأن يؤمن العبد من صميم قلبه بإحاطه الله بأعماله وسلوكه ونواياه. وهناك من الآيات القرآنيه ما يصرّح بأن أساس خلق الإنسان يقوم على عباده الله، من قبيل: قوله تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ۱ ، وهذا يعنى أنّ الإنسان إذا لم يجعل عباده الله محوراً له، فإنّه لن يبلغ كنه السر الكامن من وراء خلقه. وهناك من الآيات ما يؤكد على أن الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسل (صلى الله عليه و آله) هو التوصل إلى عباده الله، وذلك من قبيل: قول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِى كُلِّ أُمَّهٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ۲ ، وقوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ۳ وقوله تعالى: فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ۴ ، وقوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ۵ . والذى يُستنبط من هذه الآيات هو العباده بالمعنى الخاص، وهو المتمثل فى وصول الإنسان إلى مقام العبوديه لله والخضوع والخشوع فى حضرته.

۲. ارتباط العباده بالهدف النهائى

إنّ العباده بالمعنى الخاص تعنى القيام بسلسله من الأعمال العباديه من

أجل الحصول على روح العبوديه، إلّا أن نفس القيام بالأعمال وبيان الأذكار التى يتمّ طرحها فى هذا المقام - بوصفها هدفاً وسيطاً - لا- تعنى روح العبوديه، بل هى مقدمه للحصول على تلك الروح. وبعباره أخرى: إن العباده وسيله للتقرّب من الحق تعالى والتكامل الواقعى للإنسان، وهى إحدى الوسائل التى أقرّها الإسلام واختارها وشرّعها لهدايه الإنسان وتكامله وتربيته على المستوى الروحى والأخلاقى. وإن ما يتمّ رسمه من الزاويه الإسلاميه بشكل محدد فى بيان حقيقه العباده - بوصفها هدفاً وسيطاً -، يتمثل فى أنه يجب على الناس من أجل التقرّب من الله أن يقوموا بسلسله من الأعمال العباديه بحضور قلب وتدبّر. إن هذا الهدف العام، يجب توفير أرضيه تحققه فى النظام التربوى للإسلام فى مستهل البدء بالوسائل التربويه للطفل، ليتمكن فيما بعد - عندما يبلغ مرحله التكليف بالعبادات - أن يمارسه فى رهاب الصلاه والصيام والحجّ وما إلى ذلك من الأحكام الشرعيه، ويجب أن يقترن أمتثالها بحضور قلب وتدبّر تام، ودون أن تشتمل على أىّ مشقه أو صعوبه وعنت.

إنّ العباده بوصفها سلسله من الأعمال والأذكار المقترنه بحضور القلب، - بالإضافه إلى ارتباطها بالهدف النهائى المتمثل بالقرب من الله -، فإنها ترتبط على نحو متبادل بسائر الأهداف الوسيطه الأخرى أيضاً. وفى الحقيقه كلما مارس الإنسان العباده بشكل عميق، فإن روح الإيمان والتقوى والشكر والتوكل ستنمو فى وجوده على نحو أشد، ويغدو أكثر استعداداً لتقبل المعارف الأسمى. ومن ناحيه أخرى كلما اكتملت معرفته، وارتقى فى مدارج الإيمان والتقوى، فإن عبادته سوف تتجلى على نحو أكبر.

٣. الآثار التربويه للعباده

قبل التعرّض إلى التذكير بالآثار التربويه للعباده، علينا أن نطرح هذا

السؤال: هـل يمكن للعبـاده أن تكون ذات أثر تربوى؟ وبعبـاره أخرى: مـا هو دور العبـاده على مسار حياتنا؟ وما هو التأثير الـذى يمكن لبعض الأعمـال الرمزيه وبيـان بعض الأذكار الخاصه أن تتركه على حياتنا؟ ولو أننا عمـدنا إلى تقسـيم الحياه إلى قسـمين: دنيويه وأخرويه، ألاـ تنحصـر نتيجه ومعطيـات العباده بالحياه الأخرويه فقط؟ والـذى يتعيّن علينا بيانه فى معرض الإجابه عن هـذه الأسـئله هو أن تقسـيم حياه الإنسان - من وجهه نظر الإسـلام - إلى دنيويه وأُخرويه، وتفسـير هـذا التقسـيم على اعتبار عدم تأثير أحد هذين القسـمين فى الآخر غير صحيح. إن لحياه الإنسان فى الدنيا مسار متواصل، تكون كل لحظه فيه متأثره باللحظه السابقه لها. وإن هـذا التأثير والتأثر هو الـذى يبنى شخصـيه الإنسان، ويفرض سـيطرته وهيمنته على سـلوكه وأفعاله الظاهريه. فإن الوجود الحقيقى والواقعى للإنسـان - أو بعباره أخرى: شخصـيته - ليست شـيئاً آخر غير السـلوكيات والأفكار والنوايا والمشاعر المتبلوره لـديه على طول الزمـان. وهـذا هو مكمن الفرق بين النـاس وتمـايزهم من بعضـهم البعض. وفى الحقيقه فـإن منشـأ الاختلاف فى المنظومه الشخصـيه لكـل فرد عن الفرد الآـخر يكمن فى نوع السـلوك والأداء الفردى والتأثير والتأثر المتبادل بين أفراد المجتمع الإنسانى. فعلى الرغم من أن الإنسان محكوم - من بعض الجهات - لسيطره منظومته الشخصيه الخاصه به، إلا أنه فى الوقت نفسه يسـتطيع تغيير هـذه المنظومه، وبنـاء منظومه أخرى بـدلاً منهـا. وهـذا هو مكمن السـر فى حريه الإنسـان واختيـاره وقـدرته، حيث يسـتطيع - من خلال إرادته - تغيير مسـيره حياته، والتحرّك باتجاه الغايه التى أرادها. إن المراد مما قيل: إن الفرد يخضع لسيطره بعض الملكات ومنظومته الشخصـيه، يعنى أن هناك مجموعه من الصفات الرئيسه هى التى تشكل صرح سلوكياته وأفعاله وحتى أفكاره ونواياه، ولكن فى الوقت نفسه يجب الالتفات إلى هذه النقطه أيضاً، وهى أن

هذا الفرد – على كل حال – يمتلك كامل الحريه والاختيار فى انتخاب قواعده الشخصيه وأسسه الفكريه.

إن هذه المنظومه الشخصيه التى هى حصيله سنوات من حياه الإنسان، والتى تظهر فى هذه الدنيا على شكل سلوكيات وأفعال ظاهريه ونوايا وأفكار باطنيه، سوف يكون لها ظهور فى الحياه الأخرويه على نحو أجلى وأكثر وضوحاً. إن حسن وقبح أفعال الإنسان، وجمال وقبح روحه، وخبث أو طهاره طينته التى تظهر فى هذه الحياه الدنيا على نحو باهت، سيكون لها فى عالم الآخره ظهور أقوى وأجلى. وبالالتفات إلى هذا التفسير فإن سلوكياتنا وأفعالنا فى هذه الحياه الدنيا، هى التى ستحدد مسار حياتنا الأبديه والخالده فى الآخره. وإن العباده بوصفها واحده من الأعمال الأخرى فى هذا المسار، تلعب دوراً خاصاً فى هذا الشأن. وبعباره أخرى: إن لسلوك الإنسان فى إطار العباده – بوصفها فعلاً من الأفعال – تحتوى على تأثير فى قولبه شخصيته بالتوازى مع الأفعال والأعمال الأخرى، فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«قال الله تعالى: يا عبادىَ الصِدّيقينَ، تَنعَّموا بعِبادَتى فى الدُنيا، فإنّكُم تَتِنعّمونَ بها فى الآخِرَهِ»(1).

إنّ المراد من الاثار التربويه للعباده، هو تماماً ذات المفهوم الذى كنا نريده من خلال البحوث السابقه من الآثار التربويه. فإن للعباده أيضاً – إلى جانب سائر المظاهر الأخرى من مظاهر الارتباط بالله – آثاراً تربويه محدده، وإن من بين أهم تلك الآثار التربويه هى:

١. تجنب التكبّر وحبّ الأنا: إنّ من بين الأسس الأخلاقيه المنشوده للإسلام فى جميع المسائل التربويه، هو البعد عن الأنا (الذات)، وإعراض الفرد

١- (١)) بحار الأنوار: ٢٥٣/٧٠.

عن اللذات والمصالح الخاصه به من أجل الحصول على القيم والمراتب الأسمى والأعلى. إن التحرر من الأنا يشكل محور جميع المسائل الأخلاقيه، ومفتاحاً للوصول إلى القيَم الإلهيه والإنسانيه الساميه. فما دام الإنسان يعتبر نفسه هو المحور، ويصبّ كل اهتمامه على اللذات والمصالح الزائله، ويركز النظر على بهارج الدنيا وجمالها الزائف، فإنه لن يتمكن أبداً من الحصول على البصيره اللازمه من أجل بلوغ السعاده الأبديه. وعلى الرغم من أن تجنب الأنا والتكبر موجود - بنحو من الأنحاء - فى جميع المفردات والأمثله التربويه المقترحه من قبل الدين، إلّا أنها تبرز فى إطار العباده والخضوع لله على نحو أجلى وأقوى. وبشكل محدد يمكن تلخيص الأثر التربوى المترتب على العباده فى الحصول على التواضع أمام القيم الإلهيه، وبالتالى على التواضع والخضوع أمام الله سبحانه وتعالى. إن الفرد الذى يتوجّه بقلبه إلى الله من خلال سلسله من الأذكار والأعمال العباديه، إنما يمدّ يد الافتقار والحاجه إلى معبود قادر، ويرى نفسه فى دائره الارتباط بالقدره والعلم المطلق. وعلى هذا الأساس فإنه وإن كان يشعر بضعفه أمام الله سبحانه وتعالى، إلا أن هذا الشعور بالضعف إنما يمثل أحد وجهى العمله فى الارتباط الخاشع به، وأما الوجه الآخر لذلك فيحكى عن العزّه والقدره والافتخار والكرامه. إن الخلاص من المتاهات، ومقاومه الرغبات والأهواء الشخصيه، وصيانه النفس فى مواجهه الظلم والتمرّد الذى يمارسه الآخرون، من الأوجه البارزه للعباده فى الحياه الفرديه والاجتماعيه للإنسان. وقد اعتبر التخلف عن عباده الله فى منطق القرآن نوعاً من التكبر، وذلك إذ يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ١ . وإن الأثر الأخروى المترتب على هذا الاستكبار والتكبر هو البعد عن الله، والسقوط فى جحيم صنعها الإنسان بسوء أعماله.

۲. مراعاه العداله وحقوق الآخرین: إن الأثر التربوی الهام الآخر الذی یترتب علی عباده الله، یتجلی فی العداله ورعایه حقوق الآخرین. إن العداله الدینیه هی نقطه الالتقاء بین الدنیا والآخره، وثمره شجره العباده المبارکه التی تمهّد الطریق - من خلال رفع المنّ والأنا - أمام تقدم المجتمع. فلا یمکن القضاء علی الأنا والتکبّر وتحقیق العداله الاجتماعیه إلّا فی ضوء العبودیه لله. فعلی الرغم من تأثیر توظیف العقل والعلم وغیرهما من الوسائل والأدوات فی ضمان العداله، إلّا أن الذی یعتبر البوصله الموجهه والأرضیه المعدّه لذلک هو روحیه الإنسان واستیعابه وفهمه للعداله فی تکوین وبناء أساس العداله الاجتماعیه وتطبیقها. فقد تمکن الإنسان من الوصول بعقله إلی أعلی قمم العلم والتکنولوجیا، ولکنه لم یتمکن أبداً من تطبیق العداله الاجتماعیه بین مختلف أفراد الإنسانیه. إن المنّ والتکبر لدی الإنسان المعاصر قد هیمن علی العلاقات الإنسانیه، وإن التکبر قد تجلی أحیاناً فی ثوب العصبیه الفردیه وعلی شکل الدکتاتوریه والاستبداد، کما أن النزعه القومیه قد تجلت أحیاناً علی شکل الاستعمار، وتلاعبت بحیاه الناس وحقوقهم علی طول التاریخ. وفی الرؤیه الدینیه فإن العنصر والعامل المؤثر الوحید فی تطبیق العداله، وتجنّب هذه النزعه الروحیه السلبیه، إنّما یکمن فی الاعتصام بحبل الله وعبادته؛ لأن التعلق بالله یساوق التنصّل عن الأنا وتجنّب الأهواء النفسیه. وباختصار یمکن تقییم معطیات العباده وآثارها فی التقدم الاجتماعی للإنسان ضمن المحورین الآتیین:

۱. إن عباده الله تعدّ الإنسان لتقبل الأوامر والأحکام الألهیه، وتطبیقها علی مستوی المجتمع، وهذا یؤدی بدوره إلی تحقیق العداله الاجتماعیه.

۲. إن العباده تخلق لدی الإنسان روح البعد عن التکبّر والأنا، وإن تبلور هذه الروحیه فی کیان الإنسان رهن بالعباده. وإن التواضع والبعد عن التکبر -

وبشكل عام الارتباط بالله الذى هو ثمره العباده - يمهد الأرضيه لزرع بذور العداله وقطف ثمارها. وعلى هذا الأساس فإن إقامه العداله رهن بتنميه روح العباده لدى جميع الأفراد، وإن نار التكبر والعصبيه فى وجود الإنسان لا يمكن إخمادها إلّا من خلال عنصر العباده والتواضع لله.

نحن نقوم ببعض العبادات بشكل فردى، ولكننا نقوم بالكثير من العبادات الأخرى على شكل جماعى، وإن السر فى تأثيرها يكمن فى القيام بها بشكل جماعى، من قبيل: صلاه الجماعه والحج. إن هذا النوع من العباده كما يعزز روحيه الخضوع والخشوع لدى الإنسان - كما هو الحال بالنسبه إلى العبادات الفرديه - يؤدى كذلك إلى ترسيخ الروابط العاطفيه بين الناس، ويعمل على تحسين وتطوير العلاقات الاجتماعيه أيضاً.

٣. الابتعاد عن المعاصى: إنّ من بين الثمار التربويه المترتبه على العباده، عدم المعصيه، والابتعاد عن الذنوب والآثام. وإن استمرار التواصل والارتباط بالله فى إطار العباده، يدعو الإنسان على الدوام إلى امتثال الأوامر الإلهيه وأن يجدّ فى الابتعاد عن المعاصى. إنّ الآليه النفسيه للتلقين - الحاصل بفعل تكرار الارتباط العبادى - تؤدى إلى القضاء على عنصر الغفله وعامل النسيان، وتجعل الإنسان ذاكراً لله عزّ وجل. وأساساً فإن المعصيه والتمرّد على الله لا يدور مدار العلم والإدراك. فما أكثر الذين يدركون الآثار الفرديه والاجتماعيه المدمّره المترتبه على المعاصى، ولكنهم لا يبادرون أبداً إلى إصلاح أنفسهم. إن الذى يؤثر فى الابتعاد عن المحظورات أو الاقتراب منها هو مقدار الغفله أو التذكّر. فالغافل هو الذى لا يميل إلى امتثال الأحكام والأوامر الإلهيه، ولا يبتعد عن المحرمات الإلهيه. وإن تكرار الأعمال العباديه بمنزله الماء فى ضرورته لنمو شجره الإيمان وإيناعها. فقد روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال:

فإن قائل: لمَ تعبدهم؟ قيل: لئلا يكونوا ناسين لذكره، ولا تاركين لأدبه، ولا لاهين عن أمره ونهيه.(۱)

وباختصار يمكن تلخيص الأثر التربوى الثالث للعباده على الشكل الآتى: إنّ للعباده أثراً تلقينياً يجعل المرء ذاكراً لله على الدوام. فقد قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: إِنَّنِى أَنَا اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِكْرِى۲ . إن أهم ذكر لله فى منطق القرآن الكريم، هو ذلك الذى يتمثل بالارتباط القلبى تجاه الله الذى يمكن تحصيله على الدوام بدرجات مختلفه. ومن وجهه نظر القرآن ليس هناك من حد للعباده، فجميع الناس - بما فيهم النبىّ - مكلفون بعباده الله إلى آخر لحظه من حياتهم. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ۳ . وعلى هذا الأساس لو أراد الإنسان أن يقيم حياته ضمن إطار التوجّه إلى الله، لن يكون بإمكانه تحقيق ذلك إلّا من خلال اجتياز مراحل المسير إلى البارى تعالى، ولا يمكن تحقيق هذا الأمر وإحرازه إلّا من خلال أسلوب التلقين العبادى. وأنّ الأسلوب التربوى المتبع فى العباده هو التلقين والتوجه المستمر، الذى يمهّد الأرضيه لامتثال الأوامر الإلهيه والابتعاد عن المعاصى.

الشكر

اشاره

إنّ من بين الأهداف الوسيطه الأُخرى فى سلسله الأهداف التربويه من وجهه نظر الإسلام، هو الشكر. إن للشكر - بمعنى معرفه حقّ المنعم طيفاً واسعاً يبدأ من أدنى مراتبه الذى يتمثل بالشكر باللسان، ويستمرّ إلى أعلى

۱- (۱)) علل الشرائع: ۲۵۶.

مستوياته، وهو المتمثّل بالشكر العملى. وأساساً فإن ماهيه الشكر هى أن يقوم المرء برده فعل إيجابيه تجاه النعم، وكل ما يستوجب صلاحه وسعادته؛ لأنّ كلّ إنسان من الناحيه النفسيه يشعر بالدَين تجاه كل من يوفر له أسباب السعاده والطمأنينه، أو كل من يمهد له سبل الراحه والرخاء، وينتهز الفرصه ليردّ الجميل فى اللحظه المناسبه، ليكون قد أدّى دَينه تجاه ذلك المنعم. ومن وجهه نظر العقلاء فإن عدم رعايه الحقوق تترتّب عليه تبعات سلبيه، تبدأ من تأنيب الضمير، وتستمر لتصل حتى إلى حرمان النفس من استمرار الآخرين فى مدّ يد العون له وتقديم المساعده فى وقت الأزمات. وإن بروز مثل هذا النوع من المشاكل فى المجتمع أمر لا يمكن اجتنابه؛ وذلك لأن كل فرد من الناحيه الاجتماعيه يُعتبر مسؤولاً تجاه الآخرين، وإن الإنسان كما ينتفع بالآخرين من خلال القيام بالواجبات التى تفرضها عليه تلك المسؤوليه، فإنه يحرم نفسه منها بنفس نسبه عدم وفائه بتلك الواجبات.

١. مفهوم وماهيه أداء حقِّ الله

ما الذى يعنيه قولنا: (يجب أداء حقوق الله)؟ فنحن نعلم بأنّ الله غنى عنا، وهو غير محتاج لشكرنا حتى نكون من خلال ذلك قد قمنا بوفاء دَيننا له، وعليه فما هو معنى وجوب أداء شكره؟ للإجابه عن هذا السؤال لا بد من التذكير بأن دائره أداء الحقوق وشكرها لا تقتصر حدودها على رفع الحاجات المتبادله. فمن باب المثال: إن المعلم الذى يجدّ فى تعليم الطلاب بإخلاص، لا يتوقع من الطلاب أن يقوموا بخدمته وفاءً لجهوده، وإنما يرى أداء حقه فى أن يقوم الطلاب بالإصغاء إلى دروسه جيداً، وأن يحصلوا على درجات عاليه فى الامتحانات. وعليه فإن أداء حق المعلم يكون من خلال ارتقاء الطالب للمدارج العلميه ونجاحه فى دراسته. وإن هذا النوع من رعايه الحقوق -

بالإضافه إلى الآثار الاجتماعيه الإيجابيه -، يحمل فى طياته آثاراً فرديه أيضاً. بمعنى: أنّ الطالب الشاكر والمؤدى لحقوق أستاذه يحصل على إمكانيه التقدم والرقى فى المجتمع، وإن فائده ذلك تعود بالنفع له مباشره. وفى الحقيقه فإن نتيجه مثل هذا النوع من أداء الحقوق تتلخص فى الرقى والتقدم الذى يأتى من خلال رعايه حقوق الآخرين.

إنّ هذا النوع من أداء الحقوق يتجلّى فيما يتعلّق بالله بشكل أوضح وأبرز. فإنّ النعم التى منّ الله بها علينا تفرض علينا أن نكون شاكرين له على هذه النعم. ولكن كما تقدّم فإنّ هذا الشكر لا يعنى رفع الحاجه، وأنّ الله فقير من هذه الناحيه - والعياذ بالله - فإنه هو الغنى المطلق. وعليه فإن ماهيه شكر الله كما تقدم أن ذكرنا، شبيهه بشكر المعلم وأداء حقه، مع فارق أن جميع المصالح والمنافع الناشئه من شكره تعود إلينا، وأن الله غنى عن كل هذا الشكر؛ إذ قال الله تعالى: وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ۱ ، وقال أيضاً: وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ۲ . خلافاً لأداء حق المعلّم الذى يشتمل على نوع من رفع الحاجه المعنويه والعاطفيه؛ وذلك لأن المعلّم يرى فى تقدم الطالب تكليلًا لجهوده بالنجاح. وفى منطق الإسلام فإن شكر المنعم بمعنى الانتفاع بالنعمه فى محلها حيث يكمن هناك رضى المنعم وهو الله سبحانه وتعالى، وأنّ هذا الشكر قبل أن يكون باللسان، يجب أن يكون نابعاً من القلب، وظاهراً من خلال السلوك والعمل. من هنا فإن أداء الفرد المسلم لحق الله وشكره يكمن فى امتثال أوامره، وتجنّب معاصيه، وإن محور أنواع أداء الحق يدور حول الارتباط بالله، والقرب منه، والنجاح فى العمل على طبق الأحكام الشرعيه والعباديه.

۲. بحث خاص

لقد اعتبر القرآن الكريم إعطاء النعم تفضلاً من قبل الله على الناس؛ يقول تعالى فى محكم كتابه الكريم: إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ۱ .

و يقول أيضاً: إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ۲ .

إن مفهوم التفضل يشتمل على نوع من الارتباط الذى يكون فيه الطرف المستقبل محتاجاً إلى هذا التفضل من قبل المتفضّل. وإن هذا النوع من الارتباط لا يحمل أىّ منفعه للمعطى؛ وذلك لكونه غنياً عن منافع ذلك التفضّل. وإن هذا التفضل عندما يكون أحد طرفيه هو الله، والطرف الآخر هو العبد والمخلوق، يكون مشتملاً على مفهوم أكثر بروزاً وتجلياً، بمعنى أنّ الله يكون هو صاحب الفضل والتكرّم على عبده ومخلوقه. فهو لا يكون بحاجه إلى ما يعطيه، بحيث ينقص منه شىء إذا أعطاه، ولا هو ينشد الاستغناء وعدم الحاجه من خلال نفس العطاء والكرم، كما هو الحال بالنسبه إلى بعض الناس، حيث ينشدون النجاح والاستغناء، وتلبيه نوع من الحاجه المعنويه من خلال عطائهم. وعليه فإن التفضّل الإلهى يعتبر أعلى وأسمى أنواع التفضّل والعطاء، حيث يخلو من كل أنواع السعى إلى الحصول على المصالح والمنافع من قبل المعطى والواهب للنعم. وفى هذا النوع من التفضل إذا قام الإنسان بواجب الشكر فإن فائده هذا الشكر تعود إليه، وإن لم يشكر وكفر بالنعمه، عاد الضرر فى ذلك عليه أيضاً، حيث سيغدو هو المحروم من النعم، ويسقط فى مستنقع الضلاله، ولن يصيب الله بأىّ سوء من جراء كفران العبد لنعمته أبداً، قال تعالى: وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ۳ .

۳. الأسس الحاكمه على الشكر فى القرآن الكريم

عوده النفع فى أداء واجب الشكر إلى الشاكر: كما تقدّم أنّ ذكرنا فإن الشكر لله وأداء حقه يعتبر أسمى أنواع الشكر وأداء الحقوق فى دائره العلاقات الإنسانيه، بمعنى أنها أسمى حتى من النعمه والفضل الذى يقوم به المعلّم المخلص تجاه تلميذه، أو الأم العطوفه تجاه ولدها، وإن كل فائده ومصلحه تكون فى هذه النعمه، وشكرها وأداء حقها يعود إلى الإنسان نفسه. وفى الحقيقه، فإن أداء الحق هنا، هو فى حدّ ذاته تفضّل من الله، حيث يُمنح الإنسان من خلاله فرصه للتعالى والسمو والوصول إلى القرب من الله سبحانه وتعالى.

زياده النعم بسبب الشكر: إنّ من الأسس الحاكمه الأخرى على مفهوم الشكر، هو زياده النعم بسبب الشكر. إذ يقول الله سبحانه وتعالى: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ١ . وعليه فإنّ هذا الأصل الذى يقوم على أساس تحفيزى، إنّما هو مكافأه من الله يقدّمها للإنسان الذى يقوم بواجب الشكر، إن الفرد الذى يجدّ فى امتثال الأوامر الإلهيه، ويحرص على تجنب المعاصى، ويستفيد من النعم الإلهيه على نحو ما يريده الله ويرضاه، يتوقع على الدوام أن يكافِأه الله على ذلك. وإن هذه المكافأه يمكن أن تكون كيفيه أو كميه، ومادیه أو معنويه. إنّ الإنسان المؤمن يؤدى شكر استفادته وانتفاعه من النعم الجديده، وهذا بدوره يؤدى إلى قربه من الله (سبحانه وتعالى).

التعرّض لحاله الاختبار: إنّ من الأسس الحاكمه الأخرى على مفهوم الشكر، هو التعرض لحاله الاختبار، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى: هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ٢ . وبالالتفات إلى أن ماهيه الشكر تكمن فى توظيف النعم فى الموارد التى تعكس رضا الله سبحانه وتعالى، فإن الأعمال التى تؤدى إلى أداء

الحق، تطرح بوصفها أدوات لتقييم حجم التقوى والإيمان الذين يتحلى بهما الفرد. إنّ من بين أحد أفضل السبل وأوسعها نطاقاً فى الوقت نفسه، والتى تتخذ أساساً لإجراء الاختبار، هو هذا الشكر وأداء حق المنعم. وإن هذه الآليه فى الوقت الذى تقع تحت عنوان أداء الحق، تشمل جميع مسؤوليات الإنسان، وحتى ما كان من قبيل الجهاد - الذى هو من أبرز الوسائل لتحديد المؤمن وتمييزه من غير المؤمن - يندرج بوصفه واحداً من الأوامر الإلهيه تحت عنوان أداء الحقوق. وعلى هذا الأساس فمن زاويه الآيات القرآنيه الكريمه والروايات الشريفه فإن جميع أعمالنا ونوايانا فى الدنيا هى نوع من الاستجابه الإيجابيه أو السلبيه إزاء النعم الإلهيه، وإن هذه الاستجابات هى التى تستطيع أن تحدد حجم أدائنا لحقوق الله علينا. إذن يمكن للشكر أن يُتخذ وسيله لاختبار وقياس مقدار إقبالنا الباطنىّ والظاهرىّ نحو القرب من الله سبحانه وتعالى.

۴. الشكر واختلافه عن سائر الأهداف الوسيطه الأخرى

إنّ أداء الحق مقوله مغايره للإيمان والتقوى والعباده الإلهيه، وبطبيعه الحال - كما تقدّم أن ذكرنا - فإنه لا يمكن تحديد الخط الفاصل بين كل واحد من هذه المفاهيم. بيد أنّ الذى يمكن طرحه بشكل خاص تحت عنوان الشكر وأداء الحق، إنّما يكون من خلال الالتفات إلى الرؤيه التى تكون مشموله بهذا العنوان. فإنه على الرغم من أن كل عمل يؤدى إلى الشكر، يعد من وجهه نظر أخرى ركناً من أركان الإيمان أو التقوى، إلّا أن الالتفات إلى مقام الشكر وأداء الحق هو أمر آخر مغاير لمقام الحصول على التقوى والإيمان أو العبوديه لله. وإن الذى يترك فى الإنسان أثراً تربوياً هو الالتفات إلى كل واحد من هذه المراتب المختلفه. ولو أن الفرد عمد إلى بلوره حياته من خلال الالتفات إلى الفلسفه الحاكمه على الشكر والأسس المرتبطه بهذا المفهوم، فإن الآثار التربويه الناشئه عنها، ستمنح المرء باقه من العناصر الإنسانيه والأخلاقيه. وفى الحقيقه ربما يكون

أحد أسرار التنوع فی البیان القرآنی الهادف إلی هدایه الإنسان إلی الله، بمختلف العناوین، من قبیل: المعرفه الإلهیه، والإیمان والتقوی والشکر وما إلی ذلک، هو تمکین الإنسان من توظیف اللوازم الأخلاقیه والروحیه المختلفه لهذه الأمور، وإلّا فإن الذی یواکبنا فی مسیره الحیاه هو الهدف النهائی نفسه المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالی. وعلی الرغم من أن القرآن قد أکد بشکل خاص علی الهدف النهائی، ولکنه لا یصرّ أبداً علی حصریّه هذا الهدف، بل إنه یؤسس لأهداف مرحلیه أخری تقع فی طول الهدف النهائی، لیمهّد الأرضیه بذلک للمعالی والسمو عبر هذه الأهداف الوسیطه فی مختلف المراتب. من هنا فإن الهدف من الشکر - کسائر الأهداف الأخری - یحتوی علی سلسله من اللوازم الأخلاقیه والتربویه التی لا یمکن أن تنبثق إلّا عن الفرد الشاکر والمؤدّی للحقوق. ومن وجهه نظر القرآن فإن ذات أداء الحق یعدّ هدفاً وغایه مطلوبه، وإن الله یرعی الآثار الروحیه والمعنویه لهذا العمل. فمن باب المثال: إن القتال والجهاد وتحقیق النصر مقدمه ووسیله للوصول إلی مقام الشکر وأداء الحق، قال الله سبحانه وتعالی: وَ لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ۱ . ومن ناحیه أخری فإن الآیات الإلهیه تبیّن أن الهدف والغایه هی الوصول إلی هذا المقام وهذه المرتبه، وذلک إذ یقول الله سبحانه وتعالی: کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ۲ ، ویقول أیضاً: کَذلِکَ سَخَّرْناها لَکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ۳ . کما توجد هناک آیات فی القرآن الکریم تری أن إعطاء نعمه العلم والوعی ووسائل الکسب إنما هو من أجل الوصول إلی أداء الحقوق وواجب الشکر، وذلک إذ یقول الله تبارک وتعالی: وَ اللّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ

وَ الْأَفْئِدَهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ١ . وأنّ الهدف والغايه من الانتفاع بنعم الله ورزقه، هو أنّ يبلغ الإنسان من خلال شكر هذه النعم، الدرجات العاليه والمراتب الساميه، وذلك إذ يقول تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ٢ ، ويقول أيضاً: فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ٣ ، ويقول أيضاً: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ٤ . كما تمّ بيان البركات الإلهيه فى القرآن الكريم فى إطار الرزق واستثمار الطبيعه من أجل الوصول إلى هذه المنزله والمرتبه، حيث قال تعالى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٥ ، وقال أيضاً: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٦ . وعليه فإن لكشف النقاب عن الآثار التربويه والأخلاقيه المترتبه على الشكر أهميه خاصّه فى بيان شأنه ومنزلته. وأنّ من بين الصفات التى يذكرها القرآن الكريم هى صفه الشاكر والشكور، وذلك إذ يقول تعالى: وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ٧ ، ويقول أيضاً: ما يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللّهُ شاكِراً عَلِيماً٨ ، ويقول أيضاً: لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ٩ . إن هذه الصفه من الصفات التى يهدف أثرها التربوى إلى الحصول على مقام الشكر وأداء الحق،

وفی الحقیقه فإنه من أهم الطرق المؤدیه إلی التخلّق بالأخلاق الإلهیه والربانیه. وتبرز أهمیه هذه الصفه بحیث أنها بالرغم من وجود حق لله علی الإنسان، إلّا أن الله مع ذلک یبادر إلی شکر الإنسان إذا کان متقیاً ورعاً، ویمهد له الأرضیه للرقی والتکامل من خلال زیاده النعم علیه واستثماره وتوظیفه لفضله ومنّه.

۵. الآثار التربویه المترتبه علی الشکر

قبل بیان الآثار التربویه المترتبه علی الشکر، لا بد من التذکیر أولاً بأن الشکر وأداء الحق هما أمران تربویان أیضاً. وأنّ الفارق الرئیس الذی یمیّز الشکر من غیره من الأهداف الوسیطه الأخری، یکمن فی أنّ الشکر - بالإضافه إلی اشتماله علی الآثار التربویه - یعتبر فی حدّ ذاته أمراً تربویاً أیضاً. وبعباره أخری: إن ذات ارتباط الإنسان مع الله فی إطار أداء الحق یعدّ أمراً تربویاً لا غبار علیه، وإن هذا الشکر هو أحد الأمثله والنماذج التربویه فی الإسلام، خلافاً للأهداف الوسیطه الأخری - من قبیل: المعرفه والتقوی والإیمان والعباده - التی تندرج تحت عنوان الارتباط التربوی مباشره. إن الأهداف التربویه وإن کانت تحتوی علی آثار تربویه هامّه، بید أن التقوی والإیمان والعبودیه والمعرفه الإلهیه، لا تطرح بوصفها نموذجاً تربویاً أبداً. فإن جمیع هذه النماذج تنظر إلی نوع خاص من سلوکنا النظری والعملی فی مسیر القرب من الله الذی یشتمل علی آثار تربویه خاصّه. غیر أن الشکر - بالإضافه إلی کونه مثل سائر الموارد الأخری نوعاً من السلوک تجاه الخالق تعالی - فإنه یشتمل أیضاً علی توجّه قلبی یهدف إلی تنظیم مجموعه من النوایا والسلوکیات من أجل البلوغ بالإنسان إلی أعلی مراتب الکمال.

إن الذی یُنظر إلیه علی الدوام من خلال الشکر، هو نوع من الرؤیه فی إطار التکامل والارتقاء نحو الله، والحصول علی المنافع والثمار التی یحصل علیها الفرد المؤدی للحق فی هذا المسار دائماً وأبداً. وفی مفهوم الشکر تتمّ - من وجهه نظر

علم النفس - مراعاه أحد الأصول التحفيزيه الهامه والمتمثله بالمكافأه والعقوبه. وبعباره أخرى: إننا عندما نقوم بواجب الشكر، نكون فى الحقيقه قد قمنا بتوظيف نعم الله فى المسير المؤدى إليه، وعملاً- وامتثالاً- لأوامره وأحكامه. ويتمّ ذلك فى إطار الحصول على المنفعه ومزيد من النعم. وقد جرت سنه الله على حصول الإنسان بالشكر على مزيد من النعم، وإذا قام الإنسان بأداء الحقوق بأزاء ما يحصل عليه من النعم، فليس هناك من شك فى أنه سيكون مستعداً للحصول على مزيد من الأفضال الإلهيه والربانيه. فإن زياده النعم - سواء على الصعيد الكمى أو الكيفى - رهن بقيام الفرد بواجب الشكر. ومن ناحيه أخرى فإن السقوط والانزلاق فى مستنقع المعاصى والذنوب، يكون ناشئاً عن كفران النعم، وعدم توظيفها فى المسار الصحيح. وعلى هذا الأساس فإن توظيف آليه المكأفاه والعقاب فى هذه المساحه الواسعه، يؤدى إلى نتائج تحفيزيه ويخلق عناصر مشجّعه فى وجود الإنسان. ويمكن القول بضرس قاطع: إن الشكر - بوصفه عملاً تربوياً - يقع فى صلب مسار العمليه التربويه فى التشريع الإسلامى.

١. تحقيق العداله الاجتماعيه: لو أنّ المناخ المهيمن على علاقاتنا مع الله هو مناخ أداء الحقوق والقيام بواجب الشكر، فإنّ ذلك - لا- محاله - سيؤدى إلى تنظيم سلوكنا وتعاطينا مع الآخرين على المستوى الاجتماعى، وإذا قامت العلاقات والسلوكيات الاجتماعيه على أساس من أداء الحقوق، فإن تحقيق العداله الاجتماعيه سيكون أمراً قريب التحقق والمنال. فإن رفع الظلم، وتوسيع رقعه العداله بين مختلف المؤسسات الاجتماعيه، رهن بسياده العداله الفرديه فى إطار علاقه الأفراد ببعضهم البعض، وإن مراعاه الحقوق الفرديه والاجتماعيه رهن بوجود ثقافه أداء الحقوق بين الناس. وإذا لم تكن هذه النزعه الداخليه ظاهره على السلوك الفردى، فليس هناك من شك فى أن المؤسسات الاجتماعيه سوف تعجز وتقصر عن إقامه العلاقات الإيجابيه والسليمه فيما بينها. وعلى هذا الأساس

فإن إقامه العداله الاجتماعيه تتوقف على إقامه العداله الفرديه، ولن يكون ذلك إلّا من خلال شيوع ثقافه أداء الحقوق والقيام بواجب شكر المنعم. ومن ناحيه أخرى فإنه من وجهه نظر الإسلام إذا لم تكن أفعالنا ذات صبغه إلهيه، فإنها مهما بدت عقلانيه وحكيمه فى ظاهرها، إلّا أنها – حيث تفتقر إلى الحافز والدافع الكافى فى جميع مراحل حياه الإنسان –، لن تكون كافيه لتحقيق الكمال وبلوغه. وبعباره أخرى: لو أننا تمكنا من تطبيق نظام أداء الحقوق ورعايتها على أساسٍ من العقل والمنطق فى مجتمع صغير – كالأسره مثلاً – فإن هذا لا يعنى بالضروره إمكان تطبيق هذا النظام فى المحيط الخارج عن كيان البيت والأسره.

وعلى هذا الأساس فإن وجود ثقافه أداء الحق ضمن مدينه أو حتى بلد كبير، لا يشكل دليلاً على أنّ أبناء تلك المدينه أو ذلك البلد، يعيشون ذات هذه الثقافه تجاه جميع الناس فى كافه المجتمعات، بل وحتى بالنسبه إلى الأجيال السابقه والأجيال القادمه. إن النقص الموجود فى النظام الراهن لحقوق الإنسان فى العالم يعتبر نموذجاً ودليلاً بارزاً على عدم تمكّن الإنسان من تقديم نظام تربوى شامل وجامع يأخذ بنظر الاعتبار جميع الناس، ولا يقتصر على فئه خاصه منهم. وإن الثابت بفعل التجربه وشهاده التاريخ هو أن العقل والمعطيات العلميه للإنسان لم تحرز أىّ نجاح فى تنميه هذا الشعور وهذه الثقافه الناجعه لدى الإنسان، وأن الدين وجعل الله نصب العين، هو وحده الكفيل بإيصالنا إلى هذه الغايه. وعلى هذا الأساس فإننا إذا استطعنا أن نؤدى حق الله، فإننا سوف نتمكن – بالمعنى الواقعى للكلمه – من أداء حقوق سائر الناس، وباختصار فإن أول أثر تربوى يترتب على شكر الله وأداء حقّه، يكمن فى رعايه حقوق الآخرين فى ضوء القرب من الله سبحانه وتعالى.

٢. بلوغ مقام الرضا والقناعه والتوكل: إن من بين الآثار التربويه الأخرى المترتبه على الشكر، الصبر والقناعه. إنّ الإنسان الشاكر يسعى من خلال تطويع

نفسه إلى الحصول على مرضاه الله. وبعباره أخرى: إنّ الذى يكون شاكراً لله فى حياته، لا شكّ فى أنّه يتجنب الانهماك فى الإكثار، ويقنع بما قسمه الله له. إنّ تنميه الفرد لروح القناعه فى نفسه، يقترن على الدوام بكبح جماح الإكثار وطلب المزيد والحرص والطمع، وفى الأساس فإن مقوله الجشع والطمع لا تجتمع مع الشكر وأداء الحقوق أبداً. وذلك لأن الإنسان الجشع لا يمكن أن يقنع بما أعطاه الله وقسمه له، ويسعى على الدوام إلى الحصول على المزيد من الأموال والأرباح والمنافع. الأمر الآخر أن الجشع والطمع يدفع الفرد إلى العدوان والتجاوز على حقوق الآخرين، وإذا تعارضت حقوق الآخرين مع مصالحه الشخصيه، فإنه سيتجاوزها وينتهكها بكل بساطه، دون إحساس بالمسؤوليه أو شعور بوخز الضمير. وعليه كلما كان الإنسان أكثر قناعه، كان أكثر رعايه لحقوق الآخرين.

إنّ من بين أسباب عدم التوكل على الله، هو عدم الثقه به. وإن عدم الثقه لا يجتمع مع أداء الحق. فإن الفرد العارف بحق الله، لا يمكن إلّا أن يكون على ثقه تامّه به تعالى، ويعلم جيداً أنّه إذا شكر نعمه الله فإنه سيكون فى معرض الرحمه والبركه الإلهيه. وإنّ مثل هذا الفرد يتمسك بالقدره الإلهيه لضمان قضاء حاجاته ورفع مشاكله، ومن هنا فإنّه يلجأ إلى توظيف عنصر التوكل الذى يلعب دوراً هاماً فى تنظيم وتوجيه الرغبات الإنسانيه، وحيث إنه يدرك ضعفه وعدم قدرته على تلبيه حاجاته المعيشيه، فإنه يلجأ إلى القوه التى تمتلك كل المقدره على حل مشاكله وتلبيه احتياجاته، ولا يكون فى اللجوء إليها أى خدش أو جرح لمشاعر الإنسان وكبريائه.

الفصل الثانی: الأهداف التربویه للإسلام فیما یتعلّق بارتباط الإنسان بنفسه

اشاره

إنّ الهدف الثانی من الأهداف التربویه الوسیطه فی الإسلام یتمّ طرحه فی دائره ارتباط الإنسان بنفسه. فکما یقیم الإنسان ارتباطاً بینه وبین خالقه، ویفهم من المراحل التربویه المهیمنه علی هذا الارتباط أهدافاً خاصّه، کذلک هناک للإنسان أفعال وردود أفعال فیما بینه وبین نفسه، وتهیمن علی المراحل التربویه لذلک الفعل والانفعال أهداف خاصه أیضاً. والمراد من الأفعال، الاحتیاجات والمیول، والمراد من الانفعال فی دائره وجود الإنسان تلبیه تلک الاحتیاجات والمیول والرغبات والقوی الجسدیه والروحیه. وبعباره أخری: إنّ الترکیبه الوجودیه للإنسان تحتوی علی آلیه تستوجب ظهور میول وقوی وقابلیات واحتیاجات خاصه فی البعدین الروحی والجسدی للإنسان. ولکی نوصل کل واحده من العناصر الوجودیه إلی مرحله الفعلیه، نحتاج إلی القیام بحرکه فاعله فی سیاق رفع الاحتیاجات والاستجابه للمیول والرغبات. فمن باب المثال: یمتلک الإنسان الکثیر من القوی، من قبیل: قوّه المعرفه، والمیول العاطفیه، وقدره الإراده، وکذلک القوی الجسدیه. وهو طوال حیاته یسعی -

بما يتناسب وكل واحده من هذه الموارد - إلى توظيف الإمكانات المتاحه والموجوده فى تركيبته الوجوديه. وإنّ الأداه الوحيده المحرّكه له هى هذه القوى والقابليات الوجوديه، وأنّ الإنسان من خلال توظيف هذه العناصر يحدد مسار حياته، بيد أن توظيف كل واحد من هذه العناصر المذكوره واستثمارها من أجل رفع الاحتياجات والحصول على السعاده والطمأنينه، لا يعنى بالضروره أن مجموعه العناصر الوجوديه قد سارت على أرضيتها المناسبه فى سياق تكامل شخصيه الإنسان. وكما توجد هناك إمكانيه لتوظيف هذه القوى والطاقات فى الطريق الصحيح وصولاً إلى الكمال الإنسانى، هناك إمكانيه لتوظيفها فى المسار الخاطئ أيضاً. وإن الذى يعمل على توجيه رغبات وطاقات الإنسان، ويهديه إلى طريق السمو والوصول إلى الهدف النهائى من الهدايه، هو البرنامج الحركى فى إطار الحصول على الأهداف الخاصه. وإن هذا البرنامج - بالإضافه إلى حاجته إلى تعيين الهدف النهائى من أجل تحديد اتجاه الحركه -، بحاجه إلى تعيين المراحل المختلفه من أجل الحصول على ذلك الهدف أيضاً. وإن دور الأهداف الوسيطه يكمن فى القيام بهذه الوظيفه الأخيره. وإن الأهداف الوسيطه التى نتناولها فى هذا الفصل، ناظره إلى برنامج مرحلى يتضمن تبويب حركه الإنسان فى مسيرته إلى الله على أساس من أبعاده وقواه الوجوديه.

إن الإنسان يحتوى بشكل عام على بعدين، بعد روحانى، وبعد جسمانى. وإن كل واحد من هذين البعدين يشتمل على طاقات وقابليات مختلفه. وإن معيارنا وملاكنا فى فهم النصوص الدينيه (الآيات والروايات) - من أجل تقسيم وتبويب المراحل المختلفه للأهداف التربويه للإسلام فى مجال ارتباط الإنسان بنفسه، - هو بنيته الوجوديه. وإن بعده الروحى يشتمل على ثلاثه أنحاء متمايزه من بعضها، وهى: الناحيه المعرفيه، والناحيه الانتمائيه، والناحيه

العاطفیه. وإن کل واحده من هذه الأنحاء - مضافه إلی البعد الجسدی - لها تأثیر لا یمکن إنکاره علی أوضاع حیاه الإنسان وظروف نشاطه. ولیس هناک من شیء خارج هذه الأبعاد الوجودیه؛ لیکون هو المؤثر، ومن هنا فإن برنامج حرکه الإنسان یمکن تقسیمه إلی مشاریع أکثر تحدیداً بالنسبه إلی کل واحد من أبعاده الوجودیه. وفی هذا الفصل نسعی - بما یتناسب وکل واحد من هذه الأبعاد المذکوره - إلی بیان البرنامج التربوی للإسلام، والذی یحتوی علی الأهداف الوسیطه فی هذا المجال.

الأبعاد المختصّه بالإنسان

أ) الأهداف المعرفیه

اشاره

إن من بین الخصائص البارزه والممتازه فی وجود الإنسان التی تمتعه بالقدره علی التفکیر والاستدلال، وبکلمه واحده: العقل. فإن تنمیه هذه الطاقه والقوه وتوظیفها بشکل صحیح من وجهه نظر الإسلام، یعتبر من أهم مراحل الصعود إلی المراحل الإنسانیه العالیه، وبلوغ الأهداف النهائیه. وقد تمّ بیان الاهتمام الإلهی الخاص بهدایه الإنسان عن طریق العقل وإعمال الفکر والنظر فی الکثیر من الآیات والروایات، حیث تؤکد هذه النصوص علی استحاله اجتناب العقل والتفکیر من أجل الوصول إلی القرب من الله. وعلی هذا الأساس فإن تنمیه الطاقات الذهنیه والمعرفیه والعقلیه، واستیعاب العلوم والمعارف من أجل إثراء هذه الطاقات یعتبر من الأهداف الوسیطه. جدیر ذکره أنّ الإنسان من خلال استیعابه لمزید من العلوم والمعارف یغدو أکثر إحاطه بما حوله، ومن خلال إدراکه ومعرفته لنفسه یمکنه المضی فی طریق معرفه الله بشکل أفضل وأیسر. وعلی هذا الأساس یمکن تلخیص سلسله الأهداف المعرفیه فی المقولات الأربع الآتیه:

۱. تنمیه قوه العقل.

۲. استیعاب العلوم والمعارف.

۳. النمو الفکری.

۴. معرفه الذات.

۱. تنمیه قوه العقل

إنّ الهدف الأول فی سلسله الأهداف التربویه للإسلام – فیما یتعلق بارتباط الفرد بنفسه – هو تنمیه وتقویه العقل والتفکیر. فإن الإنسان من خلال قدرته الناشئه من عقله وتفکیره یستطیع التوصّل إلی کنه الدین وأعماقه. وإن تشجیع القرآن الکریم والروایات الشریفه علی تنمیه هذه الطاقه وتوظیفها فی فهم الدین یثبت أهمیه دور العقل فی فهم وإدراک الحقائق والتشریعات الدینیه. إن عقل الإنسان یمکنه – فی رقعه ثقافه العصر والاحتیاجات الناشئه عنه – أن یساعد علی اکتشاف الطبقات المجهوله من الدین وحقائقه الکامنه منه والخفیه، وأن یقدم مناهج جدیده لتوظیف واستثمار الکنوز الدینیه. والذی یتوقع من الإنسان هو أن یستفید من هذه الموهبه الإلهیه فی تحلیله للمسائل والظواهر بدقه وذکاء. وفی الحقیقه فإن العقل بوصفه حجّه باطنیه، یعتبر بوتقه لصهر الأدله علی إثبات الأمور الفطریه المودعه فی جبله الإنسان. وبعباره أخری: إن العقل یعتبر أرضیه خصبه ومناسبه لمختلف المیول والاتجاهات، فإذا تمکنت الفطره الإنسانیه من فرض سیطرتها وهیمنتها علی هذا المسار، فسوف یمکن الحصول علی العقل الفطری والإلهی. وهو العقل الذی تم الثناء علیه وتبجیله فی الآیات الکریمه والروایات الشریفه. إلّا أن هذه القابلیه والکفاءه ذاتها إذا تمّ توظیفها فی إرضاء الأهواء النفسیه والنزوات المنحرفه، ستکون سبباً فی السقوط والانحطاط والبعد عن الله.

ویعتبر الـذین یعملون علی توظیف هـذه النعمه الإلـهیه فی طریق السـقوط والانحراف فی المنطق القرآنی بعیـدین کلّ البعـد عن التعقـل والبصـیره. وبطبیعه الحـال فإن العقل لن یکون مجـدیاً أو نافعاً إلّا فی ضوء توظیفه فی تلبیه المیول الفطریه، قال تعالی فی محکم کتـابه الکریم: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ یُؤْمِنُوا لَکُمْ وَ قَدْ کـانَ فَرِیقٌ مِنْهُمْ یَسْـمَعُونَ کَلامَ اللّهِ ثُمَّ یُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْـدِ مـا عَقَلُوهُ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ۱ . کمـا تمّ التعریف بالعقـل والتفکر فی القرآن الکریم بوصـفهما هـدفاً وغـایه لبیـان الآیـات، وفی ذلک قال الله تبارک وتعالی:

کَذلِکَ یُحْیِ اللّهُ الْمَوْتی وَ یُرِیکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ۲ .

کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ۳ .

اِعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ یُحْیِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَیَّنّا لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ۴ .

کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ۵ .

کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ۶ .

یعتبر التعقل والتفکر الصـحیحان فی الرؤیه الإسلامیه هدفاً وغایه فی حدّ ذاتهما، ولکن علی کل حال فإن التفکر والتعقل یتعلّقان بـأمر یکون فهمه ومعرفته أمراً مطلوبـاً، وإن المطلوب والمراد من وجهه نظر القرآن الکریم یحتوی علی جهه خاصه تمت الإشاره إلیها فی القرآن الکریم، وذلک إذ یقول الله تعالی:

- وَ مَا الْحَیاهُ الدُّنْیا إِلاّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدّارُ الْآخِرَهُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ۷ .

- وَ الدّارُ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ١ .

- أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ٢ .

- وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ٣ .

إن ما يمكن استنباطه من القرآن الكريم بشأن آليه العقل ودوره فى حياه الإنسان، أمرين، وهما:

أ) توظيف القوّه الفكريه والعقليه فى كل زمان، بحيث لا يقوم الإنسان بأى عمل دون تعقل أو تفكير. وفى الحقيقه فإن هذه صفه تترسخ فى نفس الإنسان من خلال الممارسه والمتابعه الجاده.

ب) إن دور العقل والتفكير الفريد يصبّ فى معرفه الله والمعارف والحقائق الدينيه والعلوم، وكذلك معرفه نفس الإنسان، من أجل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى والقرب منه.

وأنّ الآيات والروايات التى تدل على أهميه هذا الهدف الوسيط عباره عن:

الدعوه إلى التفكّر والتعقل: هناك الكثير من الآيات فى القرآن الكريم تدعونا إلى التعقل والتفكر(١). إن هذه الآيات بمختلف مضامينها تسعى إلى إبراز هذه المسأله وهى أن الإنسان لا مندوحه له - لاختزان التجربه والاعتبار

١- (۴)) هناك فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تدل - من خلال مختلف العناوين من قبيل: التفكر والتفقه والتدبر والتذكر والاعتبار والنظر والعلم والبصر واللب - على أهميه الفكر والتعقل وتوظيف هذه النعمه الإلهيه فى إطار التكامل والسمو والقرب من الله سبحانه وتعالى.

والتعلم من مختلف الأمور والوصول إلى القرب من الله - من التفكر والتعقل والتدبّر. وإن اكتشاف الآيات الإلهيه، والاعتبار بعاقبه المجرمين على طول التاريخ، والاستفاده من القصص والأمثال القرآنيه، واستيعاب المبدأ والغايه (التوحيد والمعاد)، وكذلك التوصّل إلى كنه أسرار خلق السماوات والأرض، إنما يغدو ممكناً فى ضوء التفكر والتعقل. وإن الآيات المتعلقه بالتفكر والتعقل تدعونا - بشكل صريح وضمنى - إلى التفكر، والابتعاد عن السفاهه وعدم تعطيل دور العقل والتفكير. ويمكن لنا بشكل محدد أن نستعرض الكثير من الآيات التى تعقّب بعد بيان أمر خاص بأنه آيه وعلامه من الله، وتسند التوصل إلى هذه الحقيقه إلى التعقل والتفكر. وكأنه لا يمكن لشخص أن يدرك أن هذه المسائل من آيات الله إلّا إذا تسلح بسلاح العقل والتفكير. ومن هنا يجهد القرآن الكريم فى هدايه الإنسان - لاكتشاف هذه العلقه - ويدعو إلى دائره توظيف العقل والتفكير والتدبّر، ويرى أن هذه الأمر هو وحده الكفيل بذلك. وفيما يلى نستعرض نماذج من هذا الآيات القرآنيه حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

- وَ هُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِىَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ١ .

- يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَهً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ٢ .

- وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ٣ .

- اَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِها فَيُمْسِكَ الَّتِى قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ١ .

إن النتيجه المترتبه على مثل هذا التعقل والتفكير هو التوصّل إلى معرفه كنه أسرار الخلق، وذلك إذ يقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ٢ ، ويقول أيضاً: أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ٣ ، وإذ يقول أيضاً: فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ٤ ، والحصول على التجربه، ذلك إذ يقول الله تعالى: أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً٥ ، وإذ يقول تعالى كذلك: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّهً وَ آثاراً فِى الْأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ٦ ، ويقول تعالى: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكافِرِينَ أَمْثالُها٧ ، ويقول تعالى: فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ٨ . وتجنب السفاهه والجهاله التى أدّت إلى ضلال الماضين، وبعدهم عن منزله القرب من الله سبحانه وتعالى. ومن ناحيه أخرى فإن

القرآن الكريم - لكى يحثنا على التفكر والتعقل - يذكر لنا أمثالاً وقصصاً كثيره من تاريخ المتقدمين والأمم السابقه، وقد تمّ ذكر كلّ واحده من هذه الأمثال والقصص فى مناسبه خاصه. وأنّ الهدف من وراء ذكر هذه الأمثال والقصص هو مجرد إحداث جذوه وبارقه تدعو الإنسان إلى التفكير والتعقل واكتساب مزيد من التجربه فى الحياه، قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ١ ، وقال تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ٢ . ولا شك فى أن الشخص لا يمكنه الاعتبار بتجارب الآخرين، إلّا إذا كان ينظر إلى واقع الحياه بعقل ووعى ونظره عميقه.

إزدهار العقل فى ضوء البعثه: إنّ من بين الموارد الداله على أهميه العقل فى النظام التشريعى وهدايه الإنسان، هو الاهتمام الخاص الذى يوليه الأنبياء (عليه السلام) للعقل. فإن جميع الأنبياء قد عملوا على استثاره هذه الأداه المفكره فى إطار إصلاح الإنسان وتربيته وبلوغه أعلى مراتب الكمال. وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن أحد الأهداف المترتبه على بعث الأنبياء هو رفع مستوى المقدره العقليه والفكريه للإنسان وإيصالها إلى الكمال المنشود، وفى ذلك روى عن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه و آله)، أنه قال:

(ومَا بعَثَ اللهُ نَبيّاً ولَا رَسولاً حتّى يَستَكمِلَ العَقلَ).(١)

وروى عن الإمام علىّ (عليه السلام) أنه قال:

١- (٣)) أصول الكافى: ج ١، الحديث ١١.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ)(۱). وروى عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه قال: (ما بَعَثَ اللهُ أنبياءَهُ ورُسُلَه إلّا لِيَعقِلوا عَنِ اللهِ، فأَحسَنُهُم استِجابَةً أحسَنُهُم مَعرِفَةً)(۲).

وقد جاء اهتمام الأنبياء وتوظيفهم للعقل، من أجل غايتين، وهما:

۱. التأثير فى الإنسان، وبيان الآيات الإلهيه. وبعباره أخرى: إن الذى يقع مورداً لخطاب الأنبياء (عليه السلام) أولاً وبالذات هو القوه التى يستطيع الإنسان من خلالها تحديد الأمور وتمييزها من بعضها؛ لأن هذه القوه هى وحدها الكفيله بالتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والقبح والجمال، والصلاح والفساد، ولكى يتمكن الأنبياء من إيصال رساله الله إلى الناس، ليس أمامهم من طريق سوى الانفتاح على العقل ومخاطبته للوصول إلى روحه وبصيرته.

۲. إن الأنبياء (عليه السلام) وبعد تمكنهم من استقطاب الإنسان، يجب عليهم الإبقاء على تواصلهم مع العقل من أجل عدم خروج الإنسان عن مسار الهدى حتى بلوغ الكمال، ولذلك يجب عليهم الاستمرار فى مخاطبه العقل والتفكير، ومن هنا يتمتع العقل بمكانه عاليه فى طريق الهدايه وتحليل المعلومات، وتوظيفها فى جميع جوانب الحياه. وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن العقل - سواء فى مرحله إيجاد الارتباط وفى مرحله الحصول على الرساله الإلهيه - يلعب دوراً فريداً وحيوياً، ولذلك فإن ازدهاره وتنميته تعتبر من أهم أهداف الأنبياء.

التأثيرات السلبيه لعدم التفكير: كما تمّ التأكيد على أهميه التدبّر والتفكير فى إطار تنميه العقل وتوظيفه بشكل صحيح، وكما استحق العلماء منزله القرب من

۱- (۱)) نهج البلاغه: الخطبه الأولى.

۲- (۲)) المصدر: ۱۶.

الله والثناء والتكريم بسبب توظيفهم لمقدرتهم العقليه، فقد تمّ فى المقابل مؤاخذه الذين لم يستفيدوا من هذه النعمه الإلهيه، ولذلك نجد الله يكيل لهم التوبيخ قائلاً عن لسان النبىّ إبراهيم (عليه السلام): أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ١ . ومن وجهه نظر القرآن الكريم فإن الشخص الذى لا يمارس التفكير والتعقل، هو مجرد من الحقيقه والماهيه الإنسانيه، وذلك لأنه قد تخلى عن أهم الخصائص الإنسانيه، وأطفأ سراج العقل فى وجوده وكيانه، ومن هنا يكون قد أغلق طريق التواصل بينه وبين الأشخاص الآخرين الذين آثروا العيش فى إطار المساحه العقليه. إن مثل هذا الفرد محروم من أكثر القوى تجذّراً فى حياته. فهو لا يرى ولا يسمع وليس لديه شىء ليقوله، وفى ذلك يقول الله تعالى: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ٢ . وحيث إنه بالإضافه إلى ذلك قد تجاهل أداه الارتباط المتمثله بالعقل وسيكون على مستوى البهائم والعجماوات التى تعجز عن إقامه جسور التواصل مع العقلاء من البشر، وفى ذلك يقول الله تعالى أيضاً: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ٣ . إن الهبوط إلى هذا المستوى المتدنى من الانحطاط والتنكر لحقائق الوجود هو نتيجه طبيعيه لعدم توظيف العقل والتفكير. إن الذين يعملون على توظيف هذه المقدره العقليه لا يبتلون بالانحراف العملى، ولا يبتلون بالكفر والشرك فى البعد النظرى. وعلاوه على ذلك فإن الذين يستخدمون عقولهم فى الحياه من أجل التقرّب من الله، يقيمون علاقات اجتماعيه نافعه ومطلوبه مع الآخرين، وهذا بنفسه يمهّد الأرضيه المناسبه من أجل تحقيق العداله الاجتماعيه. وبعكسهم أولئك الذين يجتنبون استخدام العقل والتفكير فى طريق الوصول إلى

الله، ويتجاهلون دوره الذى لا ينكر، فإنهم حتى إذا تمتعوا بالسعاده والرفاه الظاهرى، إلّا أنهم من وجهه نظر القرآن الكريم بحكم الأنعام، فلا يمكنهم التواصل مع الآخرين بشكل طبيعى، ولا يمكنهم المشاركه فى إقامه المجتمع السليم ونشر الثقافه الصحيحه. وإن الذى يمكنه أن يساعد فى إقامه الأرضيه المناسبه لإيجاد الثقافه الصحيحه من وجهه نظر القرآن الكريم، هو العمل على توظيف العقل فى إطار القرب من الله سبحانه وتعالى. وإن عدم الاستفاده من هذا العنصر، يعد بمثابه العجز عن إيجاد الارتباط والتواصل المعقول. وفى مثل هذه الحاله حتى إذا بدا أن هناك تواصل ظاهرى فيما بين الناس، ولكن حيث إن هذا الارتباط السطحى لا يقوم على أساس من العقل والتفكير الإلهى، فإنهم فى الحقيقه لا يشكلون إلّا مجتمعاً متفككاً ومشتتاً وغير متلاحم، يقوم بناؤه على أساس المصالح الماديه والمنافع الدنيويه. قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ١ .

عدم التفكير والنزوع إلى الخبث: إن الإنسان الجاهل - حيث لا يمتلك المعيار والملاك الصحيح الذى يمكنه من التمييز بين الخير والشر -، فى المنطق القرآنى لا يستطيع تجنب الزيغ والانحراف، قال تعالى: وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ٢ . إن الذى لا يفكر فى نظام الخلق، ولا ينظر إلى حقائق العالم والتاريخ باعتبارٍ ما، لن يكون لديه متاع وتجربه كافيه للمسير إلى الله، وأنه كلما أمعن فى التقدم زاد بعداً وضلالاً عن الطريق، وأن مصيره لا محاله سيكون هو السقوط فى قعر جهنم، قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ قالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنّا فِى أَصْحابِ السَّعِيرِ٣ .

مواجهه عناصر الركود والجمود الفكرى: إن من بين المؤشرات والأدله الأخرى على اهتمام الإسلام بتنميه العقل والفكر وتوظيف التعقل والتفكر، هى مواجهه العناصر التى تستوجب - بنحو من الأنحاء - الركود والجمود الفكرى. وبعباره أخرى: إن النظام المنطقى للإسلام يمكِّننا من تحديد عناصر الركود والجمود الفكرى، والتعرف على مواطن الزلل الذهنى والعمل على مواجهته ومكافحته. وإن تلك العناصر من وجهه نظر القرآن عباره عن:

- التقليد السلبى للأسلاف. إن الإيمان بمعتقدات وآراء الأجيال الماضيه، وتقليد الآباء والأجداد والأسلاف دون تحقيق أو تمحيص يعدّ من العناصر الهامه فى الجمود الفكرى والعقلى. وعليه فإن ما آمن به الأقدمون والتزموا به على المستوى العملى، لا ينبغى أن يكون مناط اعتقادنا لمجرّد أنهم آباؤنا وأسلافنا. فمن وجهه نظر القرآن إن الانحياز إلى عقيده ومذهب أو طريقه يجب أن يقوم على أساس من التعقل البحت، دون الانتماء العاطفى لما كان عليه جيل من الأجيال السابقه؛ إذ لو كان مناط الإيمان وملاك الالتزام الدينى وتحديد الصحيح من السقيم هو العقل والتفكير - والمفروض أن هذا الملاك والمناط سارياً على أسلافنا أيضاً - فما هو الداعى إلى التقليد والمحاكاه. وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى التبعيه إلى الأسلاف والأمم الماضيه فى الكثير من آياته القرآنيه، وإليك نماذج منها:

- وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ١ .

- وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ٢ .

- وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ ١ .

فى الرؤيه القرآنيه لا- يعتبر الذين يوجدون سُنّه من السنن، ملاكاً ومعياراً صحيحاً لقبول أو رفض تلك السُنّه، وإنما الملاك والمعيار الصحيح للإيمان بسُنّه أو عدم الإيمان بها هو ما تتمتع به من العقلانيه والهدايه وإمكانيه التكامل من خلالها. وعلى هذا الأساس فإن اتباع السُنّه والتقليد المطلوب هو الاحتكام إلى العقل وجعله هو المحك فى القبول بما كان عليه الأسلاف والأجيال الماضيه، دون التبعيه والتقليد الأعمى.

٢. بحث خاصّ

إن الكثير من العقائد والسنن التى كانت سائده بين أسلافنا لا تقوم على أسس منطقيه أو معقوله. وهذا الأمر يعود بجذوره إلى تطور الثقافات عبر العصور، وكذلك إلى الميول والنزعات النفسيه. وإن ما نقوله من أنه لا ينبغى اتباع سنن الأقدمين دون إقامه الدليل العقلى على تلك السنن، يعنى أن العقل الإنسانى يحصل على مزيد من الازدهار بمرور الزمن واكتساب المعلومات الجديده واتساع رقعه الثقافات، فإن الذين كانوا يعيشون فى الأزمنه الماضيه لم يستطيعوا فهم ما توصلنا إليه فى عصرنا الراهن، وقد كانت عقائدهم تتناسب ومذاخاتهم الفكريه التى كانت سائده فى عصورهم. وبعد الالتفات إلى هذه الحقيقه فإن عدم القبول بسنن الأسلاف لا- يعنى أنهم لم يكونوا يستفيدون من طاقاتهم العقليه والفكريه، بل بمعنى قصور أذهانهم عن إدراك أوضاعنا الراهنه. وعلى هذا الأساس فإن اعتقادهم بأمر ليس مذموماً أو أنه غير صحيح، بل إن اتباع سُنّتهم بالنسبه لنا دون تدبر أو تعقل هو المذموم. وفيما

يتعلق بهذا النوع الأخير بالإضافه إلى كون التبعيه والتقليد الأعمى مذموماً وسلبياً، فإن ذات هذه السُنّه سلبيه ومذمومه أيضاً. والذى يتوقع من الإنسان - فى معرفه هذه السنن الباطله وتمييزها من السنن الصحيحه - هو الحد الأدنى من التفكير والتعقل. إن التكامل والتنميه والازدهار العقلى ليس له تأثير فى قبول أو رفض السنن الباطله والمذمومه. وإن النزعه الفطريه إلى الإيمان بالله والمعاد والتوحيد الربوبى أمر خضع للنقاش والجدل عبر الأجيال المتماديه. وإن الإيمان بالله قابل للشرح والبيان والاستدلال حتى من خلال العقل الفطرى، فلو أن بعض الأسلاف لم يستجيبوا لنداء فطرتهم، وبعكسهم قامت الأجيال اللاحقه بالإستجابه إلى نداء هذه الفطره وآمنوا بالتوحيد، فإن هذا لا يعنى وجود قصور أو نقصان فى عقول الإسلاف، وكمال فى عقول الأجيال اللاحقه، وإنما يعود السبب فى ذلك إلى عدم توظيف الأسلاف للعقل والتفكير، وحجبه تحت ستار الأهواء النفسيه.

- اتباع أصحاب النفوذ والسلطه: إنّ التعويل على بعض الشخصيات البارزه والكبيره وتقليدها فى الكثير من الحالات، يعتبر سبباً فى تزلزل المعتقدات وزوال الاستقلال الفكرى، ويفضى بالتالى إلى الجمود العقلى. إن اتباع أصحاب المناصب والسلطه والشخصيات العلميه - فى الموارد التى يمكن للفرد فيها توظيف عقله وإعمال فكره فى تحليل الأمور - لا يترتب عليه سوى التبعات التى تؤدى إلى زعزعه أركانه الإيمانيه والعقائديه. إن الأثر السلبى الذى يترتب على اتباع الشخصيات العلميه وأصحاب النفوذ والسلطه يكمن فى أنه لا ينطوى على أىّ دعامه تضمن لنا الهدايه إلى الصراط المستقيم من خلال التقليد وأداء فروض الطاعه لهم. بل قد يؤدى اتباعهم فى الكثير من الموارد إلى الانحراف والابتعاد عن الأهداف الواقعيه والحقيقيه. ويتجلى هذا الأمر فى الموارد التى يتم فيها اتباع أصحاب السلطه والنفوذ

الاجتماعی بالالتفات إلی الجوانب الظاهریه علی نحو أکبر. فکثیراً ما یحدث أن تؤثر الکاریزما الشخصیه لبعض الأفراد المقتدرین والهیبه والجلال الذی یتمتعون به، علی شخصیات الآخرین بحیث یعدون قراراتهم وکلماتهم بمنزله الوحی المنزل، ویتمسکون بها ویعملون فی ضوئها دون تحقیق أو تمحیص. وهذه ظاهره کثر حدوثها علی طول تاریخ حیاه الإنسان الاجتماعیه، وهی ظاهره قد رصدها القرآن الکریم فی الکثیر من آیاته، ومن ذلک قوله تعالی: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسی بِآیاتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِینٍ * إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِیدٍ۱ . ولا زلنا نشهد الکثیر من هذه المظاهر التی تطالعنا کل یوم فی عصرنا الراهن. إن القبول والالتزام بأمر - یتعین علینا أن نقوم بأنفسنا بالاستدلال علیه - إذا صدر عن شخصیه علمیه أو صاحب سلطه، حیث لا یمتلک الدلیل العقلی علیها وإنما تفرض علینا بفعل الضغوط الخارجیه، لن تکون دعائمها إلا هاویه ومتزعزعه وآیله إلی السقوط. ولذلک نجد القرآن الکریم یقول حکایه عن لسان أمثال هؤلاء الذین یعطون قیادهم إلی الشخصیات البارزه من أصحاب النفوذ والسلطه: وَ قالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ کُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلَا۲ . وروی عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال:

من دخل فی هذا الدین بالرجال، أخرجه منه الرجال کما أدخلوه فیه. ومن دخل فیه بالکتاب والسُنّه، زالت الجبال قبل أن یزول.

لیس هناک ما یدعو إلی الوثوق والاطمئنان فی أنه إذا برزت شخصیه مؤثره أخری وجاءت بعقیده ورأی مختلف، أن لا نؤمن بها أیضاً؛ وذلک لأن جوهر هذا النوع من العقائد لا یقوم علی أساسٍ من الاستدلال والتحلیل العقلی، حتی یبقی ثابتاً بعد تغیّر العوامل والأسباب الخارجیه، فیمکن تغییره

عنـد انفصـاله عن منشـئه الخارجی. وعليه فإن تقليـد الآخرين والتعويل عليهم - فی الموارد التی يمكن للفرد فيها أن يقوم بنفسـه بعمليه التحقيق والتحليـل والبحث العقلی - لن يؤدی سوی إلی الانـحراف والانزلاـق العقائـدی. ومن هنـا فإن اسـتحكام العقيـده وثباتها يتوقف علی ترسـيخ جذورها فی جوهر ذات الإنسان وعمق كيانه، وذلك من خلال الجهود العقليه والفكريه التی يباشرها الإنسان بنفسه، ولا يمكن للإنسان أن يواصل مسيرته التقدميه نحو الكمال إلّا من خلال سلوك هذا الطريق.

- اتبـاع الظن: إن من بين الموارد التی تؤدی إلی الجمود الفكری والعقی هو اتبـاع الظنون والأوهـام، وهو ما تحـدث عنه القرآن الكريم بقوله: وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً١ . إن الاكتفاء والاقتناع بالمراتب المتدنيه من الإدراكات العقليه والفكريه، وعدم التحقق والتدقيق والتمحيص من أجل الوصول إلی مرتبه اليقين، يؤدی بالإنسان إلی القيام بأعمال واهيه وضـعيفه فی اختيار العقائد، ولذلك فإنه سـيتخلی عنها لأدنی شك أو شبهه. وإن هذا الأمر سيفضی إلی الانحراف عن الواقع فيما يتعلق بالبعـد العقائدی، وإلی سوء الظن بالآخرين فيما يتعلق بالبعد الاجتماعی. قال تعالی فی محكم كتابه الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...٢ .

إن أسـاس وجـذور التبعيه للظنون - من وجهه نظر القرآن الكريم - تعود إلی عبـاده الأـهواء النفسـيه. قـال الله تعـالی: إِنْ هِیَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَی الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ

جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى١ . إن الذى ينحاز إلى الأهواء النفسيه، يرزح فى ظلمات الظن والشكوك، ويحرم من نور العقل والتفكير.

الانحياز إلى الأكثريه: إن الإنسان فى اختياره للمعتقد ولمنهجه فى الحياه بحاجه إلى محمل يستطيع من خلاله تبرير اعتناقه لتلك العقيده واختياره لذلك المنهج. فإن معرفه دليل كل أمر بالإضافه إلى أنها تعمل على إقناع المرء من الناحيه العقليه، فإنها تخلق لديه حاله من الطمأنينه والاستقرار من الناحيه النفسيه. وإذا كان لعدم الحاجه إلى الدليل والاطمئنان بدرجه من الهدوء والاستقرار، دعامه عقليه، فإن ذلك سيمنحها ثباتاً واستحكاماً، بيد أنه فى بعض الأحيان يؤدى بنا الحصول على الاطمئنان والقناعه الباطنيه – فى عمليه البحث عن الدليل – إلى أن نغض الطرف عن اللجوء إلى العقل، والاستناد إلى عناصر أخرى من قبيل: أقوال الآخرين ومواقفهم.

إن التمسك بآراء الآخرين والقبول بعقيدتهم ونهجهم، وإن كان يؤدى إلى حدٍّ ما إلى الطمأنينه من الناحيه النفسيه، إلّا أنّ الميل إلى الأكثريه والاستناد إلى آراء الجماعه، لا يجعلنا فى غنى عن التمسك بالعقل. وعلى هذا الأساس فإن الإيمان بكل نوع من أنواع العقيده أو أى منهج من مناهج الحياه – إذا لم يقم على أساس من التفكير والتعقل – فإنه سيؤدى إلى تزلزل العقيده، بل وفى كثير من الأحيان إلى الانحراف والابتعاد عن الحقيقه والواقع. أنّ أكثر الناس، بدلاً من أن يقوموا بتوظيفت العقل والفكر فإنهم يتبعون الظن، وإن اتباع الجماعات اتباعاً أعمى يؤدى بدوره إلى التبعيه للظنون والشكوك، ولن ينتج عن ذلك سوى الضياع والضلال. ومن هنا عمد القرآن الكريم إلى شجب ومنع اتباع الأكثريه دون تفكير أو تعقل، وذلك حيث يقول الله تبارك

وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ١ .

العصبيه العمياء: إن العصبيه بمعنى الإصرار على معتقد أو طريقه أو مذهب، إنما تكون مذمومه ومرفوضه إذا كانت قائمه على الجهل والسفاهه. وإن هذا النوع من العصبيه هو عدول عن المسار الصحيح، وانحراف عن حدود العلم واليقين. إن الشخص المتعصّب يضع عقله تحت قدميه، فهو على الرغم من وعيه وإدراكه لبطلان عصبيته، ويقينه بأحقيه العقيده الأخرى، إلّا أنه ينكر كل ذلك انصياعاً لأهوائه الشخصيه. وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ٢ . وإن الذى يؤخذ بنظر الاعتبار فيما يتعلق بالعصبيه السلبيه إلى حد أكبر هو عدم توظيف ثمار العقل المتمثله بالوعى واليقين.

إن بعض عناصر الجمود والركود الفكرى من قبيل: التبعيه للأسلاف، واتباع الشخصيات ذات السلطه والنفوذ، واتباع الأكثريه، إنما تكون مذمومه لأنها تحول دون توظيف الإنسان لعقله وتفكيره، وأما فيما يتعلق بموارد من: العصبيه العمياء: فإن جذور الجمود الفكرى والركود العقلى تعود إلى الأهواء النفسيه، والتى تؤدى بالإنسان إلى التنكر لعقله مدركاً عالماً وعامداً، حتى تنطفئ جذوه العقل بالتدريج. وفى ذلك روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (اللَّجَاجَهُ تَسُلُّ الرَّأْىَ)(١).

- التسرّع بالحكم: إن القبول والتصديق بأمر أو رفضه وإنكاره يجب أن يقوم على أسس عقليه، وأن يكون عن درايه وبصيره وصبر وتروّى وإحاطه

١- (٣)) الشريف الرضى، نهج البلاغه، قصار الحكم، الحكمه رقم: ١٧٩.

علمیه. إن إبداء المواقف العجوله والمتسرّعه والسطحیه یُعدّ واحداً من علامات الجمود الفکری وعدم توظیف العقل فی مقاربه أفکار الآخرین وتقییمها. ومن هنا فإن القرآن الکریم یحظر علی الإنسان أن یتسرّع فی قبول الأفکار أو رفضها، ویری أن ذلک بمنزله الشرخ الفکری والعلمی الذی من شأنه أن یؤدی بالمرء إلی قعر الجهل والظلام. قال الله تعالی: بَلْ کَذَّبُوا بِما لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ کَذلِکَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ۱ ، وقال أیضاً: حَتّی إِذا جاؤُ قالَ أَ کَذَّبْتُمْ بِآیاتِی وَ لَمْ تُحِیطُوا بِها عِلْماً أَمّا ذا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۲ ، وروی عن الإمام علی (علیه السلام) أنه قال:

لَو أن العِبادَ حینَ جَهِلوا وَقَفوا، لَم یَکفُروا ولَم یَضِلّوا.(۱)

وإن الحلم والتصبّر نتیجه العقل والحکمه، وهو یؤدی بالإنسان إلی الوعی والکمال والسمو، وقد روی فی ذلک عن النبیّ الأکرم (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

«فتشعّبَ مِنَ العَقلِ الحِلمُ، ومِنَ الحِلمِ العِلمُ، ومِنَ العِلمِ الرُشدُ»(۲).

- العلاقات غیر العقلائیه: إن من بین العناصر الأخری التی تؤدی إلی الرکود الفکری والجمود العقلی هی التعلقات الاعتباطیه وغیر المعقوله والتی یتمّ فیها تجاهل الأفکار الصحیحه والتنکر لها. وإذا لم تقم علاقات الإنسان علی أساسٍ من العقل والتفکیر، فإن الحب والبغض سیحول دون التقدم والسیر علی إیقاع الحرکه العقلائیه. وإن إغلاق عین البصیره والتفکیر والعقل بغمامه الحب والبغض والتعلقات غیر المعقوله، یفضی بالإنسان إلی دائره الحرمان من نور العقل والتفکیر. وإن الذین یقیمون حبهم أو بغضهم علی

۱- (۳)) الآمدی، غرر الحکم ودرر الکلم: ۲۶۱.

۲- (۴)) العلامه محمد باقر المجلسی، بحار الأنوار: ۱۱۷/۱۶.

عناصر غير عقليه يحبسون أنفسهم فى شباك هذه العلاقات والأحقاد غير المنطقيه. وفى ذلك روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

«وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَهٍ، وَيَسْمَعُ بَأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَهٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ»(۱).

وإن التعلق بـأمور من قبيـل: الثروه والجاه والمقام والنفوذ الاجتماعى والعُجب، والأنانيه، وعباده الهوى، والانغماس فى الملـذّات، تجعل الإنسان حبيساً داخل شـرنقه تحيط به من جميع الجوانب حتى تمنعه من القـدره على الرؤيه والتبصـر. وقـد روى عن الإمام على (عليه السلام) فى هذه الموارد أحاديث كثيره من قبيل: قوله (عليه السلام):

(ضَياعُ العقول فى طَلَبِ الفُضولِ)(۲).

(عُجبُ المَرءِ بنَفسهِ، أحَدُ حُسّادِ عَقلهِ)(۳).

(عَدُّو العَقلِ الهَوى)(۴).

(إذا كَمُلَ العَقلُ، نَقَصَتِ الشَهوهُ)(۵).

(مَن كَمُلَ عَقلُه، استَهانَ بِالشَهَواتِ)(۶).

وعليه فإنّ اجتناب هذه الأمور، يؤدى إلى استثمار الكفاءه العقليه بالشكل الصحيح والناجع.

- الغضب والحقـد: إن الغضب يؤدّى بمعطيـات العقل والفكر إلى الضـياع والفناء. فإن الـذى يُبتَلى بالغضب والحنق لا يمكنه أن يتمتع بالصبر والحلم،

۱- (۱)) الشريف الرضى، نهج البلاغه، الخطبه رقم: ۱۰۹.

۲- (۲)) غرر الحكم ودرر الكلم.

۳- (۳)) بحار الأنوار: ۳۱۷/۷۲.

۴- (۴)) المصدر: ۱۲/۷۸.

۵- (۵)) غرر الحكم ودرر الكلم.

۶- (۶)) المصدر.

ولا يستطيع الاختيار الصحيح بحكمه وتعقل، ولا يمكنه القيام بنشاط علمى، وفى ذلك روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

«الغَضَبُ يُفسِدُ الألبابَ، ويُبعِدُ عَنِ الصَوابِ»(۱). وفى موضع آخر روى عنه (عليه السلام) أيضاً: «شِدّةُ الغَضَبِ تُغيّرُ المَنطِقَ، وتَقطَعُ مادَّةَ الحُجّةِ، وتُفَرِّقُ الفَهمَ».(۲)

كما أن الغَضوب يقيد نفسه بسلاسل وأغلال الحنق. وأما الحركه بهدى العقل والتفكير السليم، فإنها لا تكون إلّا من خلال التحرر من ربقه الغضب.

عناصر تنميه العقل والفكر: لقد ذكّر الإسلام بأسباب وعناصر الخمود والجمود الفكرى، محذّراً الإنسان من الوقوع فى شباكها، ويقدّم له السبل الناجعه والعوامل المفيده التى يستطيع من خلالها الوصول إلى التعقّل والتفكير الصحيح. وإنّ من بين العوامل التى تساعد الإنسان على بلوغ الاستقلال الفكرى والعقلى من وجهه نظر الإسلام أموراً نذكر منها ما يلى:

۱. اقتفاء الدليل: إنّ من بين عناصر تنميه قوه التعقل والتفكير لدى الإنسان، هو نزوعه إلى اقتفاء الدليل واتباعه. قال تعالى: وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ .(۳) ويجب أخذ هذا العنصر بنظر الاعتبار سواء فى ذلك عند الاستماع إلى آراء الآخرين أو عند مخاطبه الآخرين والسعى إلى نقل آرائنا إليهم. بمعنى: أنّ الملاك فى رفض أو قبول الآراء يجب أن يقوم على الدليل أو الأدله التى يجب أن يقترن بها ذلك الرأى. إنّ إقامه الدليل والبرهان يقنع الإنسان، ويشكّل فى الوقت نفسه دعامه تحفظ الإنسان من الزيغ والانحراف. ومن وجهه نظر القرآن فإنّ الذى

۱- (۱)) المصدر.

۲- (۲)) بحار الأنوار: ۴۲۸/۷۱.

۳- (۳)) المؤمنون: ۱۱۷.

يتفوّه بكلام دون أن يقيم الدليل عليه، لا- يعبّر فى الحقيقه عن مذهب أو معتقد، وإنّما يقوم بمجرّد إبراز أمنيه ورغبه لم يقم الدليل على صحتها أو صدقها، ومن ذلك ما يذهب إليه اليهود والنصارى فى اعتبار أنفسهم وحدهم الناجين يوم القيامه، وهو ما عبّر عنه الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله: وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ١ . وقال الله تعالى أيضاً: وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ٢ .

ومن هنا فإنّ كلمات أمثال هؤلاء لا يمكن أن تكون مقبوله من قبل الآخرين. ولذلك فإن القرآن يشجّعنا على مطالبه المدّعين بالدليل والبرهان، ويعدّ الذين لا يقيمون الأدله والبراهين على كلامهم أناساً غير صادقين. وذلك من قبيل: قوله تعالى: أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ٣ .

إنّ الملاك فى الرؤيه الواقعيه والكشف عن الحقائق هو تقديم الدليل. ولذلك فإن الذين يجنحون إلى الخيال - حيث إنهم غير واقعيين -، يتهرّبون من إقامه الدليل، ومن هنا فإنّهم يفقدون مسكتهم العقليه بالتدريج، لأن اقتفاء الدليل يزيد من المقدره العقليه، وكلما نضب معين هذه القوه والقابليه والكفاءه، فإنّ رصيد الجنوح نحو الخيال سيكون مرتفعاً ويكون هو المحور الذى تدور عليه الأنشطه الفرديه والجماعيه. وإنّ من بين النتائج الكارثيه المترتبه على هذا النوع من الحياه الفكريه هو عض أصابع الندم، حيث لا ينفع الندم. وفى ذلك قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ

فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ١ .

إنّ الذى لا يبحث عن الدليل ولا يسأل عن البرهان، يُبتلى بالعديد من المشاكل فى حياته، ولن تقتصر هذه المشاكل على التبعات الخارجيه، بل ستؤثر عليه حتى من الناحيه الداخليه والنفسيه، حيث سيعيش فى قلق واضطراب. إنّ الكثير من المواجهات الاجتماعيه التى يعقبها الندم تعود بجذورها إلى عدم إحاطتنا بجوانب الأمور. ولو أنّ الإنسان كان يلاحظ مصالحه الحقيقيه فى كلّ خطوه يخطوها فى حياته، فإنّه لن يتحمل الخسائر الفادحه، ولن يؤدى به ذلك إلى الندامه والحسره على ما فاته وضيّعه. وهكذا نجد الله سبحانه وتعالى يسعى من خلال الآيات الإلهيه إلى إقامه الدليل ووضع العلامات للناس من أجل الحصول على المعطيات العقليه والفكريه، ويدعو الإنسان إلى رحاب قُدسه من خلال التماس الدليل والبرهان القاطع والحاسم. قال الله تعالى: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ٢ . وقال أيضاً: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ٣ . وعلى هذا الأساس فإن توظيف هذه الآليه فى التنميه والهدايه بقياده العقل، يعتبر الخطوه الأولى فى إطار بلوغ الأهداف النهائيه والقرب من الله سبحانه وتعالى.

٢. توظيف العقل والتفكير: إنّ ازدهار وتطوّر وتكامل أى قوّه واستعداد رهن بتوظيف ذلك الاستعداد وتلك القوّه. وهذا الأمر وإن كان ملحوظاً ومحرزاً فيما يتعلّق بالقوى الجسديه، إلّا أنه يصدق بالنسبه إلى الأبعاد الذهنيه ويمكن تحصيله على المستوى العقلى أيضاً، وإن كان ذلك على درجه

مختلفه بالمقارنه مع البعد الجسدی(۱). وفی الدائره الذهنیه والعقلیه نجد التفکیر یؤدی إلی إتقان المعلومات واستحکامها، ویزید من قدره الفرد علی کشف المجهولات. وبعباره أخری: إنّ تقویه العقل تعنی ارتفاع مستوی المعرفه وإدراک الأدله والعلامات البارزه، وبذلک فإنها تضع تحت تصرّف العقل الکثیر من الأدوات (الدلائل) من أجل کشف المجهولات وحلّ رموزها. وعلیه فإن الدعوه إلی التعقل فی الأمور، وتجنب السذاجه یعنی توظیف هذه المقدره فی جمیع الأحوال. إنّ القرآن الکریم یرشد الإنسان إلی بذل الجهد للاستفاده القصوی من هذه المقدره؛ وذلک لأنّ الاعتیاد علی توظیف العقل واستخدامه فی مسیره الحیاه، واستثمار التجارب والعلوم یؤدی إلی تطویر العقل وتکامله. وفی ذلک روی عن الإمام علی (علیه السلام) أنّه قال:

«العقل غریزه تزید بالعلم والتجارب».(۲) وقال أیضاً: «من أکثر الفکر فیما تعلم، أتقن علمه، وفهم ما لم یکن یفهم».(۳)

۳. تعمیق الفکر: إنّ من بین العوامل الأخری التی تعمل علی إحیاء العقل وشحذ الذهن، فهم الأمور بدقه وعمق. إنّ أخذ جمیع الأبعاد بنظر الاعتبار، یسد منافذ الجهل والنظر إلی الأمور بسطحیه، ویجعل الفرد لا یقنع بتجاوز المسائل ببساطه بعیده عن التدقیق والتروّی، وفی ذلک روی عن الإمام علی (علیه السلام) أنّه قال فی وصف أهل بیت النبیّ الأکرم (صلی الله علیه و آله): (عَقَلُوا الدِّینَ عَقْلَ وِعَایَهٍ وَرِعَایَهٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَایَهٍ)(۴). إن التعمّق والتدبّر فی الأمور یعد من المراحل الفکریه العالیه فی مسار البشریه العلمی، حیث یمکن من خلاله

۱- (۱)) وفی ذلک إشاره إلی نظریه الانتقال المشترک ل - "ثیرندایک" ،بدلاً من نظریه الریاضه الذهنیه لأرسطو التی ترمی إلی توحید وتقویه الذهن وتنمیته.

۲- (۲)) غرر الحکم ودرر الکلم: ۶۷.

۳- (۳)) بحار الأنوار: ۳۱۶/۶۸.

۴- (۴)) نهج البلاغه: الخطبه: ۲۳۹.

الحصول على نتائج جديده. وإن هذه الصفه من الأهميه بحيث إن القرآن الكريم على الرغم من أنه لم يعمد إلى الثناء على الله بالتعقل أو التفكير، إلّا أنه وصفه سبحانه بأنه صاحب تدبير وأنه مدبّر الأمور. وإن هذا النوع من التدبير يعنى الإحاطه الشامله بالأمور، وإن هذه المرحله من المعرفه والوعى تحكى عن الإحاطه الشامله التى تشمل حتى العلم الإلهى أيضاً، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الحقيقه فى الكثير من آيات القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل المثال: قوله تعالى:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ .(۱)

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ .(۲)

- اَللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ .(۳)

- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ۴ .

وعلى هذا الأساس فإن الترغيب والتشجيع والحث على التدبّر والتعمّق فى الأمور يحكى عن أهميه هذه الصفه. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها۵ ، وقال أيضاً: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ۶ .

۱- (۱)) يونس: ۳.

۲- (۲)) يونس: ۳۱.

۳- (۳)) الرعد: ۲.

۴. الاستفاده من مختلف الآراء: إنّ المنظور من توظیف العقل والتفکیر بوصفه قوّه مودعه لدی الإنسان، هو بیان فکره وعقیده صحیحه ومستحکمه. وإنّ صلابه واستحکام العقیده رهن بنجاحها فی مواجهه العقائد المخالفه والآراء المناهضه لها، ومن هنا فإنّ الإنسان العاقل لیس لدیه أیّ خشیه أو تخوّف من مقارعه الأفکار والعقائد والمذاهب المخالفه ومواجهتها. ومن وجهه نظر القرآن الکریم فإنّ منهج الوصول إلی العقل السلیم والفهم الصحیح یکمن فی الترحیب بالأفکار المتنوّعه والعمل علی دراستها وتمحیصها. وعلی کل حال یجب تدریب العقل بحیث یستطیع تقییم الآراء والعقائد المختلفه وإصدار الحکم بشأنها. وإنّ هدایه الله وإرشاده إنّما یشمل الذین بلغوا هذا المستوی من المنهج الفکری، وتمکّنوا من تقییم الأفکار واختیار ما هو الأفضل من بینها، وفی ذلک قال الله تبارک وتعالی فی محکم کتابه الکریم: اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِکَ الَّذِینَ هَداهُمُ اللّهُ وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ۱ .

۵. توظیف القوالب الفکریه لدی الآخرین: إنّ من بین سبل إحیاء وتجدید قوّه التفکیر لدی الأفراد، الاستفاده والتوظیف الصحیح لبعض المعتقدات الفکریه. ففی هذا الأسلوب یتمّ توظیف ما یدین به الشخص فی إبطال عقیدته. وقد استخدم القرآن الکریم مختلف الأدله والبراهین والآیات، ومع ذلک تمّ دعم الأنبیاء (صلی الله علیه و آله) بالمعاجز تاره، وتاره من طریق بیان عظمه الخلق، وتاره من خلال توظیف ذات الأمور التی یؤمن بها المعاند بغیه استثاره العملیه العقلیه والفکریه لدیه. وهو ما نراه جلیاً فی قصه تحطیم النبیّ إبراهیم (علیه السلام) للأصنام وإلقاء اللوم علی کبیرهم، وبذلک أثبت أنّ الأصنام ما هی إلّا جمادات نصنعها بأیدینا، ولن تستطیع أن تعمل شیئاً لتغییر نظام الطبیعه، بل لا تستطیع حتی الدفاع

عن نفسها، ولذلك فإنّها لا تستحق العباده أبداً. وقد صوّر القرآن هذه الحادثه على النحو الآتى: وَ تَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ * قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ * قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ١

.

۶. التدبّر فى أحوال تاريخ الاُمم السابقه: إنّ من بين الطرق الأخرى لخلق الداعى والحافز إلى التفكير فى فهم وإدراك وتوظيف العقل، هو النظر فى تجارب وأداء الأمم السابقه وأسلافنا الماضين. فإنّ التاريخ بمثابه المرآه الصافيه التى تنعكس فيها جميع الأحداث الماضيه وتجارب الأمم السابقه، وتترتب عليه من النتائج والآثار ما يؤول بنا فى نهايه المطاف إلى التفكير والتدبّر والاعتبار. وقد أشار القرآن الكريم إلى الاعتبار بتاريخ الماضين واستلهام دروس العبر والاتعاظ بها. وأنّ محور جميع هذه التجارب هو توظيف العقل والتفكير من أجل الخلاص من المصائب التى حاقت بالأمم السابقه نتيجه لبعدها عن الله واقترافها المعاصى والذنوب، من قبيل: التعويل على عامل القوّه الاقتصاديه والعسكريه، وكثره العدّه والعدد، والظلم والجور والإجحاف بحق الآخرين، وتكذيب الرسل، واستعمال المكر والحيله والخداع للتنصل من آثار أعمالهم السيئه. والقرآن الكريم يعلمنا بأننا إذا أردنا أن لا نُبتلى بنفس ما ابُتلىَ به أسلافنا بسوء أعمالهم، فما علينا إلّا الاعتبار بمصيرهم، وأن نكتسب الخبره

والتجربه مما جرى عليهم. وإليك نماذج من آيات القرآن الكريم التى تناولت هذه الظاهره:

- أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها١ .

- أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ٢ .

- أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً٣ .

- فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الظّالِمِينَ٤ .

- فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُنْذَرِينَ٥ .

- ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ٦ .

- وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ٧ .

- فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ مَكْرِهِمْ أَنّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ٨ .

وإن من بين الفوائد والآثار الأخرى المترتبه على التفكير فى تاريخ الأُمم، هو أن ذلك يساعد على فهم المسائل والأمور المشتركه بين الناس فى الحياه. إنّ التعرّف على المسائل والمشاكل التى ابُتلىَ بها الناس عبر الوصول السابقه، يساعدنا على تحديد العناصر المؤثره فى مسار التاريخ والمجتمعات الإنسانيه. فمن باب المثال: نستطيع من خلال قراءه التاريخ أن ندرك أن التعلقات الدنيويه والمرحليه، وإن كان من الممكن أن تستمر لفتره طويله، إلّا أنها ستنتهى إلى الفناء يوماً ما ولن يبقى لها من رسم ولا أثر.

٧. مجالسه العلماء والمفكرين: وإن من بين العناصر التى لا يمكن إنكار تأثيرها على منظومتنا الفكريه هى مجالسه العلماء والمفكرين، إذ إنها تؤدى إلى تنميه مقدرتنا وكفاءتنا العقليه الكامنه، والتعرّف على القوالب الفكريه الجديده، وتنميه قوّه التفكير لدينا. فقد روى عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى ذلك أنه قال: (مُجالَسَهُ الصالِحينَ، داعِيَهٌ إلى الصَّلاح وآداب العُلماءِ، زيادَهٌ فى العَقلِ). وفى المقابل فإن مجالسه الجهّال تكون سبباً فى خمود بريق العقل وانطفاء جذوته، فقد روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (مَن صَحِبَ جاهِلًا، نَقَصَ مِن عَقلِهِ)(١).

ومن الضرورى التذكير بهذه النقطه وهى أن عناصر التنميه العقليه والفكريه تنقسم إلى قسمين، وهما: العناصر الداخليه، من قبيل: توظيف العقل والفكر وتعميقهما، ومراعاه التقوى. والعناصر الخارجيه، من قبيل: اقتفاء الدليل، والاستفاده من مختلف الآراء والنظريات، ومعرفه التاريخ، ومجالسه العلماء والمفكرين.

٨. تهذيب النفس وطهاره القلب: تقدّم أن ذكرنا فى بحث التقوى أن من بين الآثار التربويه المترتبه على التقوى، هى البصيره وحلّ المشاكل وكشف

١- (١)) جامع أحاديث الشيعه: ٢٨٣/١٣.

المجاهيل، وذلك لا يأتى إلّا فى ضوء العقل والتفكير. وقد روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

«مَن لَم يُهذّب نَفسَهُ، لَم يَنتَفِع بالعَقلِ».(۱)

إنّ تهذيب النفس يُعدّ أرضيه مناسبه ترفع من مستوى فراسه المؤمن وقدرته على تحديد الخير وتمييزه عن الشر. وبعكس ذلك لو عاش المرء أجواءً مظلمه وملبّدهً بالذنوب، حيث لن يكون بإمكانه بلوغ الهدايه والكمال، ولن يكون مصيره سوى السقوط فى مستنقع الضياع والسفاهه والبعد عن مصادر الحقيقه. قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ۲ . وروى عن الإمام أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) أنه قال:

(لا يَكمُلُ العَقلُ إلّا باتّباعِ الحَقِّ).(۲)

۳. تحصيل العلوم والمعارف

إن اكتساب العلوم والإقبال على المعارف والحصول على التجارب العلميه والمعرفيه المعاصره يؤدى إلى زياده سعه أُفق العقل وارتفاع مستوى الإدراك، كما أنّ التعرّف على الحضارات والثقافات البشريه المعاصره الذى هو حصيله اكتساب الفنون والعلوم والمعارف النظريه يؤدى إلى تقويه موقف العقل فى مواجهته لمختلف التيارات الفكريه، وانتهاج الأساليب النافعه فى الحياه. وعلى الرغم من أنّ توظيف العقل الفطرى وما أمرنا الله به فى القرآن الكريم - باعتباره سبباً فى الهدايه والتكامل - لا يتوقف على تحصيل علوم ومعارف خاصّه - فإنّ بإمكان الفرد أن يحصل على الهدايه

۱- (۱)) غرر الحكم ودرر الكلم: ۷۰۰، الحكمه رقم: ۱۳۱۱.

۲- (۳)) بحار الأنوار: ۱۲۸/۷۸.

والتكامل على المستوى الفطرى والعادى من خلال الاستفاده من مناهج المعرفه المتمثله بالتفكر والتدبّر فى أسرار الخلق وآثار الأمم السالفه وما إلى ذلك - إلّا أنّ الذى يقع موضع اهتمام الدين على الدوام هو الوصول إلى الهدايه الأسمى والكمال الأكبر. إنّ سعى الإنسان من أجل الوصول إلى المراحل العليا من الهدايه، رهن بتنميه العقل الفطرى وتطويره من خلال الاطلاع على الاكتشافات الحديثه والعلوم الجديده التى تمّ التوصل إليها فى مختلف الفروع والمجالات. وبطبيعه الحال ليس هناك فى الرؤيه الإسلاميه ما يضمن أن يكون الإنسان العالم عاقلًا أيضاً. فعلى الرغم من وجود التأثير والتأثر بين العلم والعقل، إلّا أنّ زياده العلوم لا تستلزم ازدهار العقل البشرى بالضروره. فما أكثر العلماء والمفكرين الذين حرموا من نعمه العقل، فقاموا بتوظيف قدراتهم العلميه فى طريق الانحراف أو إباده الشعوب والأمم. وهناك الكثير من الآيات القرآنيه الداله على أنّ مجرّد معرفه طرق الهدايه والكمال لا يعنى تحقق الهدايه والكمال، بل لا بد - بالإضافه إلى معرفه الهدايه والكمال - عن أن يتحلّى الشخص بعنصر التقوى والفطره السليمه أيضاً. وقد أشارت بعض الآيات القرآنيه إلى أنّ هناك من الناس من يكتمون الحقّ رغم معرفتهم وعلمهم به، وذلك إذ يقول تعالى: وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ .(۱) وقال تعالى أيضاً: اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ .(۲) وهناك من ينسب إلى الله الكذب - والعياذ بالله - وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ .(۳) وبقوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ

۱- (۱)) البقره: ۱۰۱.

۲- (۲)) البقره: ۱۴۶.

۳- (۳)) آل عمران: ۷۵.

بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ .(۱) وهناک من یعمل علی إثاره الفتن وإشعال فتیل الحروب، وبثّ الاختلاف والفرقه. وفی ذلک یقول الله (عزّ وجل): إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ۲ ، ویقول تعالی أیضاً: وَ ما تَفَرَّقُوا إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ۳ ، وقال الله تعالی أیضاً: وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ۴ .

نستنتج من جمیع هذه الموارد أنّ هؤلاء الأفراد قد تعرّضوا للضلال والانحراف علی الرغم من الإرشاد والدعوا إلی الهدی. إنّ العامل والعنصر الذی یؤدی بالبشریه إلی الحرمان من الهدایه الإلهیه والبعد عن الله یکمن فی الجهل وعدم التعقّل والمعرفه. ولو أنّ جمیع المجاهیل فی العالم أصبحت واضحه للإنسان، مع ذلک لا یمکن اعتبار علمه مفیداً بحاله؛ لأن العلم إنما یکون مفیداً إذا کان مسیطراً علیه من قبل العقل. وعلی حد تعبیر القرآن فإنّ الذین یدرکون ما یحدث فی هذا العالم، دون أن یفهموا حقیقه المعاد لا یمکن اعتبارهم من العلماء. وذلک لأنّ علمهم إنّما یتعلّق بالأمور المحسوسه التی یمکن أن تخضع للتجربه، دون أن تسری إلی کنه الأمور وأعماقها. ومن هنا فإنّ هؤلاء غافلون عن الآخره التی هی تعبیر آخر عن کنه عالم الدنیا. قال الله تعالی: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ۵ .

أسباب التأکید علی شمولیه العلوم والمعارف: نبدأ البحث بهذا السؤال

۱- (۱)) آل عمران: ۷۸.

القائـل: إذا كـان بإمكان الإنسان - من خلال التمسك بالعقل الفطرى - أن يـدرك الأسـس والأصول الـدينيه، وأن يتوصل إلى معرفه التوحيـد والمعاد وضـروره النبوه، إذن، ما هى الضـروره إلى دراسه العلوم والمعارف من الناحيه الدينيه، وأساساً ما هو دور العلوم والمعارف الدينيه فى تكامل الإنسان فى مسيرته إلى الله سبحانه وتعالى؟

للإجـابه عن هـذا السؤال يجب القول: إنّ المراد من العقـل الفطرى، ومـا ذكر فى القرآن الكريم تحت عنوان العقـل، هو نوع من الكفاءه والرؤيه التى يمكن للإنسان من خلالها أن يحصل على الهـدايه البـدائيه دون تـدخل من عنصـر وعامل خارجى للهـدايه، وأنّ يؤمن بالتوحيـد وأنّ الله خالق الكون، وأنّ علينا الاسـتعانه به والتوكّل عليه. كما يمكن للعامل والعنصـر الخارجى فى الهدايه أن يأخـذ بأيدينا إلى هذه الهدايه البدائيه، فنؤمن من خلاله بالتوحيد وأنّ الله خالق الكون والعالم والوجود، وأنّه يجب علينا أن لا نطلب العون إلّا منه، ولا نتوكل إلّا عليه. وأما الإجابه عن مقـدار ما يمكن لهـدايه الفطره أن تقودنا إليه، وهل تشـمل هـذه الفطره ضروره المعـاد والبعثه والموارد الأـخرى، فهى بحـاجه إلى بحث آخر أيضـاً، إلّـا أن الـذى تمّ التصـريح به فى القرآن الكريم هو الإيمان بالتوحيد ومعرفته الفطريه. وفى ذلك قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ .(۱)

- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ .(۲)

- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ .(۳)

۱- (۱)) العنكبوت: ۶۱.

۲- (۲)) العنكبوت: ۶۳.

۳- (۳)) لقمان: ۲۵. وانظر أيضاً: الزمر: ۳۸؛ الزخرف: ۸۷.

وعليه يمكن لنا أن نستنتج أنّ الدور الرئيس والأوّلى للعقل الفطرى فى مجال هدايه الإنسان، هو الإرشاد والهدايه إلى التوحيد.

كما تقدّم أن ذكرنا إن العقل الفطرى مقدره خاصه أودعها الله فى وجود الإنسان، لكى يهتدى من خلالها. وأنّ هذه المقدره تلعب أدواراً متنوعه تبعاً لمختلف الحالات، ولها آليه محدده بالالتفات إلى مقدار العلم والمعرفه التى تكون مقرونه بها، فمثلاً: أنّ المعرفه بالدلائل التكوينيه تؤدى إلى حصول الإنسان على مرحله عاليه من التوحيد. وهكذا الاطلاع على الآيات التشريعيه يؤدى إلى التعرّف على التوحيد فى الخالقيه والتوحيد الربوبى أيضاً. وكذلك فإن دراسه تاريخ الأمم السابقه وأحوال الأجيال الماضيه، تمكّن الدارس من الحصول على مزيد من التجربه، فلا يعيد أخطاء الأمم السالفه، والتمكّن من الحصول على التكامل والتقدّم. إن العقل فى هذا المجال يكون بمنزله القائد والمرشد والدليل الذى ينظر إلى الهدف والغايه، وأنّه من خلال توظيف العلوم والمعارف يصل إلى قصده وإلى هدفه وغايته. ومن هنا يمكن القول: إنّ العقل فى مقابل الجهل بمثابه عنصر للهدايه الذى يهدف إلى الصعود نحو المراتب العليا من خلال الاستعانه بالأدوات العلميه والمعرفيه. إنّ اتساع الأفق العلمى وتوسيع رقعه المعلومات البشريه يعدّ أرضيه مناسبه للنشاط والمناوره العقليه. وكلما زادت معرفه الإنسان، كان أعلم بالهدايه إلى الله، إلّا أنّ مستوى الهدايه فى كلٍّ واحد من هذين الأمرين يكون مختلفاً. قال الله سبحانه وتعالى: وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ١ ، وقال تعالى أيضاً: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظّالِمُونَ٢ ، وقال تعالى أيضاً: إِنَّما يَخْشَى

اَللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ١ ، وقال سبحانه أيضاً: يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكَمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ٢ . إن الرغبه فى الحصول على مزيد من المعارف ضارب بجذوره فى العقل، وحيث إن تقدّم الإنسان ورقيه رهن بجمع المعلومات، فقد كان طلب العلم مورد تأكيد من قبل العقل. وعلى هذا الأساس فإنّ نشوء العلم ونموّه وتكامله التدريجى، وليد إراده الإنسان من أجل توظيف العقل والتوصل إلى حياه أفضل وأكثر رخاءً ورفاهيه.

وعلى الرغم من أنّ الكثير من الناس قد تناسوا الأهداف الإنسانيه العاليه، فلم يعودوا يستخدمون العقل فى الاتجاه الصحيح، وأخذوا يُقبلون على طلب العلم من أجل الحصول على مزيد من المنافع والمصالح الماديه، ولكن على كل حال فإن وظيفه العقل من وجهه نظر الإسلام تكمن فى تنميه وتطوير العلم بقصد التقرّب من الله، وعليه لا بدّ من توظيفه فى هذا الإطار وهذه الغايه. ومن هنا يمكن لنا أن ندرك كنه التأكيد الذى نجده فى الآيات القرآنيه والروايات الشريفه وتشجيعها وحثّها على طلب العلم. قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ٣ . وروى عن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه و آله) أنه قال:

«طَلَبُ العِلمِ فَريضَهٌ علىٰ كُلّ مُسلمٍ ومُسلمهٍ)(١). وروى عنه أيضاً أنه قال: (اطلُبوا العِلمَ مِنَ المَهدِ إلى اللَّحدِ».(٢)

إنّ التأكيد على أهميه تحصيل العلم والمعرفه فى الآيات والروايات بوصفهما هدفاً وسيطاً فى مسار هدايه الإنسان إلى الله، يثبت القيمه الاستثنائيه

١- (۴)) بحار الأنوار: ١٧٧/١.

٢- (۵)) نهج الفصاحه، ص ۶۴.

والفذّه لهذا العنصر الفريد فى المسار الموصل إلى الهدف الغائى. إن ضروره الاهتمام بهذه المسأله مع مرور الزمن واتساع رقعه العلم ودائره الثقافه البشريه تتجلّى بشكل أكبر إلى الحدّ الذى يمكن القول معه: إن إحياء وتجديد الحضاره الإسلاميه وتوسيع نطاقها رهن بالتعرّف على المعطيات العلميه والفنيه، والتفنيات الحديثه وكذلك استيعاب الأساليب المعرفيه والمعلومات النظريه أيضاً. إنّ إراده أكثر الناس فى العالم المعاصر قد آلت إلى الضعف والركود بسبب هيمنه العوامل الاجتماعيه والمناخ الحاكم والمهيمن على المجتمع العالمى، وإن المساعى والجهود المنصبّه على معرفه الذات ومواجهه الشك والغموض قد استبدلت باضمحلال الإراده والتقهقر أمام معتقدات الآخرين. إن الإنسان الراهن قد انحاز فى البعد العملى إلى تحسين أوضاعه الماديه والاقتصاديه، كما يسعى فى الأبعاد النظريه إلى تبرير ابتعاده عن مقتضيات فطرته الإنسانيه. وفى هذه الأجواء يغدو تناسى منشأ الفطره والمسير على خلاف اتجاه التركيبه والبنيه الوجوديه، من السهوله بحيث يبدو الزيغ والانحراف والانكباب على الدنيا، والابتعاد عن الله، والسنن الحسنه للأسلاف، وكأنه متناغم مع فطره الإنسان وبنيته الوجوديه. إنّ استعداد الإنسان الراهن للاستجابه لمقتضيات الفطره أضحى أقل مما عليه بالمقارنه مع أجداده وأسلافه الماضين، وأضحى تأثره بالعوامل الخارجيه أكثر من تلبيته لندائه الباطنى. وإن الذى يمكنه أن يكون مفتاحاً لحل الكثير من المشاكل - فى مثل هذه الأجواء - ويخلّص الإنسان من هذا الواقع المأساوى، هو الاستضاءه بنور العلم، وتوظيف المعارف التى تدعو الإنسان إلى مزيد من الوعى والمعرفه. ويمكن النظر إلى حضور عنصر العلم والفكر فى مسار هدايه الإنسان من خلال رؤيتين، وهما:

١. الهدايه الفرديه: كما تقدّم أن ذكرنا سابقاً، فإنّ استيعاب المعطيات

العلميه، يرفع من مستوى إدراك الإنسان للواقع، ويزيد من رعايه التناسب الثقافى، وفهم لغه التخاطب. قال الله تبارك وتعالى: وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ١ .

٢. اتساع رقعه الثقافه والحضاره الإسلاميه: إنّ تجديد وإحياء الحضاره الإسلاميه وتوسيع رقعتها الثقافيه فى المجتمع الراهن مرتبط - إلى حدّ كبير - بالاستفاده القصوى من الأدوات والمعطيات العلميه والتقنيه. يعد التمسّك بالعلم والمعرفه فى الوقت الراهن من أهم أدوات وسبل توسيع رقعه الحضاره الدينيه فى مختلف الأبعاد السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه وغيرها. ومن دون توظيف هذه العناصر لا تكون هناك إمكانيه لأداء أىّ دور ملحوظ على المسرح العالمى. فإن إدخال الناس فى دائره الحضاره الإسلاميه وتبليغ الرساله الإلهيه لكافه أنحاء العالم رهن بتوظيف المعلومات التى ندين بها لمعطيات العلوم الحديثه.

استيعاب العلوم طريق إلى التكامل: إنّ كمال كل موجود فى دائره الحياه رهن بتوفير الإمكانات المتناسبه مع بنيته الوجوديه. فإنّ من الكائنات ما يتمتع بنمو وحياه نباتيه، ومنها ما يتمتع بحياه حيوانيه (النمو المقترن بالشعور والحركه)، ومنها ما يتمتع - بالإضافه إلى ذلك - بحياه روحيه ونفسيه وفكريه. وأنّ اختلاف كلّ واحد من هذه الأنواع الثلاثه يكمن فى نوع الحياه والمراتب الوجوديه للكائنات فى هذه السلسله. وعلى هذا الأساس فإنّ مفهوم التكامل يكتسب معناه الخاص بما يتناسب وكل واحده من هذه المجموعات المذكوره. فالذى يعتبر بالنسبه إلى الحياه النباتيه الحد الأقصى من النمو والتكامل، يعدّ بالنسبه إلى الحياه الحيوانيه والإنسانيه أمراً متدنياً فى التكامل. وأنّ ما يطرح فى الحياه الحيوانيه من هذا المفهوم، يقع فى المرتبه المتوسطه

من الأهميه. إنّ مراحل التكامل النباتيه والحيوانيه تعد من المراحل التمهيديه للتكامل الإنسانى. بيد أن إصرار الإنسان وتأكيده على هذه المراحل التمهيديه يؤدى إلى حرمانه من المراحل القصوى من التكامل الإنسانى. وكما أن حياه النبات تقتضى مرونه الأنسجه والألياف النباتيه، كذلك الأمر بالنسبه إلى الحياه الحيوانيه حيث يجب أن يتمتع الحيوان بما يتناسب ونموّ أعضائه من أجل الشعور بالإحساس والحركه. وإن الافراط والتفريط فى كل واحد من خلفيات تكامل الإنسان - أى التكامل النباتى والحيوانى - يفضى إلى حرمانه من الحياه الإنسانيه المتمثله بالعقل والروح والإراده والاختيار. إنّ التمتع بعناصر التكامل النباتى والحيوانى يعدّ شرطاً ضرورياً للإنسان. إلّا أنّ الشرط الكافى لذلك يكمن فى تجاوز دائره التكامل الحيوانى والدخول فى ساحه العقل والإراده. ومنذ تلك اللحظه يكون التقدّم فى هذه الساحه أو النكوص والتقهقر هو الملاك فى التكامل والتقدم أو الانحراف والتخلف.

وكما أنّ نمو النبات وتكامله، أو تقويه أعضاء الحيوان وسلامته رهن بالتغذيه المناسبه، فإن علوّ مرتبه الإنسان رهن بغذائه الروحى والنفسى أيضاً. ومن هنا يتّضح دور العلم والوعى والفكر والمعرفه. إنّ اكتساب العلوم يؤدى إلى تنميه الجوانب الإنسانيه والتقدم فى مسار التكامل، ولا يمكن اجتياز طريق التكامل من أجل التقرّب من الله دون اكتساب العلم والمعرفه. إنّ القرآن الكريم يعتبر العلم والمعرفه طريقاً للوصول إلى الهدايه والتكامل، وقد ذكر أن أحد الأدوار الفاعله فى أداء الرساله تكمن فى نشر الوعى وبيان الحِكَم الإلهيه، وأحياناً يذكّر بتزويد الإنسان بالعلم والمعرفه، ومحو الجهل عنه، وأحياناً يذكر البيان والقلم بوصفهما من الأدوات الخاصه للتنميه الفكريه والتقدّم العلمى. وذلك حيث يقول تعالى:

- عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ١ .

- وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِما تَعْلَمُونَ۱ .

- وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها۲ .

- اَلرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ * عَلَّمَهُ الْبَیانَ۳ .

- اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ * اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۴ .

إنّ التمتع بالنعم الإلهیه یختلف باختلاف المساحات التکامالیه. لقد أودع الله فینا - بالإضافه إلی إمکانات التکامل النباتی والحیوانی - أرضیه التکامل الإنسانی والروحی والازدهار العقلی أیضاً، ودعانا إلی ارتقاء القمم للتکامل الإنسانی. إنّ مفهوم العون والإمداد الإلهی - فیما یتعلّق بتکامل الحیاه الإنسانیه من خلال تزویدنا بالعلم والمعرفه - یعدّ مفهوماً فریداً فی مسار الإنسان التکاملی. إنّ للتکامل النباتی والحیوانی نظاماً تکوینیاً، وعلی کل حال فإن هاتین المرحلتین من التکامل تحصلان فی حیاه الکائنات بشکل متناسب ومقتضیات تلک الکائنات. وأما بالنسبه إلی الإنسان - فبالإضافه إلی وجود النزعه إلی کسب العلم والمعرفه ومکافحه الجهل بشکل تکوینی - فقد تمّ التأسیس للنظام التشریعی علی قاعده التحریض والتشجیع علی کسب العلم والمعرفه أیضاً. إنّ القرآن الکریم، من جهه، یری أن رِفعه درجات المؤمنین وإدراک الآیات وعلامات الهدایه الإلهیه رهن بکسب العلم والمعرفه، حیث یقول الله تعالی:

- یَرْفَعِ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ۵ .

- وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ١ .

- فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ٢ .

- وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ٣ .

ومن جهه أخرى، يرى أنّ الحصول على الإيمان والوصول إلى مقام الخشوع والخضوع وامتلاك جوهر اليقين رهن بتحطيم قيود الجهل، وبلوغ مصدر العلم والمعرفه. قال الله سبحانه وتعالى:

- إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ٤ .

- وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ٥ .

- لكِنِ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ٦ .

- كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ٧ .

ذمّ الجهل والجاهلين: إنّ تطور الإنسان ورقيّه فى مسيره التكامل رهين باكتساب العلم والمعرفه، وأما انحرافه وتراجعه عن هذه المسيره فيعود بجذوره إلى الجهل والتخلف. من هنا فإن تشجيع القرآن لنا على طلب العلوم من جهه، وذمه للجاهلين، من جهه أخرى، يثبت محوريه العلم والتفكير فى

هـدایه الإنسـان. إن نعمه العقـل والعلم من النعم المعـدوده التی تمّ التأکیـد علیهـا من قبل البارى تعالى کثیراً، کما أن الجهل من الموارد التی ذمّها الله، وحذر الإنسان من الوقوع والسـقوط فی ظلماتها. وإن أهمیه النتائج المترتبه على العلم والدور الخطیر الذی یلعبه هذا العنصـر فی ارتقاء قمم الهدایه، یعکس مدى أهمیته وحساسـیته. إن الله سـبحانه یعتبر جوهر العلم زینه للإنسان السالک فی طریـق الرشـد والهـدایه، ویمتـدح العلمـاء لـذلک فحسب، بـل یـدعو جمیع النـاس إلى اجتنـاب الجهـل والامتنـاع عن التبعیه للجاهلین وإطاعه أوامرهم. قال الله تعالى فی محکم کتابه الکریم:

- فَلاـ تَسْـئَلْنِ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ * قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْـئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاّ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخاسِرِینَ۱ .

- وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً۲ .

- ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِیما لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحاجُّونَ فِیما لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ۳ .

- فَاسْتَقِیما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِیلَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۴ .

- ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلى شَرِیعَهٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۵ .

ومن هنـا فـإن الله سـبحانه وتعـالى یحظر على الناس أن یمارسوا التبعیه العمیاء للآخرین، ویرى أن عاقبه الـذین لا ینتهجون سبیل العلم والمعرفه، هی

الضلال والخسران والسقوط فی مغبه أعمالهم الجاهله. إن المیول النفسیه التی تحث الفرد علی عدم الاستفاده من أداه العلم والمعرفه، تؤدی به إلی الضلال والضیاع. إن التضاد والاختلاف القائم بین العلم والجهل ناشئ عن النتائج المترتبه علی هاتین المقولتین؛ لأنّ العلم والمعرفه یؤدیان بالإنسان إلی الهدایه ویدعوانه إلی طلب العلی، بینما الجهل بعکس ذلک یعدّ أرضیه للمیول النفسیه التی تقوّی عند الإنسان التطلعات السطحیه والدنیویه المنحطه. قال الله سبحانه وتعالی فی محکم کتابه الکریم:

- وَ إِنَّ کَثِیراً لَیُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِینَ۱ .

- قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِراءً عَلَی اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ ما کانُوا مُهْتَدِینَ۲ .

- بَلِ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ فَمَنْ یَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ۳ .

- کَذلِکَ یَطْبَعُ اللّهُ عَلی قُلُوبِ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۴ .

وعلیه فإن أساس ذمّ الجهل وتقریع الجاهلین یکمن فی تحریر النفس من قیود الشهوات النفسیه، وتخلیصها من العذاب الإلهی. إن الجهل والتخبط فی مستنقع الجهاله یمهّد الأرضیه للافتراء علی الله سبحانه وتعالی ونسبه الکذب إلیه (والعیاذ بالله). قال تعالی:

- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللّهِ کَذِباً لِیُضِلَّ النّاسَ بِغَیْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِینَ۵ .

- وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ١ .

- قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ٢ .

وبطبيعه الحال فإن العلم والوعى يُعتبران شرطين ضروريين ولازمين، ولكنهما ليسا كافيين. وأنّ العقل والرؤيه الإنسانيه هما اللذان يمكنهما تحديد الخيارات المناسبه من خلال توظيف الإمكانات والأدوات العلميه والحصول على مزيد من الوعى والعلم والمعرفه. وهناك دلالات كثيره فى القرآن الكريم تشير إلى التضاد القائم - فى الكثير من الأحيان - بين العمل وبين العلم والنظر. وذلك إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

- أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ٣ .

- يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ٤ .

- وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ٥ .

- أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ٦ .

إن أداء الإنسان وسلوكه وعمله إنما يكون تابعاً للعلم والوعى والمعرفه

والأسس النظريه التى يذهب إليها، إذا كانت واقعه تحت إشراف العقل والتفكير، وإلّا فإن العلم والوعى ليس لهما من دور غير إيجاد الأرضيه المناسبه للتقدّم والرقى والتكامل.

خصائص العلوم وهدايه الإنسان: بعدما ذكرنا أهميه اكتساب العلم وتحصيل المعرفه، يطرح هذا التساؤل نفسه: هل يكون طلب كل علم وأىّ نوع من أنواع المعرفه أمراً مطلوباً فى الدين؟

للإجابه عن هذا التساؤل، من الأفضل أن ننظر إلى العلم بوصفه أداه وآله. أنّ المطالب العلميه والمعارف النظريه فى إطار الحركه الإنسانيه بوصفها أداه ووسيله تشتمل على وظيفه وآليه مختلفه عن آليه ذلك الشىء الذى ينظر إليه بوصفه هدفاً وغايه للحركه الإنسانيه. ولا شكّ فى أنّ الحصول على العلم والوعى من المعارف النظريه والتطور العلمى لا يعد هدفاً وغايه نهائيه، وإنّما هو هدف وسيط، وكما تقدّم أن ذكرنا بشأن بيان خصائص الأهداف الوسيطه، فإن سمه هذا النوع من الأهداف يكمن فى كونه وسيله وآله. وعليه يجب أن يتناسب والهدف المحدد له، شأنه فى ذلك شأن جميع الوسائل والأدوات الأخرى.

إن العلم والمعرفه بوصفهما وسيلتان وأداتان إنما يمكن لهما مواكبتنا فى مسار التقدّم والهدايه، إذا كانتا،

أولاً: قد تمّ توظيفهما فى إطار القيَم، وأن يقعان تحت سيطره وإشراف الهدف النهائى المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى.

وثانياً: أن يعملان بوصفهما وسيلتان وأداتان على تلبيه حاجه الإنسان فى الوصول إلى التقرّب من الله. ولأهميه هذا الموضوع نشير فيما يلى إلى الخصائص التى إذا اشتملت عليها العلوم فإنها ستأخذ بأيدينا إلى الهدف النهائى.

- تحصيل العلوم من أجل مرضاه الله. إن المعرفه والعلم مثل كل الأدوات والوسائل الأخرى يمكن توظيفهما فى اتجاهين. وإنّ دافعنا إلى توظيف

هـاتين الوسـيلتين هـو الـذى يحـدد اتجـاه هـذه العمليه التوظيفيه. وبعبـاره أخرى: كمـا يمكن توظيف هـاتين الوسـيلتين من أجل الارتقاء والصـعود إلى قمم الهـدايه والصـلاح، يمكن أيضاً توظيفهما فى طريق الضـلال والانحراف عن طريق التكامل الإنسانى، فالعلم وسـيله يمكن لكل شـخص أن يعمل على توظيفها فى إطار ما يصـبو له. وإن هـذه الوسـيله فى الحاله الاعتياديه تقف على الحياد، فلا تحتوى على أىّ قيمه أو أهميه. ولكنها إذا وقعت تحت تصـرّف الإنسان الصالح، سـتكون وسـيله للتقرّب من الله، وأما إذا عمـد إنسان غير صالـح إلى توظيفها، فإنها سـتكون وسـيله لتلبيه الأهواء والنزوات الحيوانيه، والاسـتجابه للميول المتـدنيه التى توفر الأرضيه للضياع والضلال والانحراف.

وعلى الرغم من وقوف العلم من النـاحيه الأخلاـقيه على الحياد، إلّا أنه لا منـدوحه من توظيفه إما فى الناحيه الإيجابيه أو السـلبيه. ومن هنـا فـإن العلم إنما يمكنه إيصالنا إلى القرب من الله، ويكون وسـيله لعروجنا وتكاملنا، إذا كان الـدافع منه إلهياً، وأن تكون الوظيفه على الـدوام واقعه فى إطار القرب من الله سـبحانه وتعالى. وقـد روى عن الإمام الصادق (عليه السـلام) فى هـذا الشأن أنه قال:

مَن تَعلّمَ لِلّهِ، وعَمِلَ لِلّهِ، وعَلّمَ لِلّهِ، دعىَ فى ملكوتِ السماواتِ عظيماً؛ فقيل: تعلّمَ لِلّهِ وعَمِلَ لِلّهِ وعَلّمَ لِلّهِ.(۱)

وكما تقدم أن ذكرنا فى بحث خصائص الهدف النهائى، فإنّ الوصول إلى التقرب من الله يمكن أن يتحقق حتى من خلال القيام بأبسط الأعمال أيضاً. فإن توظيف العلم واسـتثماره بوصفه هدفاً وسيطاً إذا وقع فى دائره التقرّب من الله، سيكون مشتملاً على آليه ذات قيمه أخلاقيه، وسوف يصبّ فى صالح الهدايه والتكامل الإنسانى، وإلّا فسوف يترتب عليه الكثير من التبعات السلبيه.

۱- (۱)) بحار الأنوار: ۲۷/۲.

- أن يكون العلم نافعاً وتنموياً وداعياً إلى التكامل: إنّ العلم النافع والمفيد من وجهه نظر الإسلام هو الذى يشتمل على الصفات الآتيه:

أ) الإخلاص والابتعاد عن الشوائب: بمعنى: أن لا يكون مشوباً بالأهواء والرغبات الماديه. فقد روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال:

مَن أخَذَ العِلمَ مِن أهلِهِ وعَمِلَ بِهِ نَجا، ومَن أرادَ بِهِ الدُنيا فَهُوَ حَظُّهُ.(۱)

أو أن لا تكون النزعات الدنيويه من قبيل: كسب المال والمقام هى المحور فى التربيه والتعليم. روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

مَن غَلَبَ عِلمُهُ هَواهُ، فذَلِكَ عِلمٌ نافِعٌ.(۲)

ب) أن يؤدى إلى العمل. فإن العلم إنما يكون منتجاً وتترتب عليه الآثار الإيجابيه، إذا تمّ العمل بمضمونه ومحتواه، وإلّا فإنّ العلم إذا ظلّ حبيس الذهن ولم يتجلّ على الأفعال والأعمال، لن يكون مفيداً للإنسان ولا نافعاً للمجتمع. وعليه فإن التنميه العلميه رهينه بالعمل بمضمون العلم، وإدخاله وتطبيقه على الصعيد الخارجى، وعدم حبسه ضمن المنظومه الذهنيه والفكريه، فقد روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

العِلمُ رُشدٌ لِمَن عَمِلَ بِهِ.(۳) إن تطبيق العلوم والفنون على الواقع العملى من

خلال السلوك الفردى والاجتماعى - وبشكل عام فى جميع المجالات التى تشتمل على إمكانيه تظهير العلم - لن تؤدى إلى ارتفاع المستوى العلمى فحسب، بل إنها تخلق إمكانيه لتقييم واختبار المعطيات العلميه وتنميتها وتطويرها وانتشارها فى المرحله العمليه أيضاً، وفى ذلك روى عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال: (أنفَعُ العِلمِ ما عُمِلَ بِهِ)(۴).

۱- (۱)) المصدر: ۳۴.

۲- (۲)) غرر الحكم ودرر الكلم.

۳- (۳)) المصدر.

۴- (۴)) المصدر.

ب) المواد التعليميه: إنّ البحث عن العلم النافع والعلم غير النافع بالالتفات إلى أن من بين خصائص العلم النافع هو أن يقوم على تلبيه حاجات الإنسان ومطالبه، يرد السؤال: ما هى العلوم التى تشتمل على هذه الخصوصيه؟ وهل هناك من وجهه نظر الإسلام معيار خاص لتحصيل العلوم؟ إنّ الذى يجب أخذه بنظر الاعتبار فى معرض الإجابه عن هذا السؤال، هو أنّ كلّ هدف وسيط - بما فى ذلك تحصيل العلم والمعرفه - قابل للتفسير والتبرير فى ضوء الهدف الغائى والنهائى. وعلى هذا الأساس فإن العلوم المطلوبه للدين هى تلك التى تدخل فى إطار مساعده الإنسان على التقرّب من الله سبحانه وتعالى. ومن ناحيه أخرى، فإنّ نفس العلم أوذات المعرفه التى تقع متعلقاً لإرادتنا، يجب أيضاً أن تكون لها القابليه على اجتذاب ما يؤدى إلى هذا العامل المتمثل بالقرب من الله (عزّ وجل). وبعباره أخرى: إنّ طلب العلم إنّما يكون من الأهداف الوسيطه إذا كان وراء تحصيله دافع إلهى. هذا أولاً ـ وثانياً أن يكون متعلّق طلب العلم - وهو العلم والمعرفه نفسها - من العلوم التى يمكنها أن توفر مستلزمات الوصول إلى الهدف النهائى. وهنا يأتى هذا التساؤل: هل يمكن لجميع العلوم من وجهه نظر الإسلام أن تؤدى إلى التقرّب من الله وأن تكون ذات حافز إلهى؟ وهل هناك انتقائيه من وجهه نظر الإسلام بين العلوم والمعارف من هذه الناحيه؟ يجب القول فى الجواب: بشكل عام هناك فى منطق الإسلام معيار واحد لانتقاء العلوم والمواد التعليميه، ويكمن ذلك المعيار فى تلبيه حاجات الإنسان وحلّ مشاكله. فى هذه الرؤيه تعتبر العلوم والمعارف والفنون والمهارات التى تعمل بنحو من الأنحاء على تلبيه الحاجات الأساسيه والجوهريه للإنسان، وتساعده على التقرّب من الله (عزّوجل)، أموراً ضروريه. وبطبيعه الحال فإن هذه الضروره تختلف باختلاف درجه اهتمام تلك الماده التعليميه وذلك العلم الخاص بحاجه الإنسان وقدرته على رفع تلك الحاجه وتلبيتها، وفى بعض الأحيان تكون تلك الضروره فى

بعض العلوم والمواد التعليميه من القوّه بحيث إنها تدعو كافه الأفراد إلى تحصيلها، بحيث أن قيام البعض بتحصيلها لا يكون كافياً فى إسقاط ضروره التحصيل عن الآخرين. وأما الأنواع الأخرى من العلوم والمواد التعليميه فلا تحضى بمثل هذه الأهميه الخاصه، ليكون جميع الناس مضطرين إلى استيفائها والسعى إلى تحصيلها، بل يكفى تحصيل البعض فى إسقاط ضرورتها عن الآخرين. وإن النوع الأول من هذه العلوم ينظر إلى الجهات الشخصيه والروحيه من الإنسان. فى حين أن النوع الثانى ينظر إلى الأبعاد الوجوديه الأخرى من الإنسان، من قبيل: الرفاه والأمن الاجتماعى. وعليه فمن وجهه نظر الإسلام يكون تحصيل العلوم المرتبطه بنحوٍ من الأنحاء بشخصيه الإنسان وحالاته وصفاته وبشكل عام بخصائصه الروحيه والنفسيه، واجباً عينياً، فيجب على جميع الأفراد أن يستوعبوا هذا النوع من العلوم، وان لا يتهاونوا أو يتقاعسوا فى تحصيله.(۱) وإن تلك العلوم عباره عن:

أ) المعارف العقائديه. إنّ المراد من المعارف العقائديه هو معرفه الإنسان بمبدئه ومنتهاه، وهو الذى يشتمل على معرفه الله ومعرفه النبىّ والمعاد. إنّ هذه المعارف تساعد الفرد على التدرّج عبر المراحل التاليه. وكما تقدم أن ذكرنا فإنه من دون الحصول على المعلومات العقائديه لا يمكن العمل على بناء منظومه أخلاقيه وتربويه. من هنا فإن معرفه الله، والتعرّف على الأصول العقائديه يُعدّان أساساً لبنيتنا وتركيبتنا الشخصيه.

۱- (۱)) من المهم التنويه بهذه النقطه وهى أن من بين المصادر الهامّه لهذه العلوم هو القرآن الكريم والأحاديث والروايات الشريفه. من هنا فإن فهم القرآن والأحاديث ومعرفه أصولها وقواعدها العقائديه والأخلاقيه، وكذلك الفقهيه من خلال هذين المصدرين، يوجب أن نستفيد من الأساليب التخصصيه الضروريه بما يتناسب وهذه العلوم. إلا أن القدر المتيقن هو أن تحصيل المعارف الأوليه من النصوص الدينيه لمعرفه أصل الدين واجب وضرورى بالنسبه إلى كل مسلم ومسلمه.

ب) المعارف الأخلاقيه والتربويه. إنّ التعرف على القيَم الأخلاقيه والمعارف التربويه والعمل بها وتطبيقها يؤدى بالإنسان إلى تجنب الأمور التى تكون سبباً فى ضياعه واضمحلاله على المستوى الشخصى والروحى، وتدفعه إلى التحلى بالسجايا والفضائل الأخلاقيه. روى عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) أنه قال:

ألزَمُ العِلمِ لكَ، ما دَلَّكَ على صَلاحِ قَلبِكَ، وأظهَر لكَ فَسادَهُ.(۱)

ج) الأحكام العمليه والفقهيه. إنّ من بين المعارف الضروريه الأخرى هو ضروره تعلم وتحصيل المعرفه بالقرارات والأحكام الإسلاميه. فإن القيام بالفرائض والعبادات من قبيل: الصلاه والصوم والحجّ، لا شك أنها تترك آثاراً إيجابيه لا يمكن إنكارها على تكوين شخصيتنا. إن لسلوكنا تجاه الخالق والمجتمع أسلوباً خاصاً. وإن هذا الأسلوب إنما يكون مثمراً ومنتجاً إذا كان منبثقاً عن الدين؛ لأن الله هو وحده القادر - بسبب معرفته الكامله بأبعاد الإنسان - على وضع القرارات والقوانين التى تؤدى إلى سعادته وصلاحه. وعلى هذا الأساس يجب علينا - من أجل رعايه حقوق الآخرين والحفاظ على أنفسنا من السقوط والضياع - أن نتعرّف على المسائل الفقهيه والأحكام العمليه سواء فى البعد العبادى أو البعد الاجتماعى، وأن نطّلع على سلسله المسؤوليات والوظائف الدينيه الأوليه التى اتضحت ضرورتها من قبل الدين نفسه.

أما النوع الثانى من المعارف فذو صبغه ثقافيه وصحيه واقتصاديه وصناعيه وسياسيه وما شابه ذلك، وهى تلك العلوم التى تعود إلى الحاجات المشتركه لنوع الإنسان ومطالبه اليوميه، وهى غير ناظره إلى النواحى الفرديه والشخصيه. وإن رفع وتلبيه هذه المطالب بحاجه إلى عامل خارج عن وجود الإنسان. فهو مضطر لكى يبقى على قيد الحياه، إلى تعلم أساليب استثمار الطبيعه ومصادرها، وأن يؤمّن ما يحتاج إليه من خلال توظيف العلوم والفنون

۱- (۱)) بحار الأنوار: ۲۲۰/۱.

الطبيعيه. وهكـذا مسائـل السـلامه والصـحّه ومكـافحه الأمـراض والأـوبئه، وهكـذا الأـمور التى تعود بنحو من الأنحـاء إلى الثقافه والمجتمع (العلوم الإنسـانيه)، هى بأجمعهـا من معطيـات العلوم البشـريه التى تجعـل الحيـاه أفضـل وأيسـر، وتعلم الإنسان أساليب الحياه والمعيشه الأفضل. وإن رفع المشاكل وتجاوز عقبات الكوارث الطبيعيه والحصول على الأمن والرخاء فى الحياه رهن بتقدم وتطوُّر العلم والمعرفه.

ومن وجهه نظر الإسـلام يعـدّ تحصـيل هذا النوع من العلوم - لما توفّره من أرضـيه ملائمه ومناسـبه لتنميه الإنسان وتكامله - أمراً ضرورياً. فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال مخاطباً المُفضَّل:

أذكُر يا مُفضَّل فيما أَعطى الإنسانُ عِلمَهُ، فإنهُ أُعطِىَ جَميعُ ما فيهِ صَـلاحُ دينهِ ودُنياهُ، كذلِكَ أُعطِىَ ما فيهِ صَلاحُ دُنياهُ، كالزراعَهِ والغَراسِ، واسـتخراجِ الأرضـينَ، واقتنـاءِ الأغنامِ والأنعام، واسـتنباطِ المياهِ، ومعرفَهِ العَقاقيرِ التى يُستَشـفى بها مِن ضُـروبِ الأسـقامِ والمَعادِنِ التى يُسـتَخرَجُ منها أنواعُ الجَواهرِ، ورُكوب السُفنِ، والغوصِ فى البحرِ وضُروبِ الخيلِ، وصيدِ الوَحشِ والطَيرِ والحِيتانِ، والتَصـرُّفِ فى الصـناعاتِ ووُجوهِ المَتـاجرَ والمَكاسِبِ، وغيرِ ذلِكَ لِما يَطولُ شَـرحُه ويَكثُرُ تَعـدادُهُ مِمّا فيهِ صَـلاحٌ أَمرِهِ فى هـذهِ الدارِ.(١)

إن معارف من هذا القبيل لا تتعاطى بشكل مباشر مع المنظومه الشخصيه وهويه الإنسان، وإنما فى الواقع هى أدوات للوصول إلى المراحل الأعلى، بمعنى أنّها تعـدّ الأرضـيه للحصول على المراحل التى تعمل بشـكل مباشـر على بناء شخصـيتنا. ومن هنا فإنّه من وجهه نظر الإسـلام يكـون تحصـيل هـذه العلوم واجبـاً كفائيـاً، بمعنى أنّه لاـ يجب على جميع الأـفراد السـعى إلى تحصـيله، وإن تخصص البعض فى هذا النوع من العلوم يسقط الوجوب عن الآخرين،

١- (١)) المصدر: ٨٣/٣-٨۴.

ويرفع حاجتهم إليها. هذا بالإضافه إلى أنّ هذه العلوم من الكثره والاتساع بحيث لا يمكن لشخص واحد أن يجهد من أجل تحصيلها.

۴. السموّ الفكرى

إن التنميه والازدهار والتكامل العقلى ضرورى من أجل إقامه المنظومه الشخصيه والاحتراز عن الانحرافات التى يُبتلى بها الإنسان، وكذلك توسيع نطاق المعرفه الحسيّه فى إطار تحصيل العلوم والفنون. إلّا أن المسأله التى يتمّ طرحها هى: هل هناك إمكانيه لأن يحصل الإنسان على معارف ومعلومات من خارج حدود العقل والحس، أم لا؟ إن طرق وأدوات حصول المعرفه – من وجهه نظر الإسلام – لا تنحصر بهاتين الأداتين المعرفيتين، وإن الكثير من المعارف والعلوم البشريه تعود بجذورها إلى عناصر وعوامل غير العقل والحس، من قبيل: المعارف التى يتم الحصول عليها من طريق الوحى والإلهام والشهود. وإن عدم الحصول على هذه المعارف يؤدى بنا إلى الحرمان من المقدمات العلميه الضروريه من أجل الوصول إلى الهدف الغائى والنهائى. فمن وجهه نظر الإسلام، إنّ المعارف العقليه والحسيه رغم كونها من أجزاء المعارف الإنسانيه التى لا يمكن إقصاؤها أو تجاوزها، ولكن لا يمكن الوصول إلى جوهر السعاده والقرب من الله – كما هو موجود فى التعاليم السماويه – من خلال الاقتصار على هذين المصدرين. إن محدوديه العقل والحس، وعدم تمكنهما من إدراك بعض الأمور تعيق رقىّ وسموّ الفكر البشرى؛ وعليه فإن اللجوء إلى أداه غير العقل والحسّ من أجل الصعود والارتقاء نحو المراحل الأعلى التى لا يمكن تحقيقها من خلال هاتين الأداتين يُعدّ أمراً ضرورياً. إن للعلوم والمعارف المختلفه جهه إنتاجيه. بمعنى أن كل اكتشاف ومعلومه جديده تثير أمواجاً متلاطمه فى محيط المعارف

الإنسانيه، وتؤدّى إلى انتعاش وازدهار المعارف الأخرى. كما تلعب الأدوات المعرفيه الأخرى من قبيل: الوحى والإلهام والشهود، أدواراً إنتاجيه بالنسبه إلى سائر العناصر والعوامل الذهنيه الأخرى أيضاً، وهى تؤدى فى النتيجه إلى تكاملها وسموّها وتعاليها.

إنّ من بين عناصر تكامل الفكر الإنسانى وتنميه مواقفه وآرائه، هى التعاليم المنبثقه عن الوحى السماوى. وإن دور الوحى فى الهدايه يكمن فى تعريف الإنسان بالأهداف المنشوده لخالقه. إن التنميه والتكامل الإنسانى يوجب عليه أن يطلع ويتعرّف على دقائق وجزئيات خلق العالم بما يتناسب مع واقعه الثقافى. وإن وظيفه الأنبياء (عليه السلام) - بوصفهم وسطاء بين الإنسان وخالقه - تكمن فى تعريف الفرد وتوعيته فى الأمور التى تؤدى به إلى السعاده. وإن هذه المعارف يتمّ عرضها من قبل الله (تعالى) على الإنسان فى إطار الوحى. وإن للوحى - الذى هو لغه الهدايه ومن أعمق وأرقى منافذ المعارف الإنسانيه - آليتين، وهما:

أ) الآليه الأُولى: تعمل على إيقاظ الإنسان والتعرّف على نفسه وإدراكها على حقيقتها، كى لا يكون متهاوناً فيما يتعلق باقتضاءاته الفطريه. وفى الحقيقه فإن الهدف الرئيس والجوهرى للوحى يقوم على تذكير الإنسان بالمعارف التى تمّ إيداعها فى وجوده. إن شراره الوحى تشعل بيدر المعارف الفطريه والكامنه فى وجود الإنسان، وفى ذلك فإن الاهتداء إلى الهدايه يعود لصالح السالك فى طريق التقرّب من الله سبحانه وتعالى. ولذلك نجد الله يقول:

- إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ١ .

- وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ٢ .

ب) أما الآليه الثانيه: لعمل الوحى فتكمن فى أنه يقوم بتزويد الإنسان بالمعارف والتعاليم الجديده التى لم يكن بإمكانه الحصول عليها من طريق العقل والحس، وفى ذلك قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ١ .

- فَاذْكُرُوا اللّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ٢ .

بحيث لو أنّ الله لم يبيّن هذه المعارف للإنسان، لم يكن هناك من طريق آخر للتعرف عليها. ومن بين تلك الموارد: خلود الإنسان، والأحكام العمليه والفقهيه، وتاريخ الأمم السالفه، وكذلك العوالم الأخرى مثل عالم الآخره والملائكه، وما إلى ذلك.

ويمكن تقسيم المعارف من ناحيه تفاعلها المتبادل مع الميول القلبيه وتأثرها بها إلى مجموعتين:

هناك مجموعه من المعارف ليس لنتائجها أىّ ارتباط بالميول والرغبات الإنسانيه، من قبيل: القوانين الرياضيه والكثير من القوانين العلميه الأخرى التى لا تأثير لإثباتها ونفيها على الدوافع والميول الأخلاقيه لدى الانسان، كما لا يشكل هذا الدافع الأخلاقى عقبه أمام تقدّمه العلمى أو أن يؤدى إلى التسريع من وتيرته. وبعباره أخرى: إن هذا النوع من العلوم حيث لا يشتمل على اتجاه أخلاقى وعدم تعارضه مع القيَم التى يؤمن بها الفرد، فإنه يكون حيادياً ولا يحتوى على أى عنصر كابح أو محرّك فى هذا الاتجاه.

وهناك من المعارف الأخرى مجموعه تنظر إلى الأبعاد الروحيه والمعنويه لدى الأفراد. فهى معلومات يؤدى التعرف عليها إلى هدايه الإنسان،

كما فی المقابل یفضی الجهل بها إلی وقوع الفرد فی الضلال والضیاع، ولا یمکن أن یکون لها موقف حیادی تجاه مصیر الإنسان. وفیما یتعلق بالقسم الأخیر حیث یتم طرح مسأله الدوافع والمیول والأحاسیس وتأثیرها علی المعارف العقائدیه والنظریه، یمکن تلخیص التأثیر المذکور ضمن ثلاث مراحل علی النحو الآتی:

۱. إن المیول والرغبات الفردیه هی التی تشکل قاعده وأساساً للعقائد والأفکار لدی الفرد. وفی مثل هذه الموارد إنما یتقبل الشخص آراء الآخرین وأفکارهم إذا کانت متناغمه ومنسجمه مع رغباته وتطلعاته النفسیه. وعلیه لا یمکن لنا أن ننکر دور الدوافع والعلاقات والحب والبغض الشخصی فی قبول أو رفض المعارف النظریه.

۲. إن الکثیر من الأمور التی یقبلها الإنسان بدافع من هذه المیول القلبیه والنفسیه الخاصّه، إما أن تطالها ید النسیان، أو أن تستقر فی دائره المعارف الإنسانیه، ولربما کانت هذه المقبولات والمعلومات من بین المعارف التی تلعب دوراً حاسماً وحیویاً فی مصیر الإنسان.

۳. إنّ من بین موارد تأثیر المیول القلبیه علی الأسس الفکریه، هی أنّ الإنسان أحیاناً - ومن خلال الالتفات إلی دوافعه ومیوله الوجودیه الخاصه، والطهاره القلبیه - یغدو علی استعداد لتحصیل المعلومات الجدیده. وإن هذه المطالب سواء انبثقت من الداخل علی شکل الشهود الباطنی، أو من الخارج علی شکل الإلهام، معلوله لشیء واحد وهو طهاره القلب وتهذیبه وتنظیم الدوافع والمیول والرغبات الداخلیه.

وفی جمیع هذه المراحل المذکوره یکون لعنصر الصفاء وطهاره القلب من الذنوب والمعاصی والمیول الشریره، تأثیر لا یمکن إنکاره علی هدایتنا وتقدّمنا. مع فارق أننا فی کل مرحله نحصل من الهدایه علی ما یتناسب وتلک

المرحله. ففی المرحله الأولی یکون الإنسان من خلال تطهیر قلبه وصفاء سریرته مستعداً لاستقبال کلام الله وتجنّب العناد والتمرّد والتکبّر. وفی المرحله الثانیه یعمل علی هدم الطبقات المتراکمه بفعل الدوافع والمیول المتدنیه، وإزالتها عن أعماق وجوده، حتی تظهر له النقاط المشرقه والمضیئه من فطرته، وکذلک الدوافع المدفونه تحت هذه الطبقات. وفی المرحله الأخیره یؤدی صفاء الروح وصقلها إلی استعدادها لتقبّل الفیض والعلم والمعرفه من طریق الشهود الباطنی أو الإلهام، وفی ذلک یقول الله تبارک وتعالی: وَ کَذلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ۱ . وعلیه فمن وجهه نظر الإسلام لو تمکن الإنسان من المحافظه علی طهره، ولم یتعرّض للأزمات الأخلاقیه، والتعلقات غیر المعقوله، فإنّ أرضیه التقدم العقلی والفکری ستکون متوفره فی وجوده وکیانه، قال الله عزّ وجل: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً وَ یُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ۲ .

۵. معرفه النفس

اشاره

ما هو المراد من معرفه النفس؟ وما هی النتائج المترتبه علیها؟ وهل یشمل مفهوم النفس جمیع الأبعاد الوجودیه للإنسان أم أنه یقتصر علی بعضها فقط؟ وهل تحصل معرفه النفس من خلال قراءه ودراسه وجود النفس فقط أم هناک عوامل أخری یجب أن تضاف إلی ذلک أیضاً؟

إنّ من بین الأهداف الوسیطه فی سلسله الأهداف التربویه فی الإسلام، معرفه النفس. إنّ معرفه النفس، مثل سائر الموارد الأخری (معرفه الله،

واكتساب العلوم والمعارف وما إلى ذلك) ليست له صبغه نظريه وذهنيه فحسب، بل إنّ مساحه هذا النوع من المعارف تمتدّ لمقام العمل، يخاصهٍ العمل التربوى. إن محور البحث فى هذا الكتاب هو العمل التربوى الذى يتجه نحو الأهداف التربويه، ومن هنا فحتى البحوث المعرفيه تتلفع بصبغه عمليه، وتنطلق من الفضاء المفهومى البحت، لتدخل فى دائره العمل. وعلى هذا الأساس فإنّ الهدف من وراء طرح بحث معرفه النفس هنا، ليس هو مجرد الحصول على نوع من المعرفه، وإنّما المراد هنا هو المعرفه المقرونه بالتطبيق. وبعد هذا الوصف فإن لحاظ الهدف العملى والاهتمام بالمقصد الغائى من بحث معرفه النفس، يترك تأثيراً لا يمكن إنكاره فى بلورته وتكوينه. إن البحث عن مفهوم معرفه النفس - وبخاصهٍ ماهيه النفس - يرتبط بالهدف المترتّب على معرفه النفس. وبعباره أخرى: إن تحديد موقع ومساحه معرفه النفس من الناحيه المفهوميه مرتبط بالهدف الذى نحصل عليه من خلال هذا النوع من المعرفه فى المسار التربوى. ولذلك سنبدأ البحث من الهدف من معرفه النفس. وبشكل عام يمكن القول: إن الهدف من معرفه النفس هو بناؤها وتنميتها فى المسار التربوى. إن معرفه الأبعاد الوجوديه مقدمه لبناء النفس، ومن دون معرفه ما هو الموضوع التربوى (أى الإنسان) لا توجد هناك إمكانيه لإصدار الوصفه التربويه الناجعه.

إن ضروره بناء النفس وتنميتها فى حياه الإنسان تبلغ حدّاً بحيث لم يقتصر جعلها محوراً للتعمقات العقليه والنظريه على الأديان فحسب، بل ذهبت إلى ذلك أكثر المذاهب الفلسفيه أيضاً. ومن ناحيه أخرى فإن معرفه النفس هى بمنزله القنطره الموصله إلى بناء النفس، وحيث إنها تستوجب وعى الموضوع التربوى، فإنها تُعَدُّ ضروريه لبناء النفس. وإن المراد - فى النظام التربوى - من أهميه معرفه النفس، هو الحصول على هذا الهدف

التربوی ألاـ وهو بناء النفس وتربیتها. ولو أنّ بناء النفس لم یتمّ طرحه فی دائره وجود الإنسان، لما حصلت معرفه النفس علی تلک الأهمیه الکبیره والخاصه؛ إذ - فی هذه الصوره - لا تکون هناک ثمار عملیه یمکن أن تترتب علی معرفه الأبعاد الوجودیه للإنسان فی الفضاء التربوی، وعلی الرغم من ترتّب بعض النتائج فی الأبعاد النظریه علی کل حال - من قبیل أنّ معرفه قوّه النفس وضعفها وإدراک بدایتها ومنتهاها، تؤدّی إلی معرفه الله وإدراک قدرته وحکمته - إلاـ أن هذه النتیجه تبقی حبیسه الذهن والتفکیر، ولا تفضی إلی العمل التربوی. وبعباره أخری: إنّ النتائج المترتبه علی معرفه النفس یتم طرحها علی المساحتین النظریه والعملیه، ولیس الأمر أن تنحصر معرفه النفس علی بنائها وتوجیهها إلی ناحیه العمل التربوی فحسب، بل إنها - بالإضافه إلی ذلک - تشتمل علی البعد المعرفی المتمثل بمعرفه الله سبحانه وتعالی أیضاً. ومن هنا فقد روی عن النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) أنه قال: (مَنِ عَرَفَ نَفسَهُ فقَد عَرَفَ رَبَّهُ)(۱). إلاـ أننا لو جرّدنا منها الخاصیّه التربویه ونتیجه العمل المترتب علی المعرفه النفسیه، فإن أهمیتها وفائدتها سوف تکون منحصره بالبعد المعرفی البحت، ولا شک فی أن العلم والوعی الصرف - حتی لو کان متعلقه وموضوعه هو الله - إذا لم یؤد إلی العمل، فإنه لن تترتب علیه أیّ فائده، بل سیکون وبالاً علی العالِم أیضاً، لأن العالِم من دون عمل، سیکون مقصراً أکثر من الشخص الجاهل الذی لا یعمل.

ومن هنا یمکن القول: إنّ الهدف من معرفه النفس فی النظام التربوی فی الإسلام یکمن فی شیئین، وهما: معرفه الله، وبناء النفس. والمراد من معرفه الله لیس مجرّد المعرفه النظریه الصرفه، بل هی تلک التی تکون مقدمه لبناء

۱- (۱)) العلامه محمد باقر المجلسی، بحار الأنوار: ۳۲/۲.

النفس. فإن الإنسان فی إطار الـدین إنما یتمکن من بناء نفسه إذا کان قـد تعرّف إلی ربه. وعلی هذا الأساس إذا أردنا أن ندرس المنظومه الطولیه فی هـذا المسار الـذی یبدأ من معرفه النفس وینتهی إلی بناء النفس، سـندرک أن معرفه النفس إنما هی مقدمه لمعرفه الله، وأول مـا یترتب علیهـا من النتائـج، وکـذلک فـإن بنـاء النفس لا یتأتی إلا من طریق معرفه الله؛ فإن معرفه الله بـدورها تشکل مقدمه لبناء النفس. وعلیه فإنّ بناء النفس رهین بمعرفه الله، وأنّ معرفه الله لا یمکن لها أن تفسّر أو تبیّن إلّا فی ضوء معرفه الإنسان لنفسه.

ویمکن بیان المسار المؤدی إلی بناء النفس علی النحو الآتی:

معرفه النفس.... معرفه الله.... بناء النفس.

معرفه النفس مقدمه إلی معرفه الله:

إن إدراک الإنسان لأبعاده الشخصـیه یؤدی إلی کسب المعلومات عن أمور هی خارجه عن وجوده وفی الوقت نفسه هی مرتبطه به بنحوٍ من الأنحـاء. وهناک ثلاثه مواقف یمکن تصویرها للإنسان، وهی: بـدایته وأنّه من أین جاء؟ وواقعه الراهن وأنّه ما الـذی یتعیّن علیه أن یفعله فی اللحظه الراهنه. ومنتهاه وأنّه إلی أین سیؤدی به مصیره. وفی ذلک روی عن الإمام علی (علیه السلام) أنه قال:

رحم الله امرءً عَرفَ مِن أینَ وفی أینَ وإلی أینَ.(۱)

والمراد من أنّ علی الإنسان أن یعرف نفسه، هو أنه یجب علیه أن یـدرس هذه المواقف المحیطه بجمیع أنحاء وجوده وکیانه من بـدایته إلی نهایته. وفی طبیعه الحال فإن المواقف المـذکوره لیست خارجه عن الوجود ولا فی مقابله، بل هی فی الحقیقه تـدخل فی المسار التصاعـدی لوجود الإنسان نفسه، وإذا کان یریـد تحدید موقفه الوجودی فی هذا العالم، فهو مضـطرّ إلی التعرّف علی مسار وجوده من بدایته إلی نهایته. وأنّ هذا الأمر لا یؤثر فی

۱- (۱)) غرر الحکم ودرر الکلم.

معرفه کل الوجود فحسب، بل إن معرفه کل مرتبه ومقطع وجودی دون التعرّف علی المرتبه الأخری یبدو ناقصاً. وبعباره أخری: إنّ معرفه هذه المراحل الثلاث المهیمنه علی المسار الوجودی للإنسان لها فائدتان، وهما: أولاً - معرفه جمیع جوانب وجوده. وثانیاً - تأثیر کلِّ واحده من المراحل فی معرفه المراحل الأخری. فمثلاً: إنّ معرفه المعاد دون إدراک البدایه والوضع الراهن، یعتبر إدراکاً ضعیفاً وناقصاً، وهکذا معرفه الوضع الراهن، فإنه لن یکون لها تأثیر تربوی ملحوظ إذا لم تکن مصحوبه بالبدایه والنهایه. وعلیه فإنّ معرفه کلِّ مرحله من مراحل وجود الإنسان الثلاثه، تحظی بأهمیه خاصه فی معرفه کل جوانب وجوده، ومعرفه کل واحده من المراحل الأخری. تحظی معرفه المنشأ والمبدأ وارتباط الإنسان بهما وکیفیه تکوینه، بأهمیه خاصه من الناحیه الدینیه. إن جوهر وجود الإنسان یکمن فی روحه المجرّده وغیر المادیه، والتی تتمتع بخاصیه الخلود وعدم الفناء. وقد خُلقت هذه الروح من قبل الله وبأمره، ولا یسع الإنسان أن یدرک ماهیتها. وفی ذلک یقول الله سبحانه وتعالی:

- وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلاً١ .

- فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ٢ .

وعلیه فإننا إنما نستطیع أن ندرک تبعیتنا للهِ وارتباطنا به، وأما ماهیه الروح وحقیقتها فهی أمر لا یمکن للإنسان أن یدرکه. إننا عندما ننظر إلی الماضی نری أننا لم نلعب أیّ دور فی تکویننا ووجودنا، وأنّ وجودنا خاضع لإراده الله. إن إدراکنا لحقیقه أننا مخلوقین لله، وأننا بحاجه إلیه، وأننا خاضعین لقدرته وعظمته، له تأثیر عمیق فی ارتباطنا وعلاقتنا به. وقد ذهب القرآن

الكريم إلى اعتبار عباده الله والوصول إلى القرب منه، وكذلك رعايه التقوى منوطاً بفهم هذه النقطه الحيويه. قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .(۱)

- وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّهَ الْأَوَّلِينَ .(۲)

وقد تمّ وضع خلق الإنسان من تراب فى سياق كونه آيه لوصوله إلى مقام القرب من الله والسلوك فى هذا الطريق، ونجد هذا منعكساً بشكل صريح فى قوله تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ٣ . وإنّ معرفه مراحل التكوين فى البُعد المادى للإنسان، يُحدِثُ نقلهً فى رؤيته ومعرفته بنفسه.

إن التعابير التى استعملها القرآن الكريم لبيان الناحيه الماديه من وجود الإنسان، عباره عن: التراب، والطين، والطين اللازب، والحمأ المسنون، والنطفه، والماء الدافق، والعلقه، وهو ما جاء فى الآيات الآتيه التى سنذكرها فيما يلى على طريقه اللف والنشر المرتّب:

- يا أَيُّهَا النّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ .(۳)

- هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ .(۴)

- فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ .(۵)

- وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ .(۶)

۱- (۱)) البقره: ۲۱.

۲- (۲)) الشعراء: ۱۸۴.

۳- (۴)) الحج: ۵.

۴- (۵)) الأنعام: ۲.

۵- (۶)) الصافات: ۱۱.

۶- (۷)) الحجر: ۲۶.

- وَ اللّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ .(۱)

- فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ .(۲)

- اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ .(۳)

إنّ معرفه الإنسان لبدايته تجعل منه شخصاً واقعياً، ولذلك تكون رؤيته معقوله، وتكبح جماح زهوه وغروره وتكبّره. ويُعدّ الانحراف والجهل ببدايه الخلق وعدم التعرّف على قدره الله فی خلق الكائنات، من جمله عوامل الكفر والشرك. وقد قال الله تعالى فی بيان هذه الحقيقه:

- يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * اَلَّذِی خَلَقَكَ فَسَوّاكَ فَعَدَلَكَ .(۴)

- قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ * مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .(۵)

- أَ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ .(۶)

- يا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ .(۷)

- وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياهً وَ لا نُشُوراً .(۸)

ومن هنا نجد القرآن الكريم يحثنا على التفكير والتدبّر فی مسأله خلق الإنسان، وذلك لكی نتعرّف على أنفسنا، وأن نكون على استعداد للقيام

۱- (۱)) فاطر: ۱۱.

۲- (۲)) الطارق: ۵-۶.

۳- (۳)) العلق: ۱-۲.

۴- (۴)) الانفطار: ۶-۷.

۵- (۵)) عبس: ۱۷-۱۹.

۶- (۶)) الأعراف: ۱۹۱.

۷- (۷)) الحج: ۷۳.

۸- (۸)) الفرقان: ۳.

بالتكاليف المفروضه علينا فى المرحله الثانيه (أى الدنيا)، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَهٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ .(۱)

- أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً۲ .

ومن خلال التمعّن فى آيات القرآن الكريم ندرك أن الإنسان يستطيع القيام ببلوره شخصيته على نحوين.

فهناك من الآيات ما يدل على عظمه الإنسان، باعتباره خليفه الله فى الأرض، وأنّه أهل لتسجد له حتى الملائكه، وأنّ الله قد خلقه على أحسن صوره، وذلك إذ يقول الله تعالى:

- ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .(۲)

- وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً... .(۳)

- فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَهُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ .(۴)

- وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا .(۵)

فى حين تذهب آيات أخرى إلى وصف الإنسان بالضعف والتسرّع فى الأمور والطمع وما إلى ذلك من الأوصاف، وذلك من قبيل ما جاء فى الآيات القرآنيه الآتيه:

۱- (۱)) يس: ۷۷.

۲- (۳)) يونس: ۱۴.

۳- (۴)) البقره: ۳۰.

۴- (۵)) الحجر: ۲۹-۳۰.

۵- (۶)) البقره: ۳۴.

- يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكَمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً١ .

- خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِى فَلا تَسْتَعْجِلُونِ .(١)

- وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً .(٢)

- إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً .(٣)

إن إدراك الإنسان لكيفيه خلقه وموقعه وما يتمتع به من القدره على التقدم والرقى كجانب إيجابى وإمكانيه سلوكه طريق التخلف والانحطاط، والانحراف والطغيان، حيث يقول تعالى فى بيان وصف النفس الإنسانيه:

فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها٥ . يؤدى به إلى العمل على الاختيار الصحيح. وأنّ معرفه النفس فى الحقيقه هى معرفه الاستعدادات والقابليات الكامنه فيها، والتى تؤدى - فى البعدين المتعارضين (معرفه الصفات الإيجابيه والسلبيه) - إلى وعى الإنسان بأطره الوجوديه. وليس هناك مَن يمكنه أن يدّعى عدم وجود الصفات السلبيه فى وجود الإنسان، من قبيل: الطمع والجشع والضعف والتسرّع والتكبر والغرور. كما أن ارتكاب الأعمال السيئه، والتذرّع بوجود مثل هذه الأمور فى وجود الإنسان لا يمكن أن يكون صحيحاً فى تبريرها، بل فى الحقيقه يمكننا - بحسن اختيارنا وبتوفيق من الله - أن نقوّى الخصال الإيجابيه فى وجودنا وأن نحول دون استفحال الصفات السلبيه.

وبعد إدراك الإنسان للبدايه والمرحله الأولى من مسيرته الوجوديه، يغدو بإمكانه التعرّف على خالقه وبارئه؛ إذ بعد أن يدرك الإنسان أنه كائن

١- (٢)) الأنبياء: ٣٧.

٢- (٣)) الإسراء: ١١.

٣- (٤)) المعارج: ١٩-٢١.

ضعيف، ويشعر باحتياجه إلى قوّه خالده ومطلقه، يفتح لنفسه طريقاً يوصله إلى معرفه الله. وعليه تكون معرفه النفس – من هذه الناحيه، أى من زاويه الارتباط بالمبدأ ومعرفته – مقدمه وأرضيه فصبه لمعرفه الله، وإن هاتين الدعامتين المعرفيتين – أى: معرفه النفس، ومعرفه الله – ستشكلان زاد الإنسان فى المرحله الثانيه (الواقع الراهن)، ويغدو على استعداد لبناء نفسه وتربيتها. وعلى هذا الأساس فإن بناء النفس يتوقف بشكل مباشر على معرفه الواقع الراهن، والتعرّف على الدوافع والحالات والسلوكيات الإنسانيه فى ذلك الواقع. إلا أن معرفه الواقع الراهن لا يكفى لبناء النفس. إن بناء النفس مفهوم يتوقف بالكامل على معرفه النفس. ومن هنا فإن شرح وتبيين بناء النفس فى ضوء معرفه الله ومعرفه النفس تيطّلب منّا بالضروره أن نتعرّف – بالإضافه إلى الواقع الراهن – على المرحله الأخيره من مساره الوجودى، أى المنتهى والمعاد أيضاً.

إن تعرّف الانسان على الواقع الذى يعيش فيه، والمسؤوليات والوظائف الملقاه على عاتقه، وكذلك الاطلاع على حالته النفسيه والروحيه، من الموارد الضروريه جداً بالنسبه له. إن الإنسان من حيث الخلقه يتمتع بقوى وقابليات خاصّه، وإن سلوكياته وشخصيته تخضع لتأثير العناصر والعوامل الوراثيه والثقافيه السائده فى محيطه. ومن هنا يكون مضطراً إلى الاستفاده من عنصر الإراده والاختيار من أجل الوصول إلى الهدف النهائى، وأن يبذل كلّ ما بوسعه فى هذا الإطار. إن التعرّف على الأوصاف والخصائص الداخليه، وكذلك تعرّف الإنسان على نقاط ضعفه وقوّته الشخصيه والأخلاقيه تشكل سبيلاً يتمكن من خلاله، التغلب على النواقص، والعمل على تنميه قيَمه الداخليه. على الإنسان أن يعلم الدور الملقى على عاتقه فى الحياه. فمن وجهه نظر الإسلام يعتبر الإنسان خليفه الله فى الأرض، وأنه يستحق أن يكون قبله

للملائکه، وهو کائن حرّ ومختار، وأنه لم یُخلق عبثاً، بل هناک حکمه کامنه من وراء خلقه. وهذا ما أکد علیه القرآن الکریم فی الکثیر من مواضعه، ونذکر منها من باب المثال الآیات الآتیه:

- إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً .(۱)

- إِنّا هَدَیْناهُ السَّبِیلَ إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً .(۲)

- أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنا لا تُرْجَعُونَ .(۳)

- وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ .(۴)

إن علی عاتق الإنسان - سواء فی البعد الفردی أو البعد الاجتماعی - مسؤولیات توجب علیه التعرف علی نفسه ومجتمعه. وإن معرفته بالوظائف والمسؤولیات التی یجب علیه أن یضطلع بها، والتعرف علی الخیارات الأفضل، هی من جمله الأمور التی تجعله أکثر استعداداً إلی سلوک طریق القرب من الله فی إطار معرفته لنفسه. ومن وجهه نظر الدین فإن مجرّد تحصیل العلم وطلب المعرفه وإدراک ما یؤدی إلی تکامل الشخصیه وتحسین السلوک لا یشکل ضمانه لتطبیق مضامین ذلک العلم أو تلک المعرفه. وإن معرفه النفس إنما تؤدی إلی بناء النفس إذا تکلّلت بمعرفه المرحله الثالثه من مساره الوجودی - أی المعاد والمصیر والهدف النهائی - وفی هذه الصوره لن تکون هناک - من الناحیه المعرفیه - أی نقطه إبهام أو ضعف فی إعداد الأرضیه من أجل بناء النفس وبناء الشخصیه المعنویه، وإذا کان هناک من ضعف فإنه لا یأتی من ناحیه المعارف، بل یأتی من حیث المیول والتعلقات.

۱- (۱)) الدهر: ۲.

۲- (۲)) الدهر: ۳.

۳- (۳)) المؤمنون: ۱۱۵.

۴- (۴)) الذاریات: ۵۶.

فإنه حيث يجب على الإنسان التعرّف على مآله وعودته ورجوعه إلى الله، وحيث تتعيّن عليه الإجابه عن كل ما يقوم به ويفعله وينويه - إذ يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ١ . فعليه لذلك أن يُذعن لنتيجه أعماله ويكون لذلك تأثير كبير فى انتخاب مساره وبنائه لنفسه.

بالالتفات إلى ما تقدّم يمكننا أن نتوصّل إلى النتائج الآتيه:

١. إن معرفه النفس لا- يتمّ طرحها فى البعد الأخلاقى البحت، بل إنّها تشمل جميع الأبعاد الوجوديه (الماديه والمعنويه)، وعلى الرغم من أن نتائجها لا- تكون إلا- أخلاقيه ومعنويه صرفه، إلا- أنه يتعيّن على الإنسان - من أجل تحقيق الاختيار المناسب فى الدائره الروحيه والنفسيه - أن يتعرّف على نفسه بشكل كامل. وعليه فإن مفهوم معرفه النفس يشمل جميع الأبعاد الوجوديه للإنسان.

٢. إن معرفه النفس ليست أمراً داخلياً، بل هى الحصول على مزيد من المعلومات فى إطار معرفه النفس على نحو أكبر، وإنما يتم ذلك عبر المراحل الثلاث الآتيه:

أ) معرفه النفس من الناحيه الخلقيه، بمعنى معرفه القابليات المستخدمه فى خلق الإنسان وكيفيه تكوينه.

ب) معرفه النفس من الناحيه الدنيويه، بمعنى معرفه واقعنا وموضعنا فى هذه الدنيا.

ج) معرفه النفس من الناحيه الأخرويه، بمعنى معرفه المعاد والحياه بعد الموت.

٣. إن معرفه النفس الخلقيه مقدمه على معرفه الله، وإن معرفه الله مقدمه على بناء النفس.

۴. إن ثمره ونتيجه معرفه النفس ومعرفه الله تظهر على بناء النفس وتربيتها. وعليه فمن دون معرفه الإنسان - بوصفها موضوعاً تربوياً - لا يمكن العبور من الوضع الراهن، والوصول إلى الوضع المنشود والمطلوب.

ب) الأهداف الإنتمائيه

اشاره

كما تقدم أن ذكرنا فى مستهل البحث بشأن أهداف الإسلام الوسيطه فى مجال الارتباط التربوى للإنسان فيما يتعلق بنفسه، فإن المعيار فى انتخاب هذه الأهداف هو البنيه والتركيبه الوجوديه للإنسان نفسه. وإن الأبعاد الوجوديه المختلفه للإنسان تمثل منطلقاً لاختيار هذه الأهداف والإصرار على بلوغها.

إن الأبعاد الجسديه والروحيه المختلفه التى تشمل الأبعاد المعرفيه والانتمائيه وبُعد الإراده لدى الإنسان، بالإضافه إلى اشتمالها على المنشأ الداخلى والباطنى، فإنها تشتمل على دعامه وسند خارجى أيضاً. إن الله سبحانه وتعالى كما أودع فى الإنسان عقلاً وقدره على التفكير والتدبّر، فإنه قد عمل أيضاً على ترتيب واقعه الخارجى بشكل يتمكن معه من التكامل والرقى بما يتناسب مع مناشئ هذه القوّه والقابليه. كما يجرى هذا الأمر أيضاً على سائر الأبعاد الانتمائيه والعاطفيه الأخرى أيضاً، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى إذا أودع فى الإنسان ميلاً أو نزعه إلى أمرٍ من الأمور، فإنه سوف يُعدّ الإمكانات الخارجيه بشكل يتيح إمكانيه الوصول إلى ذلك الهدف الموجود بشكل كامل. فليس الأمر أن تكون لدى الإنسان رغبه أو ميل إلى أمر وجودى، وتكون العوامل الخارجيه سائره فى الاتجاه المعاكس لها، بحيث تشكل عقبه أمام وصوله إلى ذلك الهدف. وبطبيعه الحال فإن محور البحث هنا هو الدوافع والميول الخاصه بالإنسان والتى تكون تابعه لسلسله من الأصول العامه، من قبيل: النزوع إلى معرفه الحقيقه، والميل إلى الخلود والكمال، دون

غرائز من قبيل: الشهوه إلى الطعام الموجوده فى جميع الحيوانات. هذا وإن التعابير المختلفه من قبيل: النزعه والميل والدافع وإن كان لها معانٍ مختلفه فى علم النفس، إلاـ أنها فى هذا البحث لا يراد منها سوى معنى ومفهوم واحد، وهو القوّه الداخليه التى تدفع إلى التحرّك نحو هدفٍ خاص.

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الميول والرغبات الإنسانيه، إلا أنها ليست عامه وشامله بأجمعها. وإن الذى يميّز بين الميول العامه والخاصه هى الخصوصيات التى نشرحها على النحو الآتى:

١. هناك ميول موجوده لدى جميع الناس، بحيث أن القيام ببعض الأمور، والميل إلى بعض الأشياء يعدّ من أهم وأبرز الميول الداخليه لدى الشخص. وعلى الرغم من أن هذه الميول تختلف باختلاف الأفراد فى الشده والضعف، ولكنها موجوده لدى الجميع، وإن على أنحاء ومستويات مختلفه ومتفاوته.

٢. إنّ الميول العامه لا تختص فى وجودها لدى جميع النابالوقت الحاضر فقط، بل كان لها وجود حتى فى الأزمنه السحيقه أيضاً. وإنّ أهم دليل على وجود هذه الميول هو الشواهد التاريخيه، وما نجده فى المعطيات الحضاريه والثقافيه للإنسان. وأنّ هذه الميول هى من قبيل: البحث عن الخالق، وطلب الكمال، فهى من الأمور التى كان الإنسان منذ القدم يسعى إلى إدراكها، وهو مستمر فى سعيه إلى إدراكها حتى هذه اللحظه، ولم تَضعُف حدّتها وشدتها أبداً، بل إن هذا الميل وهذه النزعه قد ازدادت حدّه وإلحاحاً، وقد تجلّت على نحو أكثر تكاملاً من ذى قبل.

٣. إن بنيه الإنسان وتركيبته تمكّنه من الاهتمام بالكثير من الأمور. وكما توجد لدى الإنسان بعض الغرائز والميول التى تبرر حاجته إلى الماء والطعام، دون أن تكون هناك من حاجه إلى السؤال عن أسباب وعلل وجودها، فإن فطره الإنسان - فى البُعد المعنوى - تعمل على تبرير سلسله أخرى من الرغبات والميول التى يتمّ التعبير عنها بالميول الفطريه.

۴. قـد يذهب التصوّر ببعضٍ إلى القول: إن ميول الإنسان تقوم على أساس من الفطره، فلا تكون هناك من حاجه إلى التعلّم، ولا يمكن نقل النزعه لدى الإنسان فى البحث عن الله والحقيقه والجمال من طريق المفاهيم، وإن الميول الفطريه كسائر الغرائز ليست من مقوله المفـاهيم الـذهنيه والفكريه التى يمكن نقلهـا عبر الأـدوات والوسائـل التعليميه، بـل إن هـذه الأـمور خـارجه عن الأطر والأنظمه التعليميه، فهى نوع من الخلق الـذى لا سبيل إلى تغييره. وأنّ المراد من أنّ هـذه الميول قد وقعت هدفاً وغايه لا يعنى أن أصل الميل هو الهـدف والغايه؛ لأن الميول والدوافع قد تمّ إيداعها فى وجود الإنسان من خلال الخلقه. وإنما المراد من هدفيتها، هو تنميتها والعمل على توجيهها وهـدايتها إلى الاتجاه الصـحيح الـذى يريده الدين. وبعباره أخرى: إن الذى يُسـتنبط من الوصايا الموجوده فى الـدين بشأن هذه الميول، إنما ينظر إلى النشاط والدور الذى يتكفل به هذا العامل فى وجود الإنسان. ولا شك فى أن الـدور البنّاء له هو تهيئه الأرضـيه للإنسان لتكون له القـدره على القيام ببعض النشاطات المحـدده، والاهتمام بأمور معيّنه. وإن الأهداف التى يتم استنباطها من الدين فى هذا السياق ناظره إلى أمرين، وهما:

١. تجديد وتعزيز الميول فى وجود الإنسان.

٢. الهدايه والتوجيه الصحيح لهذه الميول.

وفى هذا الكتاب نستفيد من كلمه التنميه لبيان مفهوم جامع لهذين المعنيين، لأنها تشمل التعزيز وتشمل الهدايه أيضاً.

١. تنميه المطالبه بالحقيقه

إنّ من بين الميـول المتأصـله فى وجـود الإنسـان هـو نزعته ورغبته فى البحث للوصول إلى الحقيقه. والمراد من طلب الحقيقه هو شوق الإنسان إلى

معرفه الارتباط القائم بين الظواهر. إن اكتشاف الحقائق - سواء فى البعد النظرى والمعرفى أو فى الأبعاد الفنيه والعمليه - ناشئ من رغبته وميله إلى إدراك هذه الأمور. فلو لم تكن لدى الإنسان مثل هذه الرغبه والشوق إلى تحصيل العلوم وتنميه أفكاره وآفاقه العلميه، لما وصل المستوى العلمى والثقافى للإنسان إلى هذه المرحله من التكامل والازدهار. وعلى الرغم من أن الحاجه إلى رفع المشاكل تشكل أحياناً حافزاً ودافعاً إلى تحصيل العلم والمعرفه، بيد أن النزعه والميل إلى طلب المعرفه يظهر منذ فتره الطفوله حيث لا يكون الطفل بعدُ قادراً على إدراك الارتباط بين طلب العلم وإيجاد الحلول للمشاكل. وعليه فإن أساس طلب العلم والمعرفه لا يكمن فى مسأله الافتقار والحاجه، وإن إدراك الارتباط بين الموجودات والتعرّف على المسار العلمى هو الذى شغل عقول الكثير من العلماء. وعلى الرغم من أن التعرّف على العلوم واتساع رقعه الفنون ساعد على رفع الكثير من حاجات الإنسان، إلا أن أساسه وقاعدته تعود إلى النزعه الباطنيه والشوق إلى بلوغ الحقائق واكتساب المعارف.

وكما تقدم أن ذكرنا فى بحث الأهداف المعرفيه بالتفصيل، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد عمل على توظيف ميل الإنسان ورغبته وشوقه الشديد إلى إدراك الحقائق فى إطار هدايته. وإن التشجيع على استثمار العقل والتفكير، ووضع العلامات والآيات الواضحه فى خلق العالم، وإرسال الرسل، تأتى بأجمعها فى سياق تنميه هذه النزعه والرغبه لدى الإنسان. وفى الحقيقه فإن جميع الآيات التى عمدت بنحوٍ من الأنحاء إلى دعوتنا إلى التفكر والتعقل، والتى جعلت التدبّر فى الخلق محور حركتنا العقليه، تأتى فى سياق تعزيز هذه القدره والكفاءه. إن على الإنسان - من وجهه نظر الإسلام - أن يبذل جهوداً متواصله فى البحث عن الحقيقه، إلا أن مجرّد هذه النزعه لا تشكل ضمانه

لتحقق الهدايه. فما أكثر الحقائق التى بقيت خافيه على ذهن الإنسان، وما أكثر الأمور الوهميه التى تجلّت للإنسان بوصفها حقائق ثابته لا يمكن التشكيك فيها.

إن عدم تعزيز هذه النزعه الباطنيه يؤدّى إلى الضعف والخور فى وجود الإنسان، ويوفّر الأرضيه لانحرافه وضلاله. إن مثل هذا الفرد يتعرّض للشك فى معرفه الحق وتمييزه من الباطل، ويقع فريسه لآراء وأفكار وعقائد الآخرين بكل يسر وسهوله. وباختصار فإن عدم تعزيز هذه الناحيه الوجوديه فى الإنسان، تفضى به إلى الانحراف الفكرى والتبعيه للآخرين، وعباده الأشخاص، والانحياز إلى الأكثريه دون تعمّق أو تفكير. فالفرد الذى ينشد الحقيقه، يقوم فى البحث عنها بنفسه، ولا يجعل من آراء الآخرين ملاكاً ومعياراً لفهم الحقيقه. وبطبيعه الحال فإن الذى ننظر إليه فيما يتعلق بطلب الحقيقه هو التنميه بمعنى تعزيزها وتقويتها، وإلا فإن الهدايه والعمل على توجيه طلب الحقيقه ليس له من معنى محصّل، ولربما أدى الانسياق فى هذه المقوله إلى الابتعاد عن أصل المطالبه بالحقيقه. وعليه فإن الأثر التربوى المترتب على تعزيز النزعه إلى طلب الحقيقه يكمن فى اعتماد الفرد على نفسه ومقدرته العقليه والفكريه فى تحديد الحق وتمييزه من الباطل.

٢. تنميه النزعه إلى البحث عن الله

إنّ الميل الفطرى إلى الله بوصفه خالق الإنسان والقادر على تلبيه احتياجاته وحلّ مشاكله، مودع فى وجود كلّ إنسان. وعلى الرغم من أن أصل الميل الفطرى إلى الله يمتدّ بجذوره فى التركيبه والبنيه الوجوديه للإنسان وطبيعه خلقه وجبلّته بحيث لا تقبل التبديل أو التغيّر، حتى قال الله سبحانه وتعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ

اَلدِّينُ الْقَيِّمُ۱ ، ولكن مع ذلك يرد السؤال القائل: إذا كانت مسأله النزعه والميل إلى الله مسأله فطريه مودعه فى جبلّه الإنسان، فلماذا ينحرف الكثير من الناس، وينحدرون إلى عباده ما سوى الله؟ وعليه أليس من الأفضل أن نجيز النزعه إلى عباده أىّ معبود وإن لم يكن هو الله حقيقه، إشباعاً لهذا الشعور والميل الفطرى؟ وهل يمكن فى هذه الصوره تبرير الميول المختلفه بين أفراد البشر باتجاه الكثير من الآلهه ومن بينها الله سبحانه وتعالى؟

للإجابه عن هذه الأسئله، يمكن دراسه المسأله من ناحيتين، وهما: الناحيه الدينيه، والناحيه النفسيه والروحيه.

الناحيه الدينيه: إن الذى تمّ طرحه فى القرآن الكريم بوصفه نوعاً خاصاً من الخلق، يشمل بشكل صريح وواضح الخلقه الإلهيه. بمعنى أن الفطره والبنيه الوجوديه للإنسان، وُجدت بحيث تعمل على هدايته إلى الله سبحانه وتعالى دون أىّ معبود آخر. وبعباره ثانيه: إن الكامن فى بنيه وتركيبه خلق الإنسان هو الميل إلى الله، وعلى الرغم من أن عدم الاهتمام بهذه النزعه وهذا الميل، يؤدى ببعض الناس إلى عدم العمل بما تقتضيه فطرتهم وجبلّتهم، إلا أنّ مجرّد عدم الاهتمام بنزعه أو ميل لا يصلح دليلاً على عدم وجود ذلك الميل أو النزعه. وبعباره أخرى: إن ما قام به بعض الناس على طول التاريخ من إظهار الميل إلى معبودات غير الله، أو الذين واصلوا هذا النهج فى العصر الحاضر ضمن أطر وقوالب أخرى، لا يكون دليلاً على أن ميلهم ونزعتهم إلى هذه المعبودات الخاصه، مودع فى أصل خلقتهم وجبلتهم. إن التركيبه والبنيه الوجوديه للإنسان من وجهه نظر الدين وُجدت بحيث لا تميل ولا تنزع لغير الله، إلا أن هذا لا يعنى أن تكون آليه هذه النزعه ثابته على جميع الأحوال

والظروف، بل من الممكن لبعض العوامل أن تعيق ظهور هذه النزعه الفطريه. من هنا نجد القرآن يحثنا ويشجعنا على الاهتمام الخاص بهذه الناحيه من خلقته. وعليه فإن معنى تنميه الشعور والنزعه إلى البحث عن الله، هو تعزيز وتقويه وهدايه هذا البعد من وجود الإنسان. ومن ناحيه أخرى فإن النزعه والميل إلى عباده معبود غير الله، إنما هو وليد جبله الإنسان وفطرته التى تنزع إلى البحث عن المعبود. لأننا عندما نحلل فطره الإنسان ندرك ضعفه وعجزه عن إداره أموره. إن هذا العنصر والعامل من أهم العوامل فى وصول الإنسان إلى خالقه. إن ما يقال من أن لدى الإنسان فطره وجبلّه إلهيه، وإن لنزوعه وميله إلى الله موقعاً خاصاً ومتميّزاً فى نظام الوجود، من الممكن إرجاعه إلى ضعفه الوجودى وحاجته إلى موجود قادر ومتمكّن، ولو أن الإنسان أدرك هذا الضعف من صميم وجوده فإنه سيدرك وجود الله الواحد الأحد أيضاً. فإن الميل إلى الله وليد ذلك الشعور والإحساس بالفقر والحاجه والضعف الوجودى. ومن هنا فإن الله يدعونا إلى التدبّر فى هذه الناحيه من الفقر والضعف فى وجودنا كثيراً. ولو أننا لم نلتفت إلى هذه الناحيه المتمثله بحاجتنا إلى الله وفقرنا الوجودى بشكل كامل، فإننا لن نتمكن من الإيمان بالله الواحد كما تقتضيه فطرتنا. فإذا كان شعورنا بالضعف الوجودى يتمتع بقوّه خاصه، فإنه سيجعلنا بشكل طبيعى تابعين إلى وجودٍ أقدر وأقوى من جميع القوى والموجودات الأخرى، بحيث يكون هذا الوجود هو الأقدر على رفع حاجاتنا الوجوديه. وكلما كانت نسبه إحساس الإنسان وشعوره بضعفه وفقره الوجودى أقل، كان سعيه إلى رفع حاجاته من خلال اللجوء إلى القوى الماديه الضعيفه أكثر. وإن السرَّ فى اختلاف انتماءات الأفراد ونزعتهم إلى عباده الله الواحد، والمعبودات الأخرى من قبيل: الوثن والقمر والنجوم، بل

وحتی التشبّث المفرط بالمناصب وحبّ الجاه والثروه وما إلی ذلک من الأمور، یعود إلی اختلاف شعورهم وإدراکهم لضعفهم وفقرهم الوجودی. فالذین یرون أنفسهم فی فقر واحتیاج مطلق، ینظرون إلی قمّه وذروه الغنی المطلق المتمثل بالله الواحد الأحد، ویجعلونه هو المعبود الأوحد لهم ولا یشرکون بعبادته أحداً:

- یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی ذلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرٍ۱ .

- اَللّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّهً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ ضَعْفاً وَ شَیْبَهً یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ۲ .

- یُرِیدُ اللّهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً۳ .

- یا أَیُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ۴ .

وأما أولئک الذین تخضع مدرکاتهم ومعارفهم للفقر والحاجه الوجودیه لسیطره التعلقات الدنیویه العابره، من قبیل: الثروه والمنصب والجاه أو المیول الغریزیه، فإنّ معبودهم سیتناسب وهذا الحجم من التعلقات. من هنا فإنّهم وبعد أن ترتفع هذه الحاجه المرحلیه یشعرون بالاستغناء وعدم الافتقار والحاجه. وأنّ هذا الشعور بالاستغناء وعدم الافتقار والحاجه - من وجهه نظر القرآن - هو الذی یمثل أحد أسباب وعلل النزوع إلی الشرک بالله سبحانه وتعالی:

- یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ * اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّاکَ فَعَدَلَکَ .(۱)

۱- (۵)) الانفطار: ۶-۷.

- قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَهٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .(۱)

الناحيه الروحيه والنفسيه: إنّ الاطلاع على الطبقات المعقده للروح وكيفيه تأثير كل واحد من الميول على بعضها، أمر فى غايه الصعوبه والتعقيد. عندما ينظر الإنسان إلى واقعه، ويقيس نسبته إلى العالم والتاريخ الذى يعيش فيه، ويقارن بين حاجته وفقره وضعفه وبين قدراته وإمكاناته، ويدرس كذلك تاريخ ومصائر الآخرين، سيدرك أنه أضعف بكثير مما يتصوّر. وعلى الرغم من ذلك نجد أغلب الناس يرون لأنفسهم قدرات خاصه فى حلّ مشاكلهم والتغلب على المعضلات المحيطه بهم. وعلى كلّ حال فإنّ الانغماس فى الرغبات الدنيويه الزائله والغرائز الحيوانيه تجعل المرء فى غفله عن التعرف على الطبقات الرئيسه من وجوده، بيد أنه إذا نجح فى دراسه نفسه وتمحيصها، وتمكن من إزاحه الطبقات المتراكمه، وتوصل إلى أعماق وجوده، سيدرك أن وجوده أضعف وأدنى بكثير مما كان يتصوّر. وعليه فإننا إذا استثمرنا عقولنا وتفكيرنا، فسيكون بمقدورنا أن نعتبر بحياه الآخرين، وأن نجعل مصير الأمم السابقه نصب أعيننا، ونعمل على إيجاد التغيير الباطنى من وجودنا وأن ندرك حقيقه وجودنا دون تعريض أنفسنا لمواقف وظروف حاده وعصيبه. فإذا غدا بمقدورنا بلوغ هذه المرتبه من الفهم، واستطعنا أن نتعرّف على حقيقه أنفسنا، فعندها سيكون بمقدورنا إدراك وجود معبودنا الحقيقى وخالق الوجود أيضاً. وقد روى فى ذلك عن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه و آله) أنه قال: (مَن عَرَفَ نَفسَهُ فَقَد عَرَفَ رَبَّهُ).

۳. تنميه النزعه إلى اكتساب الفضيله

إنّ من بين الأمور التى ينزع إليها الإنسان بفطرته هو ميله إلى اكتساب

۱- (۱)) عبس: ۱۷-۱۹.

الفضيله. والمراد من الفضيله هى القيمه الأخلاقيه الراسخه فى وجود الإنسان. إنّ الاختلاف الجوهرى بين الفضائل الأخلاقيه وبين سائر الأمور الأخرى ذات النزعه الأخلاقيه، يكمن فى قوّه واستحكام الفضائل الأخلاقيه فى دواخلنا. فإن الفضيله الأخلاقيه إذا ما قيست إلى الأمور الأخلاقيه الاعتياديه سنجدها أكثر صلابه واستحكاماً فى الاضطلاع بدورها. وفى الحقيقه فإن الفضائل الأخلاقيه تتمتع بضمانه داخليه وباطنيه تعمل على تنظيم شخصيه الانسان، خلافاً لسائر الأمور الأخلاقيه الأخرى التى لا تحظى بمثل هذه الدعامه الداخليه، ولم تدخل فى تكوين شخصيه الإنسان. والمراد من قولنا: إنّ تنميه النزعه إلى اكتساب الفضيله يعدّ من الأهداف الوسيطه فى النظام التربوى للإسلام، هو النظر إلى هذا البُعد من اكتساب الفضيله الداخليه. وعلى الرغم من أنّ البحث عن اكتساب الفضائل والقيَم الأخلاقيه يعدّ من البحوث الفلسفيه التى تتمّ دراستها فى فلسفه الأخلاق، ولكننا - لتوضيح مفهوم تنميه الفضائل الأخلاقيه - إنما نكتفى بذكر بعض النقاط فى هذا السياق.

إن نزعه الإنسان إلى الفضائل الأخلاقيه، من قبيل: العدل والصدق والأمانه والوفاء بالعهد وما إلى ذلك، أمور لا يمكن أن تنكر. فإذا كان الواقع الخارجى بحيث تتساوى فيه نتيجه النزوع إلى الفضيله الأخلاقيه أو الرذيله الأخلاقيه، فإنه سيتجه نحو ما تميل إليه نزعته الباطنيه. وفى مثل هذه الحاله لن يكون الانسان بصدد اقتراف الرذيله الأخلاقيه؛ لأن الرذائل الأخلاقيه ليس لها مناشئ باطنيه. ومن هنا عندما يكون الانسان غى مستوى بحيث لا تؤثر عليه العناصر والعوامل الخارجيه، ولا تقوم المشاكل والضرورات بتقييد حريه اختياره إحدى الصفات، ويكون قادراً على قول الصدق والكذب على السواء، فإنه سيختار الصدق لكونه هو الأقرب إلى فطرته. وإن مسار حياه الإنسان على طول التاريخ يثبت ترجيحه للفضائل على الرذائل. وتظهر هذه الأرجحيه إما على شكل

السلوك الأخلاقی الصائب، أو علی شکل الندم واللوم (من قبل الفرد نفسه أو من قبل الآخرین). وعلی کل حال، ففی هذه اللحاله تعدّ مفاهیم من قبیل: العدل والصدق والوفاء بالعهد ورعایه الأمانه والکرم وحسن السریره وما إلی ذلک، فضیله أخلاقیه إیجابیه، وما یتعارض مع هذه الأمور، من قبیل: الظلم والجور والکذب والخیانه بالعهد، وخیانه الأمانه، والبخل وسوء السریره فیعدّ من الرذائل الأخلاقیه، ویحمل مفهوماً سلبیاً. ومن الضروری هنا أن نُذَکِّر بأن الذی نبحثه هنا لیس هو مصداقاً محدداً لهذه الفضائل المذکوره أو ما شاکل ذلک من المفاهیم، بل الذی نرید بحثه هو أصل المفاهیم التی تندرج تحت عنوان الفضائل أو الرذائل الأخلاقیه. ولکن یرد هنا سؤال مفاده: ما هی المشکله التی یمکن لهذه النقطه أن تحلها؟ وبعباره أخری: لو أننا سلمنا بوجود نزعه لدی الإنسان نحو العدل، إلا أننا سنختلف فی تحدید مصداق العداله، بحیث أن ما یعتبره شخص عین العدل، یراه آخر المصداق الأبرز للرذیله، ولا یمکن اعتباره فضیله أخلاقیه أبداً. وعلی هذا الأساس کیف یمکن لنا تفسیر ما یقال: إن أصل النزعه إلی المطالبه بالعدل، وغیره من الفضائل الأخلاقیه تدخل فی صمیم الفطره الإنسانیه، وإن أصل الظلم والجور وما إلی ذلک من الرذائل الأخلاقیه من الأمور التی یمقتها الإنسان بفطرته؟ فمثلاً: لماذا نجد الکثیر من الناس - علی الرغم من تشبّثهم بالمطالبه بالعداله - یرتکبون أعمالاً مناقضه لما یطالبون به، بحیث یتهم کل واحد منهم الآخر بارتکاب الظلم والجور بحقه؟ فلماذا یری البعض مساعده الفقراء والمساکین والضعفاء مصداقاً للعداله الاجتماعیه، بینما یذهب آخرون إلی القول: إن العدل یکمن فی إبادتهم وفسح المجال لزیاده ثراء الأثریاء والأقویاء؟ إنّ الإجابه عن هذا السؤال تشکل مقدّمه للدخول فی البحث عن فلسفه سعی الأدیان إلی تربیه وإصلاح وهدایه میولنا المختلفه، ومن بینها نزعتنا إلی اکتساب الفضیله.

إنّ العمل بما يتطابق والفطره الداخليه والتركيبه الوجوديه للإنسان علاوه على قابليه تبريرها فى ضوء النظام الوجودى للإنسان، يمكن تفسيرها وبيانها عقلياً أيضاً. فمن باب المثال: إذا سألنا شخصاً: لماذا تسلك سلوكاً عادلاً؟ أمكننا تبرير وتفسير سلوكنا عبر مرحلتين طوليتين. فى المرحله الأولى نعمل على إرجاع سلوكنا العادل إلى البنيه والمنظومه الخلقيه لنا، ونسعى من خلال ذلك إلى بيانها وشرحها وتفسيرها، ونعمل على التذكير بخلفيه وعلل هذا السلوك، كأن نقول مثلاً: إن مردّ ذلك إلى وجود نزعه داخليه فينا تعمل على ترجيح كفّه العدل. وفى المرحله الثانيه نستدلّ لسلوكنا المتطابق مع بنيتنا الوجوديه ونزعتنا الداخليه على المستوى العقلى، وبذلك نعتبر السلوك المذكور أمراً عقلياً(۱). بالالتفات إلى هذه الموارد نجد أن الذى لا يعمل على طبق نزعته الوجوديه والفطريه، فإن سلوكه سوف لن يكون متطابقاً مع بنيته الوجوديه وميوله الداخليه، بل لا يملك لها تبريراً عقلياً أيضاً، وكلّ مَن كان كذلك فإنه سيشكو من هاتين النقيصتين. وعليه فإن السلوك الأخلاقى يتمتع بدعامه وجوديه كما يتمتع بالدليل العقلى.

إنّ الذى يتمّ طرحه قبل كلّ شىء فى أى منظومه أخلاقيه - بما فى ذلك الأخلاق الدينيه - هو امتلاك الإدراك والمعرفه والعلم بما يتعلق بالعمل والسلوك الأخلاقى. لا شك فى أنه ليس هناك نظام أخلاقى يقرّ السلوك والعمل الذى ينطلق تحققه من خلفيه الجهل وانعدام المعرفه. فإن الأعمال التى تدخل فى دائره وعينا ومعرفتنا هى وحدها التى تحظى بدعامه أخلاقيه وتدخل ضمن منظومه القيَم، وأما السلوك غير الواعى فحيث لا يكون إرادياً

۱- (۱)) وبطبيعه الحال فإن هذا الأمر إنما يطرح على مستوى الميول الأخلاقيه دون الميول الغريزيه؛ لأننا نجد فى الكثير من الموارد أن عدم تلبيه المطالب والميول الغريزيه أكثر عقلانيه من تلبيتها.

ولا يصدر عن اختيار الفرد ووعيه، فإنه لا يقبل الانتساب إلى فاعله من الناحيه الأخلاقيه. ولذلك فإننا لا نمدح الجاهل ولا نلومه. وعلى هذا الأساس فإن الذى يكون ملاكاً ومعياراً فى إطار السلوك الأخلاقى هو العلم والإدراك، وأن العمل والسلوك إنّما يتصف بالحسن أو القبح، ويستحق فاعله المدح أو الذمّ، فى إطار الالتفات إلى هذه الحقيقه. وبالالتفات إلى هذا الأمر فإن الأفعال التى تصدر عن الفرد بسبب ميوله الباطنيه، إذا كانت مندرجه ضمن وعى الفرد وإدراكه، فإنها - حتى وإن كانت لها تبعات سلبيه - ستدخل ضمن دائره السلوك الأخلاقى. وبعباره أخرى: لو أن فرداً - من باب المثال - قام بعمل يراه مصداقاً للعدل، يكون ما صدر عنه سلوكاً أخلاقياً - مهما كان من وجهه نظر الآخرين مصداقاً للظلم - وتكون له قيمه إيجابيه. فإن الفرد العامل فى مثل هذه الحاله يكون أولاً: قد قام بما يتطابق مع ميله ونزعته الباطنيه، وكما تقدم أن ذكرنا فإن التحقق الخارجى لنزعه الفرد الداخليه، يتمتع بدعامتى العله الوجوديه والدليل العقلى. وثانياً: لقد كان الفرد من حيث تشخيص المصداق يتصوّر أن ذلك السلوك هو عين العداله، ولذلك فإنه يكون قد قام بعمل يراه منطبقاً تمام الانطباق مع ميله ونزعته الباطنيه والداخليه، وإنه من هذه الناحيه يستحق التكريم والثناء؛ لأنه لو لم يقم بذلك السلوك، يكون قد تخلّى عن عمل هو - من وجهه نظره - مصداق للعدل والفضيله الأخلاقيه، وفى هذه الصوره سيكون مرتكباً لمعصيه أخلاقيه يستحق اللوم والذمّ عليها. وعلى هذا الأساس فإن معيار وملاك العمل والسلوك الأخلاقى لا يكمن فى إنتاجيته وإثماره، وإنما تكون إنتاجيته هامّه من وجهه نظر العامل. فعندما يقوم الفرد بعمل يراه مثمراً ونافعاً يكون عمله موضع تقدير وتكريم حتى وإن لم يكن فى الحقيقه والواقع مثمراً أو نافعاً. إن ماهيه ما يترتب على السلوك من الآثار والتبعات الخارجيه ليس لها تأثير فى

أصل الفضيله الأخلاقيه. وعليه فإنما يمكن كيل المديح لشخص أو إلقاء اللوم عليه إذا قام بما يتطابق مع نزعته وميله عن وعى ومعرفه. إن الالتفات إلى هذه المسائل يساعدنا على فهم سبب هدفيه تنميه الفضيله فى سلسله الأهداف الوسيطه. وكما تقدم أن ذكرنا فإن البحث عن الفضيله إنما هو نزعه وميل باطنى، ومن هنا فإن أول مسأله يجب أخذها بنظر الاعتبار هى تنميه وتعزيز هذه النزعه الباطنيه والداخليه، وتجنب كل ما من شأنه أن يؤدى إلى تقويض هذه النزعه. إن الذى لا يتمتع بأى نزعه أو ميل للقيم الأخلاقيه يعتبر من وجهه نظر الدين شخصاً يعمل فى الحقيقه بوحى من ميوله الدنيئه التى تؤدى إلى تحقيق مصالحه الماديه وشهواته الدنيويه فحسب. وإن هذه الميول الدنيئه قد تطغى على الميول الإنسانيه الساميه، من قبيل: الوصول إلى معرفه الحقيقه، والوصول إلى الله والفضيله. من هنا فقد أكد الدين على توسيع رقعه الفضائل واكتساب الأخلاق الحسنه، بيد أن مجرّد تعزيز الميول إلى الفضائل لا يُعدّ هو الهدف؛ إذ ما أكثر الأشخاص الذين يقعون فى الأخطاء رغم ما يتمتعون به من الميول الشديده إلى الفضائل الأخلاقيه. ففى الحقيقه إن مجرّد وجود النزعه والميل القوى إلى اكتساب الفضيله لا ينهض دليلاً على تحديد الفضائل الأخلاقيه وتمييزها من الرذائل الأخلاقيه، وإن الجزء الأعظم من المشاكل الأخلاقيه على المستوى الفردى والاجتماعى يعود إلى التشخيص غير الصائب للفضائل الأخلاقيه، وليس عدم الاهتمام بها. فما أكثر الأفراد الذين يرتكبون الأخطاء بسبب جهلهم، ولكنهم يعتبرونها صحيحه ومتطابقه مع القيم الأخلاقيه، ويقومون بها بكل تفانٍ وإخلاص. إن الله - وبسبب إحاطته بجميع أنحاء وجود الإنسان ومعرفه خيره وصلاحه - يضع تحت تصرفه الطرق والأساليب التى تساعده فى الحصول على الفضائل الأخلاقيه التى تضمن سعادته، وتقدّم له العون فى بلوغ الهدف النهائى المتمثل بالقرب من الله

سبحانه وتعالى. وأن مكارم الأخلاق من الأهميه بحيث اعتبرت أحد أهم أهداف البعثه النبويّه وغاياتها، وذلك إذ رُوىَ عن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه و آله) أنه قال: (إنّما بُعِثتَ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ)(۱). كما ذكر القرآن الكريم أخلاق النبىّ الحسنه بوصفها من أهم السجايا والخصال التى يتصف بها، وذلك إذ يقول الله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ .(۲)

۴. تنميه النزعه والميل إلى الخلود

إنّ التفكير فى أنواع الميول الباطنيه للإنسان، وبخاصهٍ النزعه إلى البحث عن الحقيقه، ووجود الله، والتحلّى بالفضيله، يستدعى هذا التساؤل القائل: كيف يمكن للإنسان الفانى أن يدرك مفهوم الخلود والميل إلى الأمور الأبديه؟ وما هو العامل الكامن فى وجود الإنسان، والذى يجعله على استعداد لتقبّل هذه الأمور والنزوع إليها؟

إنّ البحث بشأن النزعه والميل إلى خلود الروح متفرّع على البحث عن خلودها، بمعنى أن الروح يجب أن تكون خالده ليحصل لدى الإنسان مثل هذه النزعه وهذا الميل. إلا أن الذى نروم بحثه هنا هو النزعه إلى خلود الروح وليس أصل خلودها.

ومع افتراض القبول بوجود نزعه لدى الإنسان وميل إلى الأمور الخالده والحقائق الأبديه (من قبيل: الله)، يقضى على جميع احتمالات عدم خلوده. فلو كان الإنسان مخلوقاً فانياً، فلن تكون فى وجوده وكيانه أىّ نزعه إلى البقاء، بل سيفتقر حتى إلى النزوع والميل إلى الأمور الخالده من قبيل: الحقيقه والخالق والفضيله أيضاً. وهكذا الأمر إذا كان الإنسان مخلوقاً خالداً

۱- (۱)) سفينه البحار، المحدث القمى: ۴۱۰/۱.

۲- (۲)) القلم: ۴.

وأبـدياً، ولكنه لا يمتلك نزعه أو ميلاً إلى الخلود، فإنه لن يبـدى أى ميل تجاه الأمور الأبـديه. لم يكن لـدى الإنسان فى أى من الأـمور الآـنفه ميلاًـ أو نزعه إلى الخلود ليكون بصـدد الحصول على العوامـل التى تلبى حاجاته. ومن هنا حيث نشاهـد الكثير من الأـدله والعلامـات على وجود هـذه النزعه إلى الأـمور الأبـديه وبأنحـاء مختلفه من وجود الإنسـان، يثبت وجود الميل إلى الخلود والاتصال بالأبديه فى وجوده. إن نزعته المطلقه إلى معرفه الحقيقه وإثبات وجود الله، والقيام بصالح الأعمال والأفعال الحسنه من أبرز الأدله على وجود هذه النزعه لدى الإنسان.

كمـا أنّ من جمله الأـدله والعلامات على وجود النزعه والميل إلى الخلود لـدى الإنسان، هو ذهابه إلى تصور الخلود بالنسـبه إلى بعض الأـمور الفانيه. إذ نراه يسـعى إلى الحصول على بعض الأمور وكأنها خالـده ولا تطالها يـد التغيير والحـدثان. وحتى تهالك الإنسان على اكتساب الثروه والقدره والتأثير والنفوذ الاجتماعى وما إلى ذلك من الأمور التى لا تعرف الوقوف عند حد - فمهما بلغ الإنسان من الحصول على المكانه الاجتماعيه المؤثره والثراء الطائل نجـده يطلب المزيد - يدل بشـكل غير مباشـر على وجود هذه النزعه والميل الباطنى إلى الخلود والبقاء وعدم الفناء.

بالالتفات إلى ما تقدّم فإنّ مرادنا من تنميه النزعه إلى الخلود لدى الإنسان - بوصفه هدفاً وسيطاً - أحد أمرين، وهما:

١. إن النزعه إلى الأبـديه لـدى الإنسان - من وجهه نظر الدين - لا ينبغى أن تنحدر بسـبب الميول والرغبات المرحليه والآنيه إلى الضـعف والخمول. إن إحياء وتجديد هذه النزعه الداخليه والباطنيه تمهّد الأرضيه المناسبه لطيّ المراحل الأخرى. أما الذى يعتبر نفسه كائناً فانياً، ويحصر وجوده بهذه الحياه الدنيا، فلن يبدى أى ميل أو رغبه نحو القيَم الأبديه والخالده، وحيث إن

تصوّره عن نفسه يقترن بنوع من الفناء والخواء، فإن هـدايته إلى الأمور الخالـده والقيَم الثابته فى غايه الصـعوبه والتعقيـد. وبطبيعه الحال فإن تزعزع ميل الإنسان ورغبته فى الخلود ناشئ عن رؤيته السلبيه إلى نفسه وحياته الأبديه والخالده، وحيث إن هذه النزعه مسأله ذاتيه ولا يمكن إلغاؤها، فإنها تتجلّى بشكل آخر فى أطر الميول الدنيويه.

٢. إن الـدور الآخر الـذى يلعبه الـدين فى تنميه الميل والنزعه إلى الخلود عند الإنسان، يكمن فى هدايته إلى هذه القوّه والقابليه. فما أكثر الـذين عمدوا إلى إهدار هذه القابليه والطاقه من خلال توظيفها فى الأمور المحدوده والمرحليه. وإن التهافت والتهالك على هـذا التضاد فى النزعه والميل الباطنى تجاه المتعلق الخارجى، يعـد من وجهه نظر الـدين سـبباً فى ضـلال الإنسان، فإن الدنيا ومظاهرهـا المتمثله بالأمور الاعتباريه من قبيل: الثروه والجاه وما إلى ذلك من الأمور، تعـدّ بأجمعها من الموارد التى تتعارض مع حمل مفهوم الأبديه والخلود. وفى ذلك قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ١ .

- وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ٢ .

- ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللّهِ باقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ٣ .

إنّ الجاذبيه الكامنه فى نزوع الإنسان وميله إلى الخلود، من القوّه بحيث لا يسـعها التعلّق بالأمور المحدوده والمرحليه التافهه، وإذا لم يُراع التناسب بين هاتين المسألتين، وتمّ هدر طاقه الإنسان وقدرته - الناشئه عن وجود هذه

النزعه لـديه – فى هـذه الأـمور المحـدوده والتافهه، فإنها سـتخلّف مشاكل روحيه ونفسـيه ومعضـلات اجتماعيه جمّه. فمن جهه، حيث تكون الطـاقه الاستيعـابيه للإنسـان أكبر من متعلقهـا المتمثـل بالـدنيا وجميع الأمور الاعتباريه، فلا يقنع بكل ما يحصل عليه منهـا، فـإنه سوف يُصـاب بسـبب ذلـك بالإحباط والقلق وما إلى ذلك من مختلف أنواع الأمراض الروحيه والنفسـيه، ومن ناحيه أخرى، فإن محـدوديه الهـدف ومتعلق الميل والنزعه، والرغبه الجامحه والمطلقه وغير المحـدوده لـدى الإنسان يؤدى بـدوره إلى التضـاد الاجتمـاعى. وإن من جمله منافـذ الشـيطان لحرف الإنسـان عن الصـراط المسـتقيم هو العمـل على توظيف رغباته وميوله اللامحدوده فى سـلوك الطرق غير الصـحيحه. إن خلق حاله من الربط غير المتناغم بين النزعه الإنسانيه إلى المطلق، وبين متعلقها الدنيوى المحدود يؤدى إلى ضلال الفرد وانحرافه عن جادّه الصواب، وخضوعه إلى الشيطان وتسليم القياد له. قال الله تعالى:

– فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى ١ .

– فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ ٢ .

وأنّ الـذى يمكن له أن ينجيه هو مراعـاه التنـاسب بين نزعته وميله إلى الأبـديه والخلود، وبين متعلق هـذه النزعه، فإن التناغم بين هـذين الأـمرين هو وحـده الـذى يضـمن السـعاده لبنى البشـر. وإن منطق القرآن الكريم يقول: إن كـل ما يعود إلى الله وينشأ عنه يتصف بالبقـاء والخلود، ولـذلك فـإن الخلاـص من حبائـل الشـيطان رهن بالتمسـك بهـذه الأـمور. وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- كُلَّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ١ .

- وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ٢ .

إنّ هدايه النزعه إلى الله وسائر مظاهره المتمثله بالحقائق والفضائل وأنواع الجمال والخير وما إلى ذلك فى ضوء التعاليم الدينيه والنظام التربوى، تشكل سبباً فى هدايتنا وتكاملنا فى مسير القرب من الله سبحانه وتعالى.

۵. تنميه النزعه إلى اكتساب الكمال

يرغب كلّ إنسان بالتقدّم بطريقه ما، وأنّ ينتقل من واقعه الراهن إلى واقع أفضل. فإنّ النزعه إلى الانتقال من المرحله السفلى إلى المرحله العليا ضاربه بجذورها فى الطبيعه الإنسانيه الفطريه. وأنّ صراع الإنسان فى الحياه من أجل تغيير واقعه فى مختلف شؤون الحياه، يأتى فى سياق تلبيته لميوله الباطنيه المتحفّزه لإحداث التغيير فى الحياه. وعلى الرغم من أن كل تحوّل أو تغيير لا يؤدّى بالضروره إلى التكامل والتقدّم نحو الأفضل، إلّا أنّ الذى يدعو إلى الحركه على كل حال هو الحافز الكامن لدى الإنسان فى الوصول إلى الوضع الأفضل، ويمكن لنا أن نقول بكل ثقه: لو لم تكن النزعه إلى الكمال والميل إلى التقدم والحصول على الواقع الأفضل قائماً بوصفه أساساً للحركه، لما شهدنا أىّ نشاط تكاملى على مستوى الحياه أبداً.

الدافع والحافز... الحركه والنشاط... الحصول على الوضع المنشود

إنّ دور الحافز ليس مجرّد دور بدائى بحيث يقتصر تأثيره فى المرحله الأولى وقبل القيام بالحركه، بل إن تأثيره يمتد حتى بلوغ النتيجه المنشوده.

إن تحليل الدافع بوصفه العامل الرئيس فى استمرار الحركه، يتجه بنا إلى عاملين وهما: عامل الرغبه والميل (الميل إلى الكمال)، وعامل المعرفه (تطبيق النزعه إلى الكمال على مصداق معيّن). وإن هذين العاملين والعنصرين مترابطان ويعملان على توفير الطاقه الضروريه للتحرك والانطلاق باتجاه الهدف المنشود والمطلوب.

وإن الحركه تتوقف فى حالتين، وهما:

١. عندما يصل الإنسان إلى نتيجه مفادها أنّ الهدف الذى ينشده لم يعد موصلًا إلى الكمال، وعليه لا تعود هناك من حاجةَ إلى السعى من أجل بلوغ ذلك الهدف.

٢. عندما يتمّ الوصول إلى النتيجه المطلوبه والغايه النهائيه.

إنّ نزوع الإنسان إلى الكمال لا يتوقف عند تحقيق نتيجه واحده؛ لأن العامل الرئيس فى خلق الحافز لن يتلاشى على الاطلاق، وأنّ جميع الحركات والأنشطه واختيارات الانسان معلوله لنزعته وميله إلى الكمال.

وأنّ المراد مما يقال: إن أحد الأهداف الوسيطه لتنميه النزعه إلى الكمال لدى الإنسان، ناظر إلى عامل النزعه والميل، والعامل المعرفى الكامن فى الدافع. يقوم المسار التربوى فى الدين على محور تعزيز عامل الميل والنزعه إلى الكمال، وإن الانسان إنما يتمكن من بلوغ القرب من الله إذا سعى إلى بسط كماله الوجودى. وحتى الميول الأخرى من قبيل: معرفه الحقيقه، والبحث عن الله، والفضيله، إنما يمكن تبريرها وتفسيرها بالاستناد إلى هذا الميل والنزعه، ولو لم تكن النزعه والميل إلى الكمال موجوداً لدى الإنسان، لما كان هناك من معنى للنزوع إلى معرفه الحقائق والفضائل والخالق الذى هو مصدر جميع الكمالات.

إنّ الهدايه الدينيه ناظره إلى العامل المعرفى الكامن فى الحافز والدافع،

والـذی یساعـدنا فی انتخـاب واختیـار الکمالاـت. إن دور الـدین فی هـدایه وتوجیه نزعه الإنسان إلی الکمال یؤدی به إلی عـدم تضـییع طـاقته الـداخلیه فی الأـمور الـدنیئه والفـانیه. وإن کمالاـت من قبیل: العلم والمعرفه، والفضائل الأخلاقیه، ومعرفه الحقیقه، والبحث عن الله، هی من الموارد التی یؤکّد الدین علی ضـروره تحصیلها واکتسابها. وإن مظاهر الدنیا تعتبر من وجهه نظر القرآن وسـیله للاـنحراف عن مسـیره الکمـال، وإنهـا تؤدی إلی الضـلال والضـیاع، وبعکس ذلـک فإن کلّ ما یتصل بالبعـد الأبـدی من الإنسـان أو الله، یُعـدّ من مظـاهر التقرّب من الله سـبحانه وتعـالی، من قبیـل: التقـوی والصـبر والتوبه والصـیام والصـلاه، وکـذلک الأعمال الاجتماعیه الصالحه من قبیل: الصـلح بین الخصوم والتصدّق ومساعده الفقراء والمساکین، وکفاله الأیتام، ورعایه حقوق الآخرین. وهناک الکثیر من الآیات القرآنیه الکریمه التی رصدت هذه الموارد، وإلیک عرض لهذه الآیات علی النحو الآتی:

- زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَ أُنَبِّئُکُمْ بِخَیْرٍ مِنْ ذلِکُمْ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ .(۱)

- قُلْ مَتاعُ الدُّنْیا قَلِیلٌ وَ الْآخِرَهُ خَیْرٌ لِمَنِ اتَّقی .(۲)

- وَ رَحْمَتُ رَبِّکَ خَیْرٌ مِمّا یَجْمَعُونَ .(۳)

- اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ الْباقِیاتُ الصّالِحاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَیْرٌ أَمَلًا .(۴)

۱- (۱)) آل عمران: ۱۴-۱۵.

۲- (۲)) النساء: ۷۷.

۳- (۳)) الزخرف: ۳۲.

۴- (۴)) الکهف: ۴۶.

- وَ مَا الْحَياهُ الدُّنْيا إِلاّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدّارُ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ .(۱)

- بَقِيَّتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ .(۲)

- وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ .(۳)

- يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ .(۴)

- وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .(۵)

- وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرِينَ * وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاّ بِاللّهِ .(۶)

- فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ .(۷)

- وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .(۸)

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .(۹)

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .(۱۰)

- وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ .(۱۱)

۱- (۱)) الأنعام: ۳۲.

۲- (۲)) هود: ۸۶.

۳- (۳)) البقره: ۱۹۷.

۴- (۴)) الأعراف: ۲۶.

۵- (۵)) النساء: ۲۵.

۶- (۶)) النحل: ۱۲۶-۱۲۷.

۷- (۷)) التوبه: ۳.

۸- (۸)) البقره: ۱۸۴.

۹- (۹)) الجمعه: ۹.

۱۰- (۱۰)) الحج: ۷۷.

۱۱- (۱۱)) النساء: ۱۲۸.

- وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ .(۱)

- وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَهٍ فَنَظِرَهٌ إِلى مَيْسَرَهٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .(۲)

- وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ .(۳)

- وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا .(۴)

إن جعل الله هو المحور فی المنطق القرآنی، وجعله هو القبله والغایه فی مسیره الحیاه یشتمل علی جمیع هذه الکمالات، وإن کل واحـد من هـذه الأمور تعتبر مظهراً ونموذجاً لها. وإن سرّ نجاحنا یکمن فی قربنا من الله. قال الله سـبحانه وتعالی فی محکم کتابه الکریم:

- وَ اللّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى .(۵)

- إِنَّما عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .(۶)

- لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ .(۷)

- قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ۸ .

۶. تنمیه النزعه إلی الحیاه الاجتماعیه

إنّ لمنشـأ نزوع وميل الإنسان إلى إقامه الارتباط مع الآخرين - أياً كان نوعه - ظهوراً واسـعاً. فإننا لو استعرضـنا المظاهر الواسـعه لارتباط الناس ببعضهم

۱- (۱)) آل عمران: ۱۸۰.

۲- (۲)) البقره: ۲۸۰.

۳- (۳)) البقره: ۲۲۰.

۴- (۴)) الإسراء: ۳۵.

۵- (۵)) طه: ۷۳.

۶- (۶)) النحل: ۹۵.

۷- (۷)) آل عمران: ۱۹۸.

منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، سندرك أن هناك نوعاً من الميل والنزعه لدى الإنسان باتجاه توثيق الأواصر الاجتماعيه والعلاقات فيما بينه وبين أخيه الإنسان. وأما منشأ ومصدر هذه النزعه، وما إذا كان متمثلاً بالفطره أو الغريزه أو الحاجه الفرديه، فهو موضوع آخر(۱). وعلى كلّ حال، فإن اختلاف الرأى

۱- (۱)) هناك فى هذا المجال ثلاث نظريات رئيسه، وهى:۱. إن الإنسان كائن اجتماعى بطبعه، وإن النزعه الاجتماعيه كامنه فى وجوده. يقول أرسطو رائد هذه النظريه: إن صفه التكلم التى يتمتع بها الإنسان ويمتاز بها من غيره من المخلوقات تحكى عن طبعه الاجتماعى، (تاريخ فلسفه ايران وروما، كابلستون، فريدريك، ترجمه: إلى: جلال الدين مجتبوى: ۴۰۱). كما يذهب مسكويه إلى الاعتقاد بأن الإنسان يميل بطبعه إلى الأنس بالآخرين، (وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مسكويه: ۱۱۸). وهكذا يذهب ألفرد إدلر - عالم النفس الشهير - إلى الاعتقاد بوجود نزعه فطريه بين الأفراد إلى الارتباط بالآخرين، وتظهر هذه النزعه فى أول أمرها على العلاقه بين الأم ووليدها، ثمّ تتسع شيئاً فشيئاً لتصل إلى تأسيس الجماعات والعلاقات الاجتماعيه المعقده (الدافع والحافز، موری، إدوارد جی، ترجمه: محمد نقى براهنى: ۱۱۶).۲. ذهب بعض الفلاسفه وعلماء النفس إلى القول: إن ضروره العيش وحاجه الفرد إلى الآخرين هى التى فرضت عليه اختيار الحياه الاجتماعيه. قال الفارابى: إن الإنسان من الأصناف التى لا يمكنها تلبيه ضرورات الحياه والوصول إلى أفضل الأوضاع الروحيه إلا من خلال بناء المجتمع، (سياسه المدينه، الفارابى: ۶۹). وقال العلامه الطباطبائى فى هذا الشأن: «إن معنى ما يقال من أنّ الإنسان مدنى بالطبع هو أن ضرورات الحياه هى التى تقوده إلى الحياه الاجتماعيه؛ لأنّه لا يستطيع وحده القيام بتلبيه هذه الضرورات»، (تفسير الميزان: ۱۲۱/۲).۳. هناك من المفكرين الآخرين من يرى أن الميول الاجتماعيه مشتقه من الميول الأخرى مثل: صيانه الذات أو طلب الكمال. قال نصير الدين الطوسى فى الأخلاق الناصريه: «إن النزعه الاجتماعيه ناشئه عن النزعه إلى تحصيل الكمال الفطرى».أما القرآن الكريم، فقد أشار إلى وجود هذه النزعه فى الإنسان، دون التطرّق إلى منشئها ومصدرها، وذلك إذ يقول تعالى:يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات/ ۱۳).وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كانَ رَبُّكَ قَدِيراً (الفرقان/ ۵۴).

فی هـذه المسـأله لاـ یحول دون بحثنـا من أجـل التعرّف علی حقیقه هـذه النزعه الکامنه فی وجود الإنسان، والعمل علی تعزیزها وهدایتها. إن أیّ واحد من الآراء المطروحه فی هذا الشأن، لا یعنی إلغاء ونفی أصل النزعه المذکوره؛

لأـن کـل واحـد منهـا یؤمن بوجود أصـل النزعه إلی الحیـاه الاجتماعیه، وإن الفارق الوحیـد یکمن فی مصـدرها ومنشأ ظهورها. وعلی هـذا الأسـاس، فحتی لو سـلّمنا إنکـار أن یکون لهـذه النزعه جـذور فطریه وداخلیه، وقلنـا: أن المنشـأ لها هو مجرّد الحاجه الخارجیه للإنسان، فإن هذا لا یغیّر فی أصل المسأله. وإن اهتمام الکثیر من النصوص الدینیه بهذه الناحیه من وجود الإنسان یثبت أهمیه العلاقـات الاجتمـاعیه وتعاطی الأفراد فیما بینهم. ولو عمـدنا إلی تقسـیم نشاط الإنسان إلی قسـمین، وهما: النشاط الفردی، والنشـاط الاجتمـاعی، سـنجد النشاط الاجتماعی والعلاقات بین مختلف الأفراد یحتَلُّ المساحه الأکبر من مساحه النشاط الفردی. فـإن مختلف المؤسـسات الاجتماعیه المتنوعه من قبیل: الأسـره والمـدرسه والجامعه وغیرها تترک تأثیراً کبیراً علی الحیاه الفردیه وتلقی بظلهـا علی خیـارات الانسـان الشخصـیه. بحیث یمکن القول: إن الکثیر من النـاس یقومون باتخـاذ القرار بتـأثیر من عقـائد الآـخرین والثقـافه الاجتمـاعیه التی یعاصـرونها. لقـد اعتُبر الانفصـال عن المجتمع والاسـتغناء عن خـدمات الآـخرین - علی طول التاریـخ - أمراً مسـتحیلاً. إن الإنسان من أجل رفع حاجاته - سواء فی ذلک الحاجات المعاشـیه أو الغریزیه أو الروحیه - مضـطر إلی الانتسـاب لعضویه مختلف فئـات المجتمع، وعلی الرغم من ملاحظه بعض مظاهر الانفصال المؤقته والمرحلیه أحیاناً، بیـد أن الانقطـاع الکامـل والتام لا هو بالممکن ولا هو بالأمر المطلوب والمنشود. وإن تعزیز الکثیر من طاقات وقابلیات الإنسان من قبیل: اللغه والتفکیر والعواطف والمشاعر، رهین بالعلاقات والروابط الاجتماعیه. إنّ تجنب العیش فی نطاق المجتمع یؤدی

إلی عقم فی بعض الطاقات وضعف ونقصان فی بعضها الآخر. فمن باب المثال: إن کبح التقدم الطبیعی فی مجال تعلیم اللغه، یؤدی بدوره إلی خفض المستوی الفکری والذهنی. وهذا الأمر یصدق بالنسبه إلی المشاعر والعواطف وحتی الأعمال الظاهریه للفرد أیضاً. وفی الإسلام تحظی مسأله تکوین شخصیه الإنسان فی إطار الحیاه الاجتماعیه بأهمیه خاصه. إن موقف الإسلام بالنسبه إلی الحیاه الاجتماعیه للإنسان قد ترک تأثیره حتی علی الکثیر من الأعمال العبادیه، وقد أکّد کثیراً علی الأمور العبادیه التی تقام بشکل جماعی. ومن هنا عندما تُطرح مسأله تنمیه النزوع والمیل إلی الحیاه الاجتماعیه من وجهه نظر الدین، یکون ناظراً إلی تقویته وتعزیزه، وناظراً أیضاً إلی توجیهه وهدایته. والمراد من التقویه والتعزیز هو تنمیه هذه الناحیه من وجود الإنسان بحیث یتمّ من خلالها القضاء علی النزعه الفردیه، والتشجیع علی المشارکه فی الأنشطه الاجتماعیه مع الآخرین. وفی الحقیقه لو آل هذا النوع من المیول إلی الأفول، فإننا سنکون وجهاً لوجه أمام الکثیر من المیول والرغبات المختلفه التی یشکل کل واحد منها عقبه کأداء أمام التقدّم. والمسأله الأخری هی أنه لولا التعاون الجماعی لما قامت حضاره علی الأرض أبداً. وفی ذلک روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال:

إنّهُ لا بُدَّ لَکُم مِنَ الناسِ، إنَّ أَحَداً لا یَستَغنی عَنِ الناسِ فی حَیاتِهِ، وَالناسُ لا بُدَّ لِبَعضِهِم مِن بَعضٍ.(۱)

إن النتائج والمعطیات العلمیه والثقافیه العظیمه رهینه بالتعاون الفکری والمشارکه الجماعیه، فقد روی عن النبیّ الأکرم (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

المُؤمنُ یَألَفُ وَیُؤلَفُ، وَلا خَیرَ فیمَن لا یَألَفُ ولا یُؤلَفُ.(۲)

۱- (۱)) وسائل الشیعه: ۳۹۹/۸.

۲- (۲)) کنز العمال: ۱۴۲/۱.

إن المعطيات التربويه الحاصله من العلاقات الاجتماعيه عباره عن:

أ) إزدهار الطاقات والقابليات الفرديه: لقد سلَّح الله سبحانه وتعالى الإنسان وجهّزه بمختلف الطاقات والإمكانات، بحيث إن كلّ فرد يتمتع بسلسله من القابليات والكفاءات الخاصه، وليس الأمر بحيث إن عامه الأفراد يتمتعون بكامل الإمكانات التى تُمكِّنهم من الحياه ورفع الحاجات بشكل منفرد عن الآخرين. إنّ تلاحم جميع أفراد البشر واتحادهم لا يؤدى إلى تلبيه جميع حاجات الناس المتنوّعه فحسب، بل إن ذلك سيعد الأرضيه لازدهار وتطوّر قابلياتهم وكفاءاتهم أيضاً. بحيث يمكن القول: إنّ المعطيات العلميه والصناعيه والثقافيه للإنسان مدينه لقبول الأفراد بالعيش فى إطار المجتمع، ولولا ذلك لما توصلنا اليوم إلى مثل هذه الحضارات والثروات الراهنه.

ب) التحرر من محوريه الذات وتنميه روح التعاون والإخاء: إن تعزيز وتقويه تنميه النزعه والميل إلى الحياه الاجتماعيه يساعد على تقريب الإنسان من سائر إخوته فى الإنسانيه، والابتعاد عن متطلباته ورغباته الشخصيه والأنانيه. إن احترام كفاءات الآخرين ورعايه حقوقهم، يجعل من استثمار طاقاتهم أمراً ميسوراً، ويمهّد الأرضيه لاستعراض المهارات الفرديه، ويشجع على الابداع والابتكار. وعلاوه على ذلك، كلما كان الارتباط الإجتماعى وثيقاً، كان النزاع بين الناس قليلاً ومن هنا ينخفض احتمال الحروب، وتحلّ الألفه والرحمه محلّ البغضاء والتشاحن والفرقه. وفى ذلك قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ١ . لقد أكّد الإسلام على التواجد فى الساحه الاجتماعيه بحيث اعتبر

عبادات من قبيل: الصلاه - التى هى عمود الدين ومن أبرز الأعمال العباديه والاتصال بين الله والإنسان - إنما تحصل على صورتها الأكمل إذا أقيمت بشكل جماعى، ومن هنا فإن صلاه الجمعه والجماعه تعدّ من أهم الشعائر الإسلاميه.

إن ثبات واستحكام العلاقات والروابط المتبادله بين الناس إنما يُكتَب لها الدوام إذا اتّسمت بالكيفيه المقبوله. فإن علاقه الناس ببعضهم لا تُبنى على أساس الغرائز كما هو شأن سائر الحيوانات. فالحيوانات تَبنى علاقاتها ببعضها على أساس من غرائزها، وأما خارج حدود هذه الغرائز فلا يوجد أى مفهوم أو معنى لهذه العلاقات. وأما بالنسبه إلى الإنسان فإن حدود العلاقات تتخطى النزعه الغريزيه، حيث هناك عنصر آخر يلعب دوراً كبيراً فى توثيق وتعزيز واستمرار العلاقات والروابط بين أفراد البشريه، فإذا حذفنا هذا العضر من دائره العلاقات الاجتماعيه، فإن الجو السائد فى هذه العلاقات سيؤول نحو البرود والضعف، وسوف تقتصر العلاقات والروابط على الأمور الغريزيه والمعيشيه فقط. وليست هذه العوامل سوى نزعه الانسان إلى ترجيح كفّه الحياه الاجتماعيه. وفى الحقيقه فإن هذا العنصر أوالعامل يؤدى إلى توثيق العلاقات واستمرارها. وحيث توسعت واشتدّت أبعاد هذا العامل الداخلى بحيث يعتبر الفرد الآخرين بمنزله نفسه، فيحبّ لهم ما يحبّ لها، فإن استمرارها وبقاءها سيكون أكثر استقراراً وثباتاً. وإن الإيثار والتضحيه من الأمثله البارزه والكامله على تقويه وتعزيز هذا البعد فى كيان الإنسان. إن الألفه والعلاقه بين المؤمنين رهينه بالابتعاد عن المنّ والأذى والأنا، وإن محور هذه الألفه والأخوّه هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى. فإن العنصر الذى يُجنّب الانسان الأنا والنفعيه، ويعزز لديه النزعه إلى الحفاظ على مصالح المجتمع العامه وترجيح كفتها على مصلحته الشخصيه هو الإيمان بالله الذى يحثّه على الاهتمام بهدف واحد والتوجه إلى نقطه واحده محدّده. قال الله

تعالى فى محكم كتابه: هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ١ . وعليه فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو وحده الذى يضمن التأليف بين القلوب، وهدايتها إلى التوجه نحو الهدف والغايه الوحيده المتمثله بالله تبارك وتعالى. فلو حلّت الثروه والجاه والمناصب وسائر المظاهر الدنيويه الأخرى محل الله تعالى، وصار كل شخص يسعى الضمان منفعته الخاصه، فلا محاله من وقوع التعارض بين مختلف المصالح، وعندها سوف تستعر نار الفرقه والخلاف فى المجتمع. وفى ذلك روى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال:

إِتّقوا اللَه وَكونوا إخوَةً بَررَةً، مُتحابّينَ فى اللهِ، مُتَواصِلينَ مُتَراحِمينَ، تَزاوَروا وَتَلاقُوا وتَذَاكَروا أَمرَنا وأَحيوهُ).(١)

وعلى الرغم من تأكيد الإسلام على توسيع وتعزيز روح التعاون، إلّا أنّه ليس كل تعاون ينتهى بالضروره إلى تحقيق الأهداف المتعاليه، وعليه ليس هناك من شك فى أنّ التعاون فى إطار تحقيق الأهداف والغايات الخبيثه، لا يمكن أن تندرج فى إطار خدمه الإنسانيه والعمل لصالحها. قال الله سبحانه وتعالى: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ٣ .

وعليه فبالالتفات إلى هذين العنصرين اللذين تمّ التأكيد عليهما من قبل الدين، وهما:

١. السعى إلى إيجاد الألفه والتراحم بين المؤمنين وتعزيز روح الأخوه بين الناس.

١- (٢)) الشيخ الكلينى، أصول الكافى: ١۴٠/٢.

۲ – السعی إلی توجیه وهدایه التعاون نحو الهدف المتعالی.

یمکننا بعد ذلک أن نعمل علی تحدید أسلوب إقامه الارتباط والعلاقات مع الآخرین. وإن الملاک والمعیار فی تحدید سیاسه العلاقات والروابط فی المجتمع الدینی لا یتجاوز شیئاً واحداً، ألا وهو القرب من الله سبحانه وتعالی. وفی النظره الأولی یقوم التصوّر علی إمکان التقرّب من الله علی نحوین، وهما: الطریقه الفردیه، والطریقه الجماعیه. أما الشِقُّ الأول – أی الحرکه الفردیه – فهو منبوذ ومرفوض؛ وذلک لأن التکالیف الدینیه أثقل وأشد من أن یتمکن الفرد لوحده من القیام بها علی النحو المطلوب. وأما الشِقُّ الثانی – أی الحرکه الجماعیه نحو الهدف المنشود – فإنه یؤدی بنا إلی المسیر علی جادّه القرب من الله، ویُعدّ الأرضیه لکمالنا. یمکن لنا – من جمیع النصوص الدینیه الوارده فی هذا الباب – التوصل إلی الدور الفرید والفذ الذی تلعبه الأنشطه الجماعیه من أجل الوصول إلی الأهداف المتعالیه. إن النظام التربوی الدینی یؤکد علی بناء الألفه والتعاون الهادف، ویساعدنا علی اختیار الجلیس الصالح. فإن الدقه فی اختیار الخَدِین الذی یمکنه مواکبتنا فی مسیر القرب من الله یعدّ فی غایه الأهمیه من وجهه نظر الدین.

لقد تم إطلاق کلمه (الإخوه) فی القرآن الکریم علی صنفین من الناس، وهما: الصنف الذی تربطه رابطه الأخوّه النسبیّه، والصنف الذی تربطه رابطه الأخوّه الأنسانیه، ولکنه مع ذلک یتمتع برابطه وثیقه تجعل العلاقه القائمه بین أعضائها قویه ولصیقه جداً. وقد أطلق القرآن الکریم علی هذا العامل عنوان (الإیمان)، مؤکداً علی ضروره عنصر التآخی والموده بین المؤمنین، وذلک إذ یقول الله سبحانه وتعالی: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ فَأَصْلِحُوا بَیْنَ أَخَوَیْکُمْ وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ۱ ، ویقول تعالی أیضاً: فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ

فَإِخْوانُكَمْ فِی الدِّینِ۱ . وقد تمّ بیان أهمیه المیل والنزعه القلبیه إلی مواکبه الراکعین والصادقین والعابدین والمجاهدین والمهاجرین والشاهدین والدخول فی الواحه الأبدیه ومجاوره الأبرار، والبدء بالحیاه الخالده مع الصالحین، فی القرآن الکریم بشکل بلیغ للغایه، وذلک إذ یقول الله سبحانه وتعالی فی محکم کتابه الکریم:

- وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّکاهَ وَ ارْکَعُوا مَعَ الرّاکِعِینَ۲ .

- یا مَرْیَمُ اقْنُتِی لِرَبِّکِ وَ اسْجُدِی وَ ارْکَعِی مَعَ الرّاکِعِینَ۳ .

- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ کُونُوا مَعَ الصّادِقِینَ۴ .

- وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ تُرِیدُ زِینَهَ الْحَیاهِ الدُّنْیا۵ .

- وَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَکُمْ فَأُولئِکَ مِنْکُمْ۶ .

- رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاکْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِینَ۷ .

- رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِیاً یُنادِی لِلْإِیمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّکُمْ فَآمَنّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ کَفِّرْ عَنّا سَیِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ۸ .

- رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّالِحِینَ۹ .

من هنا فإن الشرط الرئيس فی اختيار الخَدِين والجليس هو قياس مقدار تعهده ووفائه للهدف الغائی المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالی. وقد رُوی عن النبیّ الأكرم (صلی الله علیه و آله) أنه سُئل: من هو الجليس الصالح؟ فقال: (مَن يُذَكِّرُكُمُ اللهَ بِرُؤيَتِهِ، وَيَزيدُ فی عَمَلِكُم مَنطِقُهُ، وَيُرَغِّبُكُم فی الآخِرَهِ عَمَلُهُ)(۱). كما أن تأكيد القرآن الكريم علی تجنّب مصاحبه الظالمين والكافرين والمنافقين يثبت أهميه الشخصيه الأخلاقيه والروحيه للانسان الذی نختاره بوصفه جليساً وصديقاً، قال تعالی فی محكم كتابه الكريم:

- وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ ۲ .

- وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِی آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّی يَخُوضُوا فِی حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْری مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ ۳ .

- وَ نادی نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِی مَعْزِلٍ يا بُنَیَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ ۴ .

- وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِی الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّی يَخُوضُوا فِی حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِی جَهَنَّمَ جَمِيعاً ۵ .

۷. تنميه النزعه والميل إلی الدفاع

إنّ من بين الميول التی يمتاز بها الإنسان، سعيه إلی الحفاظ علی إنجازاته الشخصيه والاجتماعيه والدفاع عن تلك الإنجازات. وأما البحث فيما إذا كان منشأ هذا الدفاع والحفاظ علی هذه الإنجازات فطرياً أم غريزياً أم له مناشئ

۱- (۱)) الحر العاملی، وسائل الشيعه: ۴۱۲/۸.

أخرى، فهى مسأله أخرى. فإن ما هو المهم هنا بالنسبه لنا هو تأثير هذه النزعه والميل فى مختلف الأبعاد الفرديه والاجتماعيه. يسعى كل شخص - ما أمكنه - إلى القيام بردود فعل تجاه السدود والموانع بغيه الدفاع عن نفسه والتغلب على الموانع. ذلك أن التقاعس عن مواجهه هذه الموانع سوف يستتبع الندم وعذاب الضمير، فى حين أن النجاح فى التغلّب عليها سيؤدى إلى الرضا والسعاده. لا يمكن إنكار الدور الخاص الذى تلعبه الأنشطه الدفاعيه فى ضمان الأمن وخلق الأرضيه والظروف المناسبه من أجل الوصول إلى الكمال فى سائر المجالات والحقول الأخرى. فلو أنه تمّ إلغاء عناصر الدفاع والوقوف بوجه الهجمات الخارجيه من حياه الإنسان، فإن ذلك سيؤدى إلى زعزعه الأوضاع الآمنه، ولن تكون هناك إمكانيه لممارسه الأنشطه الفرديه والاجتماعيه، وإن الأمل بالغد والمستقبل المشرق بالنسبه إلى مختلف المجالات، سيتحول إلى إحباط ويأس وانعدام للأمل. إن التخلّص والتحرر من القوى المهاجمه والعناصر التى تهدد وجود الانسان الذى يطمح إلى الكمال والقرب من الله، أمر لا يمكن اجتنابه. إن تاريخ الإنسانيه مفعم بالحروب والنزاعات بين جناحى الحق والباطل. وهى حروب تتخذ كل يوم أشكالاً متنوّعه ومختلفه. فكل شخص يروم الوصول إلى أهدافه ونواياه يضطرّ إلى ضمان الأمن فى دائره نشاطه. خلاصه الأمر أن استمرار حياه الإنسان رهن بضمان الأمن الخارجى، ولا يمكن تحقيق هذا الأمن إلا فى ظلّ وجود قوّه دفاعيه موثوقه.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هو المراد من هدفيه تنميه النزعه إلى الدفاع فى سلسله الأهداف الوسيطه؟ فهل المراد من إدراج هذا الدفاع ضمن سلسله الأهداف الوسيطه، يعنى تحقيقه وفعليته؟ وبعباره أخرى: إن اعتبار أمرٍ ما هدفاً يعنى الاتجاه نحو تحقيقه والوصول إليه،

وأما فيما يتعلق بالهدف الأخير، فكيف يمكن توجيه هذه النزعه؟ فى الإجابه عن هذا السؤال، يجب أن نقول: إن المنظور فيما يتعلق بالأهداف الوسيطه ليس هو مجرّد النزعه إلى الدفاع فقط، حتى يكون هذا الإشكال وارداً، وإنما الهدف هو نفس الدفاع الذى هو رهن بعوامل أخرى من قبيل: الهجوم الخارجى. وإن هذا النوع من الأهداف لا يحدث أى ميل لدى الإنسان، وإنما هو مجرّد ردّه فعل طبيعيه وفيزيقيه تحصل من تلقائها عند احتدام النزاع المتبادل. وإن ما هو الغايه المنشوده هو تنميه النزعه إلى الدفاع وصدّ العدوان، وليس نفس الدفاع. التنميه بمعنيين: تعزيز نزعه النفس إلى الدفاع، والعمل على توجيه وهدايه هذه النزعه). إن وظيفه هذا الهدف تكمن فى إعداد الأرضيه للحصول على الأهداف الوسيطه الأخرى، وتجعل الحياه أكثر أماناً واستقراراً. إن تحليلنا للهدف الدفاعى يوصلنا إلى هذه الحقيقه وهى أن الميول الإنسانيه نحو الحفاظ على مختلف الإنجازات وإحياء الأمل باستمرار النشاط، أضحى سبباً فى إيجاد هدفٍ مستقل فى عرض الأهداف الأخرى. وإن دور هذا الهدف بالمقارنه إلى الأهداف الوسيطه الأخرى، وحتى السلوكيات الجزئيه، يكمن فى توفير الأمن بغيه تحقيقها على نحو أفضل. وعليه فمن خلال المقارنه بين مختلف الأهداف الوسيطه نصل إلى نتيجه مفادها أن مطلوبيه الهدف الدفاعى ليست ذاتيه، بل إن هذا الهدف يمهّد الأرضيه لظهور الأهداف الأخرى، فإنه يمثل بالنسبه لها مطلوبيه آليه، خلافاً لسائر الأهداف الوسيطه الأخرى التى تحتوى على قيمه ذاتيه.

إن الدفاع فى مواجهه الهجوم والصمود أمامه من أجل الحفاظ على القيَم الدينيه المنشوده، يعتبر من بين الأمور التى تمّ التأكيد والحثّ عليها فى النصوص الدينيه. فمن وجهه نظر القرآن الكريم يُعدّ تعزيز وتوظيف هذه

الناحیه من المیول، عنصراً هامّاً فی الحیلوله دون ظهور الفساد فی الأرض. قال الله سبحانه وتعالی فی محکم کتابه الکریم:

- وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لکِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعالَمِینَ ۱ .

- وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِیَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ یُذْکَرُ فِیهَا اسْمُ اللّهِ کَثِیراً وَ لَیَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ یَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ ۲ .

- أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ ۳ .

- إِنَّ اللّهَ یُدافِعُ عَنِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ خَوّانٍ کَفُورٍ ۴ .

لو أن الانسان تجنب الدفاع فی مواجهه غزو القوی التی تروم الفساد فی الأرض، فإن الأمر لن یقتصر علی هدم المعابد التی هی مظهر الاتحاد واجتماع کلمه المؤمنین بالله فحسب، بل سیعمّ الفساد جمیع أنحاء الکره الأرضیه. وعلیه فإن استمرار القیم الفردیه والاجتماعیه وتعزیزها رهن بالدفاع عنها، وإن أی تقصیر فی هذا المجال یعنی زوالها وانهیارها. ومن هنا نجد الله سبحانه وتعالی یحث النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) علی تحریض المؤمنین وتشجیعهم علی الجهاد والدفاع عن حیاض الدین، وذلک إذ یقول تعالی:

- یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتالِ ۵ .

وکما أن الله تبارک وتعالی من جهه یشمل الذین یقاتلون الغزاه وحمله رساله الشرک والکفر، بمحبّته ورعایته الخاصه، إذ یقول: إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ

يُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ۱ . نجده فی الجانب الآخر یؤاخذ الذین یضیعون حیاتهم ولا یحافظون علی حیثیتهم الدینیه والإنسانیه، وذلک إذ یقول الله تبارک وتعالی:

- وَ ما لَکُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْیَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً۲ .

- فَلَمّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِیلاً مِنْهُمْ وَ اللّهُ عَلِیمٌ بِالظّالِمِینَ۳ .

وبالإضافه إلی تعزیز وتقویه أصل المیل والنزعه إلی الدفاع، فإن هدایه وتوجیه هذه النزعه مأخوذه بنظر الاعتبار أیضاً. إن جمیع الآیات القرآنیه الوارده فی هذا المجال تدل علی توجیه هذه النزعه نحو المواجهه مع الکفر والشرک والنفاق. من هنا یجب أن یکون المعیار فی توجیه هذه النزعه هو مواجهه غزو الکفر والشرک المدفّر والحیلوله دون قوّه شوکتهما. ولذلک نجد القرآن الکریم یأمرنا بالدفاع عن أنفسنا، ومواجهه الکفار والمشرکین والمنافقین. وهناک من الآیات ما یدل علی وجوب مواجهه غزوهم وضرورته، إذ یقول تعالی:

- وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ الَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ۴ .

- وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّهً کَما یُقاتِلُونَکُمْ کَافَّهً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ۵ .

ولیست هذا فحسب بل تری مجرّد وجود أئمه الکفر والشرک والذین

يعاندون المؤمنين ويحاربونهم خطراً على المؤمنين وعباد الله، وأمر بجهادهم. قال الله تبارك وتعالى:

- فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً١ .

- وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ٢ .

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ٣ .

إنما تمّ التأكيد في القرآن الكريم على ضروره مجاهده الأعداء، لكونهم مصدر الفتنه، حيث سيكونون سبباً في حرف أفراد الإنسانيه عن جادّه الصواب، ومن هنا يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ٤ .

٨. تنميه النزعه إلى الجمال

إن من بين الأمور التي ينزع إليها الإنسان، هو الفن والجمال. فهذه النزعه موجوده عند جميع الناس، حيث يميل كل إنسانٍ بنحو من الأنحاء إلى الجمال، وينفر من القبح. وإن رغبه الناس وشوقهم إلى الجمال خير شاهد على وجود هذه النزعه الباطنيه الكامنه في وجودهم. وإن اللذه الحاصله من هذا البعد من النزعه الموجوده لدى الإنسان، قد أفضت إلى ظهور مختلف الأنظمه المتنوعه والآثار الفنيه المختلفه. وإن إنجاز الآثار الفنيه من قبيل: الموسيقى والرسم والعماره

والشعر والأدب والاهتمام بالمظاهر الفنيه، مدين إلى نزعه الإنسان الداخليه نحو هذه الآثار الفنيه ومواهبها الإبداعيه. إن الفن قد دخل اليوم فى صلب الثقافه والأمور المعنويه بشكل عام، بحيث لو أننا جرّدنا الفن من حياه الإنسان، سنكون قد حرمناه من الغذاء الروحى والنفسى والوجدانى.

إن الإنسان كما ينمّى عقله من خلال توظيفه لأدوات العلم والتفكير وممارسه العمليه التعليميه، فإنه إلى جانب ذلك يصقل مشاعره وعاطفته من خلال تنميه إحساسه بالفن والجمال. من هنا فإن نزعه الإنسان إلى الجمال والأعمال الفنيه تضرب بجذورها فى أبعاد النفس الإنسانيه، وإن أهمّ الشواهد على ذلك ما نراه فى النشاط اليومى للإنسان. فإن اختيار أجواء الحياه، ونوع الثياب، والواسطه النقليه، والاهتمام بالتراث والآثار الفنيه، يقوم على أساس الذوق الشخصى وتوظيف نوع من الشعور بالجمال. وإن اختلاف الناس فيما بينهم فى النزعه إلى الجمال، يضرب بجذوره فى اختلاف أذواقهم. فلربما يكون شيء مصداقاً للجمال، بينما يذهب شخص آخر إلى عدم رؤيته جميلاً. فإن الإجابه عن ماهيه مصداق الجمال، وما إذا كان من الممكن تحديد معيار معيّن لمعرفه الجمال - يكون مقبولاً من قبل الجميع - أمر يعود إلى فلسفه معرفه الجمال. أما بحثنا فيدور حول وجود هذه النزعه لدى جميع الناس، وظهورها فى دائره نشاطهم وميولهم. وعليه فما هو المراد من كون هدايه النزعه إلى الجمال من الأهداف الوسيطه؟ وهل إذا فصّلنا هذه النزعه من سلسله ميول الإنسان، سيحدث خلل فى مسار حركته نحو الهدف النهائى المتمثل بالقرب من الله سبحانه وتعالى؟ إن أنشطه الإنسان الموجهه للقيام بالأمور واختيارها بشكل أفضل وأجمل، ورعايه التناسب الذوقى والمزاجى إنما يمكن تبريرها وتفسيرها فى ضوء الميول الباطنيه والنزعه الداخليه إلى الجمال. إن إرجاع هذا النوع من النشاط البشرى إلى النزعه الداخليه، يحكى

عن نوع من البحث عن العلل والأسباب البنيويه. إن نزعه الإنسان إلى الجمال تتناسب ونظام الخلق فى العالم، فإذا كان المرء طالباً للجمال فإن فى العالم الخارجى ما يلبى له هـذه الحاجه الروحيه ويشـبعها. إن الأبعاد العاطفيه لـدى الإنسان تمثل بعـداً من أبعاده الوجوديه الهـامّه. وإن الكثير من التعلقـات والوشائـج والتوجهـات الإنسـانيه مرتبطه بقيَمه العـاطفيه، التى يمكنه من خلالها العمل على تلبيه حاجـاته العـاطفيه. ليس الإنسـان مجرّد كائن عقلانى بحت، لا وجود فى حياته لغير القياسات العقليه والرياضـيه، بل إنه يحتـوى - بالإضـافه إلى ذلـك - على روابـط ومشـاعر وعواطـف جيـاشه واقعـه تحـت تـأثير حبّه للجمـال. وإن الجمـال المـادى والمعنوى عنصـران يعملان على ربـط جانب كبير من العلاقات الإنسانيه التى يعبر عنها بالعلاقات العاطفيه، ولها حكم البلاط فى إيجـاد هـذا النوع من العلاقـات. ولو أننا فصـلنا هـذين العنصـرين عن العلاقات الإنسانيه والعاطفيه، فإن النشاط البشـرى سـيصاب بالتصـدّع، وهذا بدوره سـيؤول إلى فنائه؛ لأن الإنسان لا يسـتطيع العيش دون علاقات عاطفيه. وعلى هذا الأساس يكون للإهتمام بهذه النزعه تفسـيرٌ وتبريرٌ عقلىٌّ ومنطقىٌّ، وإن طيفاً واسعاً من الأنشطه الروحيه (المشاعر والعواطف) للإنسان ناجم عن وجود هذا النوع من الميول. وإن الحاله الكامنه فى هـذه النزعه بوصـفها هـدفاً وسـيطاً ينظر إلى هـدايه وتوجيه دفّه هذه النزعه الداخليه على نحو أكثر منه إلى تقويتها وتعزيزها. من هنا فإن محور البحث الـدينى فى هذا الباب هو تعيين نوع ومصداق الجمال، وهدايه هذه النزعه الداخليه.

إن النزوع إلى الجمـال - وإن كـان كسـائر الميول الأـخرى - يؤدى إلى تكامـل الإنسان وتساميه، إلا أنه فى الوقت نفسه يشـكل أرضـيه مناسـبه لانحرافه أيضـاً. فليسَ الإـنحراف والضـلال أمرين يُحملان إلى الإنسـان من الخـارج، بـل إن عوامـل الانحراف والضلال كامنه فى قدرات الإنسان وقابلياته. وإن إحدى

هـذه القـدرات والقابليـات تتمثـل فى نزعه الإنسـان إلى الجمـال. فإن الأدب والعماره والنحت وسائر المظاهر الفنيه الأخرى، كما يمكنهـا أن تكون وسـيله للتقرّب من الله، يمكن أن تؤدى إلى الانـحراف والضـلال أيضـاً. فإن الميل إلى بعض أنواع الموسـيقى والأشـعار الفـاحشه - وبشـكل عـام، الأعمـال الفنيه التى تصبّ فى إطـار إشـاعه الفحشـاء والفسـاد، يترك آثاراً سـلبيه على روح الإنسـان ويهـدم القيَم الـدينيه ويعـدّ هـذا النوع من الميـل أحـد الأسـباب الهـامه لانعـدام العفّه وتضـعضع الشخصـيه واضـمحلال العواطف الإنسانيه، وتَشـتُّت كيان الأسـره. من هنا يذهب الدين إلى اعتبار ما كان مصداقاً للاستمتاع واللذه السلبيه عاملاً وعنصراً من عناصـر البعـد عن الله، ولـذلك فـإنّ الـدين يحـذر الإنسـان من مغبّه الوقوع فى هـذا النوع من اللـذه المحرمه، ويـأمره بإحيـاء شخصيته من خلال تشويقها إلى الآفاق المعنويه والروحيه والعمل على توظيف هذه النزعه الداخليه فى الاتجاه الإيجابى الصائب.

٩. هدايه وتوجيه النزعه إلى التملّک

إن الميول والنزعـات لـدى الإنسـان تنقسم إلى قسـمين، فهنـاک منها ما يرتبط به مباشـره، وهناک منها ما يرتبط به على نحو غير مباشـر. أمـا الميول التى ترتبـط بالإنسان مباشـره، فهى تلک الميول التى لا تتوسط بينها وبين الإنسان أى واسـطه، من قبيل: النزعه إلى البحث عن الله، والبحث عن الحقيقه، والنزعه إلى الخلود. وبطبيعه الحال فإن دائره هذا النوع من الميول لا تنحصر بما ذكرناه فى هذا الكتاب، وإنما تشمل بعض الميول الأخرى أيضاً، وهى على الرغم من عدم طرحها بوصفها أهدافاً وسيطه، إلا أن بإمكان مظاهرها وتجلياتها الخارجيه أن تقع بنحوٍ من الأنحاء فى سلسله الأهداف الوسيطه. فمن باب المثال: إن حبّ الإنسان لنفسه وحبه لذاته أمر مركوز فى قراره كل

فرد. وإن هذه النزعه مستقره فى أعماق وجود الإنسان، وتتمتع بوافر من القوّه بحيث لا تحتاج معها إلى ما يجبر ضعفها بمزيد من الأعمال التربويه. وبعباره أخرى: إن التعلق بالوجود ليس أمراً قابلاً للانحراف، حتى يصار إلى طرح مسأله الهدايه بشأنه. وإن من بين مظاهر حب الانسان لذاته، مُحاوله حفظها من الحوادث الكارثيه التى من شأنها أن تقضى على وجوده أو تسبب له نقصاً جسديّاً أو عقلياً أو ضعفاً فى قدراته وإمكاناته. وفى الحقيقه فإن النزعه البشريه إلى حفظ النفس، والعمل على صيانتها، تدخل ضمن دائره الميول التى ترتبط بوجود الإنسان بشكل غير مباشر. وإن موقع هذه النزعه فى المجموعه الثانيه يحكى عن دورها الوسيط وغير الذاتى. وعلى هذا الأساس فإن دور هذه المجموعه من الميول فى وجود الإنسان ليس دوراً أصيلاً وأولوياً، وإنما هو مجرّد عنصر مودع فى وجود الإنسان ليحفظ حياض أمر آخر وهو المتمثل بالنزعه الذاتيه لحمايه النفس وصيانتها. كما يجب علينا البحث عن مصدر حب الإنسان للتملك والحيازه فى هذه النزعه الإنسانيه الأصيله والمتمثله بحبّ الذات.

وحيث إن كل إنسان يحب نفسه، فإنه يسعى إلى الحفاظ عليها وصيانتها من البلاء والمصائب، ومن هنا فإنه يسعى إلى توسيع دائره قدرته وقابليته، فكلما كان مستوى قدره الانسان على حفظ نفسه أكبر، كانت حظوظ مقاومته ونجاحه فى صدّ المخاطر عن نفسه عاليه وكبيره. وقد كان لهذا العنصر - على طول تاريخ البشريه - تأثير هام على علاقه الأفراد فيما بينهم، وإن صفحات التاريخ مفعمه بالنزاعات والحروب الداميه من أجل الحصول على مزيد من القدره. وما أكثر الذين يجعلون من الحصول على المال والثروه هدفاً رئيساً فى حياتهم، ويتصرّفون وكأنهم لا يُسغلهم أى اهتمام بالخسران الأبدى الذى يترتب على ذلك. قال الله سبحانه وتعالى: وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا

جَمًّا١ . والسبب فی ذلک هو أن هـذه النزعه المنشوده قـد فقـدت موقعها بوصـفها وسـیله لحفظ الذات وواسـطه لبلوغ الأهداف السامیه. ومن هنا فإن الدور الإصلاحی للدین فی هذا الباب یتجلی من خلال محورین:

١. تبیین موقع هذه النزعه فی المسار الوجودی للإنسان.

٢. طریقه توظیف هذه النزعه.

- بیـان موقع النزعه إلی التملک فی المسار الوجودی للإنسان: إن کلّ نزعه من النزعات الإنسانیه تحظی بمکانه خاصه من وجهه النظر الدینیه، فإن الدین یضمن للإنسان بلوغ الکمال والقرب من الله إذا وضّف تلک النزعات بالشکل الصحیح. وإن سعی الدین إلی هـدایه نزعه الإنسـان إلی التملـک، تـأتی فی هـذا السـیاق أیضـاً. فمن وجهه نظر القرآن، إن هـذه النزعه تحظی بأهمیه أکبر بالقیـاس إلی سـائر النزعـات الأـخری؛ إذ یری القرآن أن حفـظ حیـاه الإنسـان وبقاء نسـله رهین بتوظیف هـذه النزعه فی حـدود الحاجه والمسـتویات الطبیعیه. ومن هنا یعمـد الـدین إلی توجیه الإنسان إلی الاسـتفاده من هـذه النزعه فی الحدّ المعقول، وأن لا یجعل منها هـدفاً وغایه مطمـح له. ومن جمیع الآیات القرآنیه التی تـدعو الانسان إلی التوظیف المعقول لهذه النزعه، نسـتفید من النقاط التی سنعرضها فیما یلی تباعاً.

فمن وجهه نظر القرآن الکریم یعد حبّ المال والافراط فی الاهتمام به مسأله تنسـینا ذکر الله، وتجعلنا ننکص عن مواصله التقرّب من الله عزّ وجـل، وذلـک إذ یقول الله تعـالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ٢ ، ویقول تعالی أیضاً: سَیَقُولُ لَکَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا یَقُولُونَ

بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ١ . وإذا حلَّت هذه النزعه مَحِلَّ التقرّب من الله، فإنها ستشكل حاضنه خصبه للانحراف والبُعد عن الهدايه والفلاح، قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ٢ .

إن اكتناز الثروه لا يساعد المرء على عدم الافتقار فحسب، بل قد يسلبه حتى إمكان التقرّب من الله سبحانه وتعالى. وأنّ السبب الرئيس الذى يجعل الفرد ينساق وراء اكتناز الثروه، يعود إلى أن هذه الثروه يمكنها أن تعمل على صيانه الذات والمحافظه عليها. جدير ذكره أننا من خلال الأموال نستطيع تلبيه جانب من احتياجاتنا، كى نوفّر الأرضيه لكمالنا ورفِعه حاجاتنا الوجوديه الساميه. إن توظيف النعم والمواهب الإلهيه يرفع حاجاتنا الأوليه (الفسيولوجيه)، ويمهّد الطريق للتدرّج نحو المراحل والمراتب العاليه، بيد أن الافراط فى ذلك يؤدى إلى الإعراض والتخلف عن تحقيق الأهداف والأغراض الأساسيه والرئيسه، من قبيل: النزعه إلى الخلود والبحث عن الله سبحانه وتعالى. وفى ذلك يقول الله فى محكم كتابه الكريم:

- وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * اَلَّذِى جَمَعَ مالاً وَ عَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ٣ .

- تَبَّتْ يَدا أَبِى لَهَبٍ وَ تَبَّ * ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ٤ .

- ما أَغْنى عَنِّى مالِيَهْ٥ .

- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النّارِ١ .

- لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ٢ .

وعليه، لا يسع الإنسان أن يلبّى حاجته - بوصفه كائناً ينزع إلى الخلود وطلب الحقيقه - من خلال التهالك على جمع الأموال واكتناز الثروه: وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلاّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ٣ .

فمن وجهه نظر القرآن، لا يمكن للثروه والنزعه إليها أن تساعده على تلبيه حاجته الرئيسه والجوهريه الكامنه فى دفعه إلى التقرّب من الله سبحانه وتعالى:

- يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ٤ .

- اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ٥ .

- اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً٦ .

وعليه، يجب على الإنسان أن يستمتع بالأموال والثروات بحدود ماتقتضيه الطبيعه فى هذا الوجود، وإن النظر إلى الأموال والثروات يجب أن يكون على نحو الطريقيه دون الموضوعيه.

إن شـدّه تعلّق الإنسـان بالثروه يبلغ حـداً بحيث إن الله سـبحانه وتعالى يجعله فى مسـتوى حبّ الإنسان لأولاده. وعليه فإن الأموال والأولاد من الموارد التى توفر أرضـيه خصـبه لتجاوز الأوامر الإلهيه والانحراف عن سبل الهدايه. ولكى يختبر الله الإنسان ويبتليه، فإنه يحـدد له طريقه التلبيه المعقوله لهذه النزعه ويبتليه بها، ليراه هل يشـكر ويصبر أم أنه يفشل فى الاختبار؛ فيغدو بطراً أو قانطاً. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم:

- إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ١ .

- لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ٢ .

- وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ٣ .

- أسلوب توظيف النزعه إلى التملك: إن أسلوب التعاطى مع مفهوم الثروه يترك تأثيره على مجموع النشاط الإنسانى. إن اهتمام الدين بماهيه الثروه بوصـفها عنصـراً مؤثراً فى رفع الحاجه المعاشـيه للإنسان فى الحياه الدنيا، من جهه، ونزعه الإنسان الذاتيه إلى حفظ وصـيانه الـذات، وتوسـيع رقعه قدرته ونفوذه، من جهه أخرى، أدى به إلى تقديم أحكام وقوانين توجيهيه فى غايه الأهميه والخطوره فى هذا المجال.

يرى القرآن الكريم أنّ الانغماس المفرط فى حبّ الثروه والتكالب عليها يزيد من تعرّض الإنسان للمخاطر والأضـرار، وإن تجنّب مـا من شـأنه أن يزيـد من فوره الميول النفسـيه المتـدنيه، يؤدى إلى تعزيز تهـذيب النفس وتزكيتهـا. وأنّ الإنفـاق من الأمور التى تؤدى إلى تهذيب النفس وتزكيتها وإعداد الأرضيه سمّوا الانسان، وليست ذلك فحسب بل إنه كذلك يعمل - من خلال

رفع الحاجات الأولیه للآخرین - علی تمهید الأرضیه لهم کیما یرتقوا فی مدارج الکمال والرِفعه أیضاً. ومن هنا فإن الإسلام بشکل عام یری ثمره الإنفاق فی ثلاثه أمور، وهی:

۱. الحیلوله دون التعلق المفرط بالاموال، والذی یحول دون سمّو الإنسان ورقیّه فی مدارج الکمال.

۲. رفع حاجات الآخرین.

۳. توفیر الظروف التی تساعد الآخرین علی الرقّی والکمال.

وعلیه فإن للإنفاق دوراً إصلاحیاً فی المجتمع، حیث یؤدی إلی تهذیب النفس وتزکیتها، ومن هنا نجد أن الله سبحانه وتعالی یقول فی محکم کتابه الکریم:

- خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَهً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ۱ .

- اَلَّذِی یُؤْتِی مالَهُ یَتَزَکّی۲ .

- وَ مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ تَثْبِیتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ کَمَثَلِ جَنَّهٍ بِرَبْوَهٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُکُلَها ضِعْفَیْنِ فَإِنْ لَمْ یُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ۳ .

وبطبیعه الحال، فإن الإنفاق المنشود للقرآن الکریم هو الإنفاق الذی لا یقترن بدافع غیر حبّ الخیر للآخرین والشعور بالمواساه لهم، بعیداً عن جمیع أنواع التفاخر والریاء وحبّ الظهور فی العلاقات الاجتماعیه، ولذلک نجد تأکیداً کبیراً فی القرآن الکریم علی هذه الناحیه، وذلک إذ یقول سبحانه وتعالی:

- اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ ثُمَّ لا یُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذیً لَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ١ .

- قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَ اللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ٢ .

من هنا فإنه وبالالتفات إلى هذه الحقيقه ندرک أن الهدف من الإنفاق لا ينحصر بمجرد رفع حاجات الفقراء، بل هناک بالإضافه إلى ذلک هدف أهم تمّ التأکيد عليه فى التعاليم الإلهيه بشکل خاص، ألا وهو تهذيب النفس وتزکيتها. وعليه فإن الذين يرون فى أموالهم حقاً للآخرين، إنما هم أولئک الذين يجعلون هذا الهدف نصب أعينهم، ويتمتعون بإيمان صُلب وراسخ. قال الله سبحانه وتعالى فى محکم کتابه الکريم:

- وَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ٣ .

- وَ الَّذِينَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ٤ .

إن الذى يحصل عليه المرء من خلال الإنفاق وبذل الصدقه هو تسامى الروح وتکاملها، بيد أن ذلک يتبدد بمجرّد المنّ والأذى والتفاخر والشعور بالاستعلاء. وفى ذلک يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الکريم:

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى کَالَّذِى يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَکَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَىْءٍ مِمّا کَسَبُوا وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْکافِرِينَ٥ .

وإن أهميه هذه المسأله تبلغ حدّاً بحيث إن إنفاق الأموال - مع مراعاه بعض الشروط الخاصه - يعتبر من وجهه نظر القرآن الکريم نوعاً من الجهاد فى سبيل الله، وإنه وسيله للتقرّب من الله سبحانه وتعالى:

- اِنْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ١ .

إنّ القاعده العامه التی تحكم طرق الاستفاده الصحیحه من الأموال - كما یذكرها القرآن الكریم - تكمن فی الابتعاد عن جمیع أنواع التعاطی المحرّم من وجهه نظر الشرع المقدّس. وفی ذلك یقول سبحانه وتعالی فی محكم كتابه الكریم:

- وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَیْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَی الْحُكّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِیقاً مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ٢ .

- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَیْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلّا أَنْ تَكُونَ تِجارَهً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ٣ .

إنّ الإحجام عن ارتكاب الحرام فی الاستفاده من الأموال - یعنی عدم توظیفه فی الطرق غیر الصحیحه، واجتناب الظلم والعدوان علی أولئك الذین استأمننا الله علی حقوقهم - یبیّن لنا الخطوط العامه والعریضه لكیفیه الاستفاده من الأموال. قال الله سبحانه وتعالی فی محكم كتابه الكریم:

- إِنَّ الَّذِینَ یَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْیَتامی ظُلْماً إِنَّما یَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً۴ .

- وَ آتُوا الْیَتامی أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِیثَ بِالطَّیِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلی أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِیراً۵ .

خلاصه القول: إنّ هناك ضوابط خاصّه تحكم النزعه إلى التملّك، وإنّ تجاوز تلك الضوابط سيؤدى بالانسان إلى الخروج والجنوح عن المسار الطبيعى الذى رسمه الله للحياه، وسوف يفضى بالتالى إلى البعد عن الله سبحانه وتعالى.

ج) تعزيز الإراده:

لو أننا عمدنا إلى تحليل مختلف أبعاد وجود الإنسان، فسندرك أنّ لكل إنسان خصائص، وإن تلك الخصائص هى التى تقولب شخصيه الإنسان بوصفه إنساناً. وإنّ هذه الأبعاد تتجلّى فى المساحات الثلاث الآتيه، وهى: المساحه العقليه، والمساحه العاطفيه، والمساحه الإراديه. فلا وجود لهذه المساحات فى أى كائن آخر كما نجدها لدى الإنسان. إن امتلاك النزعات العقليه فى إطار المعرفه والميل إلى الحقيقه، والعناصر العاطفيه التى توجد أرضيه النزعه والميل إلى هذا البعد، تُعُّد من خصائص وجود الإنسان. وهكذا الإراده للقيام بالأمور عن وعى، إنما هى من الموارد التى لا نجدها إلا عند الإنسان. فالحيوانات وإن كانت تمتلك معرفه صوريه وبدائيه للغايه، حيث نشاهد أن لديها بعض العواطف الغريزيه المحدوده، والإراده على فعل بعض الأعمال الفيزيائيه، بيد أن المستوى البدائى لهذه الأمور لا يمكن أن تقاس بالأبعاد المعرفيه والعاطفيه والإراديه الواسعه وغير المحدوده فى وجود الإنسان. وقد سبق أن تعرّضنا إلى الأبعاد المعرفيه لدى الإنسان والأهداف الوسيطه فى هاتين الدائرتين من الناحيه الدينيه. وبغيه تكميل البحث، ونظراً للأهميه الخاصه التى تتمتع بها مسأله الإراده فى الرؤيه الدينيه، سنعمد هنا إلى دراسه واستعراض النظريات الدينيه بشأن هذا البُعد والشاخص الوجودى أيضاً.

نبـدأ البحث من السؤال القائـل: مـا هو دور الإـراده فى سـلوكنا؟ ومـا الـذى سوف يحصـل إذا ألغينـا الإـراده من تركيبه الإنسـان الوجوديه؟ وباختصـار: مـا هو دور الإـراده فى أفعال الإنسان وردود أفعاله؟ للإجابه عن هـذا النوع من التساؤلات، يتعيّن علينا أن نعمل قبل كلّ شـىء على إيضاح وشـرح حـدود البحث. ولا بـد من التـذكير بهذه النقطه الهامه وهى أن البحث فى ماهيه الإراده ومعرفه أبعادهـا وحقيقتهـا لاـ يـدخل فى مهام الأبحاث المـذهبيه والـدينيه. فإن هـذه المعرفه يمكن الحصول عليها وإحرازها من طريقين، وهما:

١. الأسلوب العقلى والفلسفى.

٢. الأسلوب التجريبى والنفسى.

والذى نبحثه هنا هو مجرّد الرؤيه الدينيه بشأن أهداف التربيه والتعليم، وبيان سـبل الوصول إلى الكمال الفردى والاجتماعى. ومن هنا فإننا – لكى لا نبتعد عن دائره البحث – سـنطرح الأسئله المرتبطه بالإراده – بالالتفات إلى هذه الحقيقه – على النحو الآتى: ما هو دور الإراده فى أفعال الإنسان وسـلوكياته؟ فهل يمكن لنا – من خلال إلغاء الإراده والقول بالجبر فيما يتعلق بأعمال الإنسان – القول بإمكان الوصول إلى الكمال المنشود، وهو القرب من الله، واعتبار الإنسان مسؤولاً عن أفعاله، أم لا؟

إن هـذا النوع من الأسـئله هو ما نسـعى إلى الإجابه عنه فى هذا البحث. لا شك فى أن أساس الدين قد أقيم على اختيار الإنسان. فإنّ مفاهيم من قبيل: الهدايه والثواب والعقاب تحكى عن رؤيه الدين الخاصه تجاه الإنسان، إذ يعتبر كائناً مختاراً وذا إراده، ويتمّ توجيه الأـوامر والتكـاليف إليه بـالنظر إلى هـذه الحقيقه. وبطبيعه الحـال فإن هـذه الرؤيه الـدينيه لا تعنى التصـريح بوجود الإراده والإختيار لـدى الإنسان على نحو ما يتمّ بحثه فى الفلسـفه أو علم النفس، بل يمكن التوصّل إلى هـذه الرؤيه عن ماهيته من خلال النظر فى

مجموع الخطابات الدينيه الموجّهه إلى الإنسان. إن هذا النوع من قبيل السلوك الملائم فى إطار التربيه والتعليم فى الرؤيه التى نراها عند المذهب الوجودى، أو ما هو عليه المذهب الذى ينتهج السلوكيه المتطرّفه. فكلا هذين المذهبين يخاطب الإنسان، مع فارق أن الوجوديه تخاطبه بوصفه كائناً مختاراً وحرّاً ويتمتع بحق الانتخاب والاختيار، بينما نجد السلوكيه المتطرّفه تخاطبه بوصفه مجرّد آله مسلوبه الحريه والاختيار. وكذلك الدين عندما يواجه الانسان، يعتبره كائناً مدركاً ومختاراً فى انتخاب هدفه ومساره. فإننا نواجه هذه الحقيقه فى الكثير من الخطابات الدينيه، حيث نجد أن بإمكان المرء أن يعمل على تحليل الأمور قبل القيام بها، ومع ذلك نجد الدين يحرص على إبقاء الباب مفتوحاً أمامه حتى بعد ارتكاب الأخطاء، للرجوع والاستدراك والتوبه والإنابه، الأمر الذى يثبت حقيقه ماهيه الإنسان وكونه كائناً مختاراً فى الرؤيه الدينيه. وذلك من قبيل قوله تعالى:

- وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ١ .

- وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً٢ .

ومن ناحيه أخرى فإن العدل الإلهى يقتضى أن يكون الإنسان مستحقاً للثواب أوالعقاب، عندما يكون قادراً على انتخاب طريقه. وعليه فإن دور الإراده فى حياه الإنسان بوصفه كائناً مختاراً موضع اعتراف الدين وإقراره، وإن من بين الأمور التى يتم الاهتمام بها من قبل الدين هو عنصر الإراده وقدره الانسان على الاختيار والانتخاب. إن أكثر الأنشطه والأفعال التى تصدر عن الإنسان هى من النوع الإرادى والإختيارى، ولهذا السبب يكون هو

المسئول الأول عن الأفعال الصادره عنه. وإن مجموع المسائل الدينيه المشتمله على الواجبات والمحرّمات الشرعيه والعقليه، تسعى إلى بيان الأمرين الآتيين، وهما:

١. تحديد المسار الذى تتعلق به إراده الإنسان واختياره، وما الذى يتعيّن عليه فعله فى هذا المسار من أجل التقرّب من الله سبحانه وتعالى.

٢. تقويه النفس وتعزيز ملكاتها بحيث تغدو قادره على تحمل الصعاب، ومقاومه العقبات التى تبعدها عن مسار القرب من الله إلى أبعد الحدود الممكنه.

تحظى تقويه الإراده وكيفيه التعاطى مع العناصر المكوّنه للشخصيه والتى تحدد مسار حركه الإنسان من وجهه نظر الدين، بأهميه خاصّه. وإن أىّ ضعف أو تهاون فى هذه الناحيه من الوجود يسلب الإنسان إمكانيه التقدّم والوصول إلى المراحل العليا. من هنا لا بد من تعزيز الإراده وتقويتها من أجل الوصول إلى الغايه المنشوده. فالانسان الذى يعانى من ضعف فى الإراده، لا يستطيع مواجهه الصعاب والمشاكل، ولن يغدو بإمكانه بلوغ الرشد والكمال من خلال التغلب عليها.

إن أهمّ أسلوب لتقويه الإراده من وجهه نظر الدين، عباره عن إيجاد نوع من العلقه بمصدر مستقل، يتمتع بالقدره والسلطه والعلم والمعرفه المطلقه. فإن الإنسان لا يستطيع صيانه نفسه فى مواجهه الحوادث والمشاكل، إلا إذا أوجد فى نفسه نوعاً من القدره فى كيانه. وإن هذه المقدره الذاتيه توجد بطرق وأنحاء وعلى مستويات مختلفه. والمهم أن نعلم ما هو الأمر الذى نجعله منشأً لاقتدارنا واستطاعتنا. مما لا شكّ فيه هو أن العناصر الخارجيه، لا تستطيع التأثير على نفسه وإرادته. ومن وجهه نظر الدين فإن العنصر الوحيد الذى يمكنه تقويه الإراده لدى الإنسان، وجعله أهلاً للارتقاء نحو المراحل العليا من الرقى والكمال، هو الارتباط بالله

وتعزيز هـذا الارتباط وتوثيقه. وفى هـذه الرؤيه، فإن الإنسان الذى يتمسك بالله، ويجعله محور نواياه وميوله وأفعاله، سوف يتمتع بالقدره والإراده القويه بمقدار شدّه تمسّكه وإيمانه واعتقاده بالله سبحانه وتعالى. فى منطق الدين يعتبر التمسّك بغير الله مساوقاً لضعف الاتجاه الباطنى الذى يؤدى بالإنسان إلى الرقى والكمال. ومن المهم بيان هـذا الأمر وهو أن تقويه الإراده لا تعنى بالضروره توظيفها فى المسار الإلهى، فليس الأمر أن الأسلوب فى تعزيز الإراده وتقويتها منحصر بتوظيفها فى المسار الإلهى. فما أكثر الذين يسعون وراء تحصيل العلم والمناصب والثروه وما إلى ذلك، ويجعلون من هـذه الأمور هدفاً وغايه مطمح لهم، ويبذلون كل ما بوسعهم، متمتعين فى ذلك بإراده قويه وعزم لا يلين من أجل تحقيق هـذه الأهداف، متحملين من أجل ذلك أنواع الصعاب، بل قد يضحّون حتى بأرواحهم من أجل ذلك. وعليه فبالالتفات إلى هـذه الحقيقه ندرك أن تقويه الإراده لا تعنى توجيهها بشكل صحيح نحو الهدف الأسمى والغايه المتعاليه دائماً. والذى يتم استهدافه من وجهه نظر الدين، فيما يتعلق بتعزيز الإراده وتقويتها هو توجيهها نحو الله سبحانه وتعالى. وفى الحقيقه، فإن ارتباط الدين بالإنسان من حيث إنه كائن مريد، يتجلى من خلال بعدين، وهما:

١. تقويه إرادته، لكى يتجنّب الضعف والتهاون فى إنجاز أعماله.

٢. أن يجعل من تعزيز إرادته أمراً هادفاً، بأن يعمل على توظيف هذه الإراده فى المسار الإلهى فقط.

عناصر تعزيز الإراده فى المنظار الدينى:

لم يبحث القرآن الكريم فى الإراده وتقويتها أبداً، وإنما ركز البحث - بوصفه كتاباً تربوياً - على الطرق التربويه على المستوى العملى فقط. من هنا، فإنه لم يبحث فى الاتجاه النظرى بشأن الإراده، مكتفياً باستعراض بعض

الشواهد فی هذا المجال، ویمکن اعتبار هذه الشواهد کنماذج وأمثله، یمکن الوصول إلی اکتساب التجربه من خلالها، أو التعرّف بواسطتها علی السبل العملیه فی الوصول إلی السعاده، وبلوغ الکمال فی إطار تعزیز الإراده وتقویتها.

فمن باب المثال، یمکن الإشاره إلی قصه نبینا آدم (علیه السلام). إذ أمره الله سبحانه وتعالی بأن لا یقرب الشجره المحظوره، وأخذ علیه عهداً بأن لا یتناول من ثمرها، ورأی آدم أنه ملزم بهذا العهد، وأنه لن یحید عنه أبداً، ولکنه سرعان ما نَسِیَ العهد، وما أن واتته الفرصه حتی سارع إلی الأکل منها. وقد تعرّض القرآن الکریم لهذا السلوک من قبل آدم (علیه السلام) بوصفه نموذجاً من نماذج ضعف الإراده وعدم الإلتزام بعهد الله، وفی ذلک یقول الله سبحانه وتعالی فی محکم کتابه الکریم: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً۱ .

إن تعزیز الإراده والقدره علی القیام ببعض الأمور من وجهه نظر القرآن تستلزم الصبر علی مرضاه الله سبحانه وتعالی، وإن استعجال الأمور یؤدی إلی الضیاع والانحراف. وقد تمّ التعبیر عن الصبر وقوّه التحمّل بوصفه ملاکاً للتمییز بین الإراده القویه والإراده الضعیفه. وإن الصبر علی الشدائد، وبخاصهٍ فیما یتعلق بالجهاد، واجتناب جمیع أنواع التهاون، والصبر علی العباده من أهم الأدله علی الدخول فی دائره القرب من الله والفوز بأنعم الله، وکذلک الحصانه فی مواجهه شیطان النفس. وقد انعکس ذلک کله فی الآیات القرآنیه الآتیه:

- وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَیْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ۲ .

- لَتُبْلَوُنَّ فِی أَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذیً کَثِیراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ١ .

- یا بُنَیَّ أَقِمِ الصَّلاهَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ اصْبِرْ عَلی ما أَصابَکَ إِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ٢ .

- وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ٣ .

- وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتّی نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ مِنْکُمْ وَ الصّابِرِینَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَکُمْ٤ .

- وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ٥ .

- وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا یَضُرُّکُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً إِنَّ اللّهَ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ٦ .

- وَ کَأَیِّنْ مِنْ نَبِیٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّیُّونَ کَثِیرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَکانُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الصّابِرِینَ٧ .

- وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ٨ .

- وَ لا تَهِنُوا فِی ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَکُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ یَأْلَمُونَ کَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللّهِ ما لا یَرْجُونَ٩ .

- فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَی السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ١٠ .

- وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَهٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ ١ .

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ ٢ .

- إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ ٣ .

- أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّيِّئَهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ۴ .

- ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللّهِ باقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ۵ .

- إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۶ .

- إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ ٧ .

وبالنتيجه يمكن اعتبار أن أهم عناصر تعزيز الإراده وتقويتها يكمن فى التمسّك بالله، وإيجاد سبل الارتباط به. وإن العبادات بوصفها مظهراً من مظاهر فعليه هذا النوع من الارتباط، تضع الإنسان فى مسار تعزيز هذه الناحيه من وجوده وكينونته. فالإنسان المتديّن يحصل على قوته الروحيه من خلال التوسل بالله وتوظيف عنصر العباده فى هذا الطريق. إن التمتع بالإراده القويه يؤدى بالانسان إلى الاجتناب والإعراض عن المعاصى. كما أن الضعف والتهاون فى إقامه الارتباط والتواصل مع الله سبحانه وتعالى يؤدى به إلى

الزلل والانهيار أمام المعاصى والمحرّمات. وعليه فإن أحد أهم الآثار التربويه فى تقويه الإراده يكمن فى ضوء العبادات والابتعاد عن المعاصى، واجتناب كلّ الأمور التى من شأنها أن تؤدى إلى الانحراف عن مسار التكامل.

الأبعاد المشتركه بين الإنسان والحيوان

١. هدايه وتعديل الميول المشتركه

كما تقدّم أن ذكرنا، فإن الميول الإنسانيه تكون ذات جنبه اختصاصيه تاره، وتكون ذات جنبه مشتركه تاره أخرى. إننا بالنظر إلى خصائص الإنسان الروحيه والنفسيه والمساحه الواسعه من المعايير الفطريه، نراه فى مساحه من الميول والرغبات، بحيث إنه لو ركّز على جوانبه المشتركه مع سائر الكائنات، لن نجد من أثر لتلك الميول والرغبات فى دائره مطالبه واحتياجاته. بعباره أخرى: إن للإنسان - بالالتفات إلى ما يتمتع به من البعدين الوجوديين، وهما: البعد الروحى، والبعد الجسدى - منشأين محددين فى دائره الميول والرغبات، بحيث يمكن تقسيم وجوده من خلال إرجاع كل مجموعه من الرغبات والميول الروحيه والجسديه إلى دائرتها. فهو من جهه يعتبر كائناً إنسانياً يتمتع بسلسله من الصفات الروحيه، من قبيل: البحث عن الحقيقه، والعداله، والخلود، والجمال. ومن جهه أخرى نجده كسائر الحيوانات، بحاجه إلى بعض الأمور التى تشبع متطلباته وغرائزه الجسديه، من قبيل: الجوع، والعطش، والتعب، والغريزه الجنسيه. بيد أن المسأله المطروحه هنا هى فصم عرى الإنسان، وتقسيمه إلى جهتين، وبتبع ذلك، العمل على الفصل بين مطالبه وميوله. فكيف يمكن لنا أن نقيم ارتباطاً بين هاتين الناحيتين الوجوديتين؟ فهل ينظر الإنسان إلى الأمور دائماً من زاويتين، ويرمق عالم الوجود من نافذتين مختلفتين؟ فإذا كان هذان المنشآن الوجوديان منفصلين عن بعضهما

بالكامل، إذن كيف يكون الإنسان كائناً واحداً؟ وإذا كان هناك من ارتباط بين هاتين الناحيتين من وجوده، فما هى كيفيه هذا الارتباط؟ إن مما لا شكّ فيه هو أن للإنسان - على الرغم من تمتعه بمختلف الميول والرغبات المتنوّعه والمختلفه بالكامل - هويه محدده، وإن ميوله ورغباته المتعارضه لا تؤدى إلى اختلاف وتشتت شخصيته وهويته. فإن أسلوب الارتباط بين النواحى الوجوديه للإنسان فى إطار الميول والرغبات الخاصه والمشتركه، إذا كانت من قبيل: سياده الميول والرغبات الخاصه وتوجيهها للرغبات والميول المشتركه، فإن الدوران الوجودى له سيمضى فى اتجاه مختلف عما إذا كانت السياده فيه للرغبات المشتركه، وتوجيهها لدفّه الرغبات والميول الخاصه. فالإنسان يتذبذب على الدوام بين طيفين، فهو إما يميل إلى تحكيم سياده الميول الساميه والمتعاليه على رغباته المتدنيه التى تتفرّع عن الأبعاد غير الساميه من وجوده، أو أنه يميل إلى إلغاء النواحى المتعاليه والقيم الكامنه فى وجوده، بحيث يكرّس كل اهتمامه على إشباع غرائزه الحيوانيه بشكل مطلق.

ليس أمام الإنسان من خيار سوى تلبيه احتياجاته الماديه، غير أن المهمّ فى البين هو كيفيه تلبيه هذه الاحتياجات. إن محور بحثنا فى هذا الكتاب هو الاهتمام بكيفيه رؤيه الإنسان، وكيف يجب أن يكون الارتباط بين القيم الساميه والمتعاليه، والمطالب الحيويه المتصله بأبعاده الجسديه والماديه من الزاويه الدينيه. إن الذى يتمّ طرحه بوصفه هدفاً ليس هو نفس تلبيه الشعور بالجوع أو العطش أو الغريزه الجنسيه، بل كيفيه تعاطى الروح الإنسانيه مع هذا النوع من الحاجات الجسديه. إننا بصدد بيان هذه المسأله، وهى: كيف يمكن لنا أن نجعل الميول المتعاليه محوراً فى حياتنا، وتلبيه المطالب والغرائز الجسديه فى ضوء تلك الميول المتعاليه؟ فهل تطرّق الدين فى تعاليمه إلى بيان السبل الصحيحه والسليمه لتلبيه هذا النوع من المطالب والغرائز؟ وهل

هناک فی هذه التعالیم ما یعمل علی توجیه وهدایه وتعدیل هذه المطالب والغرائز، أم لا؟

إنّ جمیع الأنشطه الإختیاریه للإنسان تنشأ من اتجاهه الثقافی والعقائدی فی الأمور. إن الدین - بوصفه نظاماً آیدیولوجیاً قادراً علی بناء الصرح الثقافی - یستطیع توجیه أفعال الإنسان وأنشطته نحو الهدف الغائی، وبیان طریقه الوصول إلی الهدف العام من خلال رسم الأهداف الوسیطه. وإن هذه الأهداف ناظره إلی القوانین والأسس التی تحکم الأنشطه الرئیسه للإنسان، وتشمل دائره واسعه من سلوکیاته، وتسوقها فی إطار نظام مترابط نحو الأهداف والغایات النهائیه. وفی هذا النظام یتمّ الاکتفاء بطرح المنهج العام لتلبیه الحاجات الفطریه والمتعالیه للإنسان، ولیس هذا فحسب بل وقد تمّ الاهتمام حتی بالمطالب والمیول المادیه والجسدیه له أیضاً.

۲. بحث خاصّ

اشاره

إنّ ما یحدده الدین ویرسمه للإنسان من أنماط الحیاه، لا یتعلق بالأسالیب الخاصه والجزئیه للسلوک، بل هو منهج عام یعمل علی توجیه أفعاله الجزئیه. إن ما هو المهم بالنسبه إلی الدین هو بیان حدود نشاط الإنسان فی مختلف المجالات الوجودیه المتنوعه التی تستدعی توظیف سلسله من الأسالیب والسلوکیات الخاصّه. وعلیه فإنّ الدین مبدع لنظام مسلکی خاص، وهو وإن کان لا یخوض فی الأسالیب الجزئیه للسلوک والأنشطه الخاصّه فی جمیع المجالات، بید أنه یرسم إطاراً محدّداً. إن وجود الترابط المنطقی والتلاحم المعقول بین الأهداف المتنوّعه، وإرجاع کلّ هدف إلی هدف أعلی، وبیان ضرورته فی ضوء الغایات الأسمی، وصولاً إلی بلوغ الهدف الغائی والنهائی، یحکی عن وجود النظم والتنسیق فی داخل هذا النظام. إنّ بیان نشاط الإنسان

يتمّ أحياناً من خلال الالتفات إلى الأساليب والأطر السلوكيه، وأحياناً من خلال الالتفات إلى الأهداف والمضامين الموجّهه. وإن الذى يعتريه التغيّر والتبدّل دائماً هو هذه الأساليب والأطر الصوريه للسلوك، التى تظهر فى كلّ زمان على شكل خاص تبعاً لتطوُّر آليات التفكير. وفى العلوم التربويه يتم الاهتمام بأساليب الوصول إلى الأطر الجديده للسلوكيات التربويه المتنوّعه بنحو أكثر منه إلى ذات المحتوى والأهداف الكيفيه للتربيه. بعباره اخرى: فى الأسلوب العلمى نجد أنّ النظام التربوى يشتمل على أساليب لبلوغ الأهداف التربويه المنشوده بغض النظر عما تحمله من القيَم، وأما النظام التربوى الدينى، فهو يسعى من خلال تحديد الأهداف وإيجاد نوع من الارتباط المنطقى الطولى والعرضى بينها، إلى تقديم إطار سلوكى خاص يحتوى على منظومه من القيم. وعليه فلم يدخل أىٌّ من العلم والدين فى موضوع التربيه بشكل مستقل. وبطبيعه الحال فإنّ منهجيه التربيه فى دائرتى العلم والدين لا تعنى بالضروره تناغمهما مع بعضهما البعض. جدير بالذكر أنّه إذا قيل: إنّ للدين منظومه من القيم ضمن مقوله الأهداف التربويه، وإنّ العلم بصدد تقديم أساليب ومناهج تربويه فى إطار نظام، فإن هذا لا يعنى أنه لم يتمّ بيان أىّ أسلوب وطريقه فى الدين للوصول إلى الأهداف التربويه. فقد قدّم الدين - بما يتناسب ومختلف الضرورات - أساليب خاصه للوصول إلى المضامين التربويه. إن سُنّه وسيره النبىّ (صلى الله عليه و آله) والأئمه الأطهار (عليه السلام) حيث تمّ انتخابها واختيارها من قبل هؤلاء العظام، فقد تمّ إلقاؤها - بوصفها سُنّه - من قبل الشارع فى إطار الأحكام الدينيه، واكتسبت قداستها. يقع البحث فى أنه مع هذا الاعتراف بوجود هذه الأساليب والطرق فى الدين، هل يمكن لنا أن نستنبط من الدين نظاماً مشتملاً على القيَم التربويه، بحيث يكون ناظراً ومهيمناً على جميع القوالب وطرق الوصول إلى الملاكات التربويه فى كل زمان

ومكان؟ لا شك فى أن العلوم التربويه تسعى إلى بيان القوالب والمناهج للمسائل التربويه التى تشتمل على دور آلى، بمعزل عن القيم. فإنّ نماذج البرامج التعليميه، والإداره التعليميه، وكيفيه التدريس، ورسم الأهداف التعليميه فى المساحات الثلاث: المعرفيه، والنفسيه - الحركيه والعاطفيه، والنفسيه - والحركيه، والموارد الأخرى، لا تشتمل - من الناحيه العلميه - على منظومه من القيَم الأخلاقيه، بل يمكن توظيفها بوصفها قوالب وأدوات مختلفه ومتنوّعه، فى مختلف الأهداف والغايات. إن العلم يقدّم للتربيه أساليب وقوالب جديده، طبقاً لمقتضى الحياه اليوميه وتغيّر طبيعه العلاقه بين الناس. وإن الذى يؤدى إلى عدم ثبات واستحكام الأساليب المقدّمه لمضمون واحد فى جميع الأزمنه، هو هذا التجاهل بالنسبه إلى منظومه القيَم، وأما النظام التربوى الدينى فإنّه - من خلال الاهتمام بالأهداف والمضامين - يهتم بالأسس التربويه ويسعى إلى تقديم منظومه شامله من القيَم الأخلاقيه فى المسار التربوى. إن قداسه القيَم الحاكمه على النظام التربوى الدينى تنشأ من نفس اختيارها من قبل الله. وإن الذى أدى إلى خلود وثبات الأهداف التربويه فى جميع الأزمنه والأمكنه، هو أن الله قد اختار هذه الأهداف بما يتناسب والبنيه الوجوديه للإنسان. وفيما يتعلّق بمقوله الأساليب والقوالب التربويه يكون البحث عن القيَم ناظراً إلى هذه الناحيه. وإن هذه الموارد - على الرغم من الأسلوب والمنهج - حيث تختص بمنظومه القيَم، يكون الهدف التربوى منها، هو ذلك الأسلوب والمنهج الخاص المرسوم من قبل الله والأنبياء وأوصيائهم المعصومين، ويكتسب لذلك وجهه أخلاقيه، ويصبح داخلًا ضمن منظومه القيَم. وأن الذى يحظى بالأهميه فى حركه الإنسان - بوصفه كائناً متديناً وعاقلًا - هو توظيفه لسلاح الدين والعقل (العلم)، أى المحتوى والأسلوب، أو الأهداف والقوالب.

إنّ الإنسان – كسائر الكائنات الحيه – بحاجه – لكى يواصل الحياه – إلى الطعام والماء والراحه وإشباع غريزته الجنسيّه. فلو أن فرداً أهمل تلبيه احتياجاته الفسيولوجيه، فإنه لن يتمكن من تحقيق الأهداف الإنسانيه والإلهيه. لذلك فإن الملاك فى إشباع هذا النوع من الاحتياجات يكمن فى توفّر النمو والتكامل فى سائر الأنحاء الوجوديه الأخرى. بعباره أخرى: إن السرّ فى اهتمام الدين بكيفيه إشباع الاحتياجات الفسيولوجيه، هو توفير الأرضيه المناسبه للرقى والحصول على الرؤيه الإلهيه والتقرّب من الله سبحانه وتعالى.

إن الدين يرفض كلّ ما من شأنه أن يحول دون الإنسان ودون الاهتمام بالنواحى الساميه من وجوده، ويمنعه من الرقّى، أعم من أن تكون تلك الموانع ناشئه عن التفريط فى القوى الفيزيقيه أو ناشئه عن الإفراط وعدم الاهتمام بالاحتياجات الروحيه والنفسيه.

إنّ الجوع والعطش لدى الإنسان وإن كان يرتفع بتناول الطعام وشرب الماء، بيد أنّ موضوع النزعه إلى رفع الجوع والعطش أمر مغاير لنفس رفع الجوع والعطش. والذى يقع فى معرض الإفراط والتفريط دائماً هو هذه النزعه إلى رفع هاتين الحاجتين، وإلّا فإن الفرد الجائع إذا حصل على طعام وتناوله، فإنه سيخمد شعوره بالجوع إلى حدٍّ ما، ولن تكون لديه حينها أىّ رغبه بتناول أى طعام آخر مهما كان لذيذاً أو شهياً، وهكذا الأمر بالنسبه إلى رفع العطش، حيث لا تكون لديه أى رغبه بنوع خاص من الماء أو أى شراب آخر، فالمهم والثابت عنده هو إطفاء لهب العطش بأىّ سائل صالح للشرب. إن هذه الحاجه لا تعتبر بشكل مباشر حاجه فسيولوجيه وجسديه. بل هى منبثقه من داخل وجود الإنسان، وناشئه عن رؤيته إلى هاتين الحاجتين. بعباره أخرى: إن لدينا حاجه جسديه يمكن رفعها بالكامل من خلال تناول الطعام وشرب الماء، وحاجه نفسيه تدعونا دائماً إلى النشاط من أجل توفير ما

نحتاجه لمواصله الحياه. إن الذى يدعونا دائماً إلى القيام بالأنشطه لرفع الحاجات الحيويه، هو أن الاحتياجات الجسديه تتكرر باستمرار، وعليه فإن هذا النوع من الاحتياجات موجود باستمرار ما دام الإنسان حياً. وأن الذى أوجب عدم الاعتدال وأدى إلى التفريط فى رفع الاحتياجات الحيويه هو الخوض المفرط فى هذا النوع من الاحتياجات. وعليه فإن نقطه الارتكاز فى بحثنا ستدور حول هذه المسأله. إن كلّ ما تمّ طرحه فى الدين فيما يتعلق بتعديل أو توجيه النزعه إلى رفع الاحتياجات الفسيولوجيه، ناظر إلى هذه الناحيه. إذ إن الذى يقع مورداً لخطاب الموضوعات الدينيه هو الذى تكون فيه إمكانيه التخطئه والإصلاح. فى حين أنه فى مسأله إشباع الحاجه الجسديه لا يتطرّق البحث فيه إلى الخطأ والصواب، ليكون موضوعاً للقضايا الدينيه. إن الإنسان بعد تناول الطعاب وشرب الماء، أثناء سلسله من الأعمال الحيويه يشعر بالشبع والارتواء، وعدم الرغبه إلى المزيد. كما يصدق هذا الأمر بالنسبه إلى المقولات الأخرى، من قبيل: النوم، والشهوه الجنسيه، أيضاً. إلا أن الخوض فى هذا النوع من الاحتياجات، لا يكون أمراً طبيعياً على الدوام، ويكون منشأ ذلك فى روح الإنسان ومواقفه. وبهذا اللحاظ، عندما يدور البحث فى الهدايه وتعديل الميول المشتركه بين الإنسان والحيوانات، علينا أن نلاحظ أن سلسله نشاط الإنسان فى إطار رفع الاحتياجات الفسيولوجيه، تختلف اختلافاً كبيراً عن الأنشطه التى تمارسها الحيوانات. فإن الكثير من الحيوانات ما أن تشبع حاجتها إلى الطعام والشراب، حتى تكفّ عن مواصله البحث عن الطعام والماء، إلى حين شعورها بالجوع والعطش مجدّداً. وإذا كانت بعض الكائنات الحيه تعمد إلى ادخار الطعام من أجل ضمان حاجتها المستقبليه فى ظروف غير ملائمه، أو تصنع أعشاشها لتوفير الحمايه لنفسها أو لضمان استراحتها، فإنما تقوم بذلك اتباعاً لغريزه طبيعيه كامنه فى وجودها،

وإن تلك الغريزه تعمل ضمن آليه ميكانيكيه خاصه، ولذلك لا نجدها تشطّ أو تتغيّر فى أسلوب وكيفيه جمع الطعام أو بناء الأعشاش وغير ذلك. وأما مسأله توفير ما يحتاج إليه الإنسان من الأمور الحيويه، فإنه يُطرح على مستوىً أعلى، تؤثر فيه الميول النفسيه وكذلك الإختيار والإراده فى كيفيه الأساليب المختاره وتطبيق تلك الأساليب على أرض الواقع. إذ يطرح البحث فى كيفيه الإشباع فى مستوى أعلى من الحياه الحيوانيه، حيث يكون ناظراً إلى الحياه الإنسانيه. وأن رؤيه الدين تجاه هدايه الميول المشتركه تطرح نفسها أيضاً بالالتفات إلى هذه الناحيه من الميول الإنسانيه، وإن أهم مسأله تطرح فى الرؤيه الدينيه بشأن الميول المشتركه وهدايتها وتعديلها، إنما تكون بالالتفات إلى ارتباط هذا النوع من الميول بالميول الخاصّه بالإنسان، وخاصّه ميوله المتساميه والمتعاليه. إن ما ترسمه الأهداف الوسيطه هو المسار الذى يؤدى بالإنسان إلى الله سبحانه وتعالى. ومن ناحيه أخرى فإن مقدار اهتمامنا بالميول المختلفه يحدّد جهه مسارنا. فإذا كانت الهيمنه للميول المشتركه على الميول الخاصه، فإن جهه مسارنا ستنحرف نحو تلك الأمور المشتركه، ويكون هناك عدول من ناحيتنا عن الأهداف النهائيه. ومن وجهه نظر الدين لا ينبغى للإنسان أن يركز اهتمامه على الأمور التى هى مجرّد أدوات ومقدمات للوصول إلى الأهداف المتعاليه. ومن هنا عندما يطرح البحث بشأن هدايه الميول المشتركه وتعديلها من وجهه نظر الدين، يرد هذا السؤال إلى الذهن: ما هى السبل التربويه التى يتخذها الدين من أجل توظيف الميول المشتركه فى مواضعها؟ إن سلسله الأحكام والقوانين والتعاليم الدينيه فى هذا الشأن، يعكس الاهتمام الكبير الذى يوليه الدين من أجل تعديل هذا النوع من الميول. وسنعمد فى هذا البحث إلى دراسه أربعه أنواع من الميول الأساسيه المشتركه بين الإنسان وسائر الكائنات الحيه، وذلك على النحو الآتى:

أ) هدايه وتعديل إشباع الجوع والعطش

كما تقدّم أن ذكرنا، فإن الدين يرى أن الاهتمام ببعض الاحتياجات والميول الطبيعيه، من قبيل: الجوع والعطش وما إلى ذلك، ورفع هذه الحاجات، يخضع لضوابط خاصه، وإن العدول عن هذه الضوابط يعدّ بمنزله الخروج والجنوح عن المسار الذى ينتهى بنا إلى الأهداف والغايات النهائيه. ومن وجهه نظر القرآن الكريم يمكن تلخيص هذه الضوابط فى المحورين الآتيين:

المحور الأول: موقف الإنسان من رفع الجوع والعطش: عندما يتحدّث القرآن الكريم عن مسأله الأكل والشرب، يعمل على تذكير الإنسان بهذه النقطه، وهى أن عليه أن لا يتخذ - تجاه هذه المسائل الحيويه - نفس الرؤيه والموقف الغريزى الذى نراه عند الحيوانات، عندما تروم تلبيه هذه الاحتياجات، فتقوم بكل ما بإمكانها للحصول على مبتغاها. ومن زاويه القرآن الكريم فإن الاستفاده من هذه النعم متوفّره لكلٍّ من الكافر والمسلم على السواء، غايه ما هنالك أن الكافر يتمتع بهذه النِعَم كما تتمتّع النَعَم، فى حين أنّ للمسلم تجاه ذلك رؤيه أخرى. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم:

إِنَّ اللّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ وَ النّارُ مَثْوىً لَهُمْ١ .

فالمؤمن لا يحشر نفسه فى دائره ضيّقه من الغرائز، فهو على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد تكفّل برزقه وما يحتاج إليه فى حياته، وأن ابتعاده عن الممارسات غير المشروعه فى هذا المجال، لا تدخله فى مأزق حرج. وفى ذلك نجد القرآن الكريم يقول:

- قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ١ .

- يا أَيُّهَا النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ٢ .

إن سلوك الانسان المتديّن فيما يتعلق بموضوع الأكل والشرب، يقع ضمن دائره متكامله تحتوى على سائر اهتماماته الأخرى، ومن أهمها، التقرّب من الله سبحانه وتعالى، والتوكّل عليه فى الحصول على الرزق. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم:

إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ٣ .

إنّ الانسان الذى يتمتع بهذه الرؤيه ويتسلّح بهذا الفهم، نجده - عندما يسعى إلى رفع احتياجاته - لا يحاول التعدّى على حقوق الآخرين أبداً. فهو على اطمئنان من اتساع الأسباب والعناصر الدخيله فى الحصول على الرزق، وأنه لن يواجه طريقاً مسدوداً فى ما يتعلق بتلبيه مطالبه ورفع احتياجاته، ولذلك لا تجد منه ميلاً إلى التكالب على جمع الأموال والجشع فى طلب المزيد. وإن أهم أمر يطرح نفسه فى بحث هدايه وتعديل النزعه المذكوره، هو الإعراض عن الله وعدم الاطمئنان إليه فى بسط الرزق وتوزيع الأسباب الدخيله فى تلبيه هذا النوع من الاحتياجات الحيويه. إنّ الإنسان المعتقد بالله والواثق برحمته حيث يعمر قلبه الاطمئنان لن يتعرّض للوساوس الشيطانيه التى تدعوه إلى الطمع والجشع والتهالك على حطام الدنيا، ولذلك فإنه يركز كلّ

اهتمامه على ما يؤثر فى تلبيه احتياجاته الجسديه. ومن ناحيه أخرى فإن الانسان الذى يرى نفسه عاملاً مطلقاً فى رفع احتياجاته الحيويه، حيث لا يتمسّك بالله، فإنه يتصرَّف على نحو غرائزى، ويقوم ببعض الأعمال التى تبعده عن الله، وعن القيّم الإنسانيه، ويأخذ هذا السلوك بيده إلى تبنى النزعه الماديه واعتبار أن الهدف من الحياه هو الاستفاده القصوى من الملذّات الدنيويه. ولذلك نجده يتهالك فى طلب الدنيا والحصول على مصالحه الشخصيه، وحيث أنه يجعل من الدنيا ولذّاته غايه لاهتمامه، فإنه يفرط فى الاستفاده من المأكولات والمشروبات والانغماس فى سائر الشهوات.

المحور الثانى: نوع وأسلوب إشباع الجوع والعطش: هناك طرق وأساليب متنوّعه لرفع الاحتياجات الحيويه. ففى كل زمان ومكان - وبما يتناسب ونوع تغذيه البشر، والتطوّر العلمى فى الحصول على الإمكانات الجديده، وكذلك الواقع الثقافى والجغرافى وما إلى ذلك من الأمور الخارجه عن بحثنا - هناك أساليب مختلفه تدخل فى عمليه توفير ما يحتاج إليه الإنسان من الأمور الحيويه. وأن هذه الأساليب لا تحتوى على جنبه أخلاقيه. فمن باب المثال: إنّ طريقه انتاج محصول، وطرق توفير مختلف أنواع الأطعمه، من الأمور التى لا تحتوى على أى اتجاه أخلاقى، ولم يتطرّق الدين إلى بحثها. وبطبيعه الحال وكما تقدم أن أشرنا، فإن رؤيه الإنسان المسلم لهذه الأمور والمفاهيم تنطلق من رؤيه إلهيه تضعه ضمن حدود خاصه، وعلى الرغم من تحكّم الإنسان فى الأساليب الجزئيه للحصول على الرزق، إلا أن هذا لا يعنى عدم سياده الهدف والغايه وهيمنتهما على الأساليب والطرق المستخدمه. نحن نعتقد أن بإمكان الإنسان - من خلال توظيف طاقاته ومواهبه التى زوده الله بها - أن يستفيد الاستفاده القصوى من الطبيعه فى سياق رفع احتياجاته ومتطلباته، إلا أنه يعمل على توظيف هذه الطاقات والإمكانات فى

سياق تلبيه مطالبه الحيويه من خلال الالتفات إلى أهدافه، ويعمد إلى بذل الجهود والسعى إلى استثمار الطبيعه انطلاقاً من غاياته الخاصه.

إنّ المناخ المهيمن - فى الرؤيه الدينيه - على سلسله الأنشطه الحيويه، ينطلق من الهدف الذى يتمّ تحديده ورسمه لهذا النوع من النشاط. فحيث يكون الهدف العام هو الحصول على القرب الإلهى والأهداف المتعاليه، سوف تتحدّد وظيفه كلّ مسلم فى المسير على الطريق الذى ينتهى إلى هذه الغايه، ورعايه الأسس والقوانين التى من شأنهاأن تفضى إلى الأهداف المذكوره. ومن وجهه نظر الإسلام، فإنّ الأسس الحاكمه التى تهيمن على طرق الارتزاق، والأنشطه التى تؤدى إلى تلبيه الحاجه إلى إشباع الجوع ورفع العطش بشكل عام، عباره عن:

- حِلّيه وطيب الأطعمه والأشربه:

تعنى الحِلّيه هنا، رضا الله عن استهلاك وتناول الأطعمه والأشربه، وطرق الحصول عليها. ولكن أحياناً لا تكون طرق الحصول على الأطعمه والأشربه صحيحه، وإن لم يكن تناولها حراماً فى نفسه. من قبيل: عدم رعايه الموازين الشرعيه فى معامله الحيوان الذى يؤكل لحمه. وأحياناً بغض النظر عن طريقه الحصول على الطعام، يكون ذلك الطعام فى نفسه غير طيّب، من قبيل: لحم الخنزير المحرّم فى نفسه. وعلى كلّ حال، فإن الحصول على الأطعمه والأشربه غير الطيّبه، يجب أن لا تدخل فى دائره نشاط الإنسان الذى يؤدى إلى إشباع رغبته وحاجته إلى رفع الجوع والعطش، سواء علمنا عِلّه خبثها وعدم طيبها، من قبيل: الأطعمه الفاسده والمتفسّخه، أو لم نعلم، من قبيل: المشروبات الكحوليه والكثير من المحرمات الأخرى التى لم يطلعنا الله على أسباب حرمتها وخبثها. هناك مجموعه من الآيات القرآنيه التى تتحدّث عاده عن اشتراط طيب وطهاره الأطعمه والأشربه، وحِلّيه طرق الحصول عليها

بشكل رئيس، من قبيل: قول الله سبحانه وتعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمّا فِى الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ١ .

- الشكر وعدم الطغيان والعصيان:

يتعرّض الناس وبشكل عام - على الأخص فيما يتعلق بضمان المعاش لتلبيه هذه النزعه النفسيه، والتغلّب على الاضطرابات الناشئه من الحاجه إلى الطعام والشراب - إلى الطمع والأثره، مما يشكل ظلماً بحقّ الآخرين. ومن ناحيه أخرى، فإن الشعور بالغنى - بعد ضمان الإنسان لما يحتاجه فى معاشه - يُعدُّ الأرضيه للطغيان والتمرّد على الله وعدم شكره. ومن وجهه نظر القرآن الكريم، فإن نتيجه هذا التمرد الناشئ عن الطمع والأثره والشعور بعدم الحاجه هو البُعد عن الهدف الغائى، والتهالك على طلب اللذه. قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٢ .

- وَ مِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَهً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٣ .

هناك بون شاسع بين سلوك الانسان الذى يرى نفسه مصوناً عن الانحراف والزلل فى دائره القوانين الإلهيه، وسلوك ذلك الانسان الذى يتهالك على طلب المزيد من الماديات، والغارق حتى هامته فى المعاصى والذنوب. إن النتيجه والثمره المترتبه على رعايه الحدود الدينيه - فيما يتعلق بالاستفاده من النعم الإلهيه - هو الشكر فى مقام القول والعمل. وفى الحقيقه، فإن الشكر يضرب بجذوره فى الأسس الفكريه للإنسان، فيما يتعلّق بمصدر

رزقه وهو الله سبحانه وتعالى. ومن وجهه نظر القرآن، فإنّ الشكر وأداء الحق، من أبرز أهداف بَسط الرزق من قبل الله للإنسان. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ١ .

- وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ أَ فَلا يَشْكُرُونَ٢ .

وعليه، يمكن لنا أن نعتبر الشكر - بوصفه هدفاً مباشراً - فى سلسله الأهداف الوسيطه.

- مشاركه الآخرين فى النعم الإلهيه:

إنّ من بين الأسس والقواعد الحاكمه على الأهداف الوسيطه، هو إقامه نوع من العلاقه بين المتمكنين والعلماء والفقراء والأميين. فإن تقدّم الانسان واستفادته من النعم الإلهيه على نحو منفرد، لن يكون ميسوراً على النحو المطلوب. بعباره أخرى: إنّ أرضيه التطوّر والنمو والرقّى ورفع الموانع أمام التكامل، إنما تكون من خلال إقامه التعاون، وإقامه العلاقات المتبادله والنافعه بين الناس. فإن التعاون بين أبناء البشر يشمل الجوانب الثقافيه، كما يشمل رفع الاحتياجات الماديه أيضاً. كما تمّ التأكيد فى القرآن الكريم كثيراً على تعاون الناس من أجل القضاء على الفقر، إذ يقول تعالى: فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ٣ . ويقول تعالى أيضاً: فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ٤ . ويسعى إلى تجسيد هذا الأمر الهام وتطبيقه على الواقع العملى، من خلال إقامه منظومه التعاون فى

صیغه إقرار الخمس والزکاه والإنفاق، وهناک من الآیات القرآنیه ما یشجب الطمع والإسراف فی المأکل والمشرب. قال الله تبارک وتعالی: وَ کُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ ۱ .

ب) هدایه وتوجیه النزعه إلی النوم

إنّ من بین المیول المشترکه بین الإنسان وسائر الحیوانات، نزعته أو حاجته إلی الاستراحه. وتعود هذه النزعه بجذورها إلی طبیعه الترکیبه الوظیفیه لأعضاء الإنسان. بعباره أخری: إن نزعه الإنسان إلی الراحه والنوم، تأتی کاستجابه إلی الهروب من المشاکل والحصول علی السکون والتخلّص من وعناء التعب والنصب، واستعاده القوی المنهکه، وبشکل عام إعاده التوازن الفسیولوجی لوظائف أعضاء الجسد، بید أن النفس الإنسانیه التی تمیل إلی الدعه والکسل، تدعوه علی الدوام إلی طلب المزید من الرکون إلی الراحه المستمره والمقرونه بطلب اللذّه، بما یتجاوز مجرّد الحاجه الضروریه إلی تحصیل التوازن الفسیولوجی. إن الذی ننشده بوصفه هدفاً وسیطاً فی سلسله الأهداف الدینیه، من أجل الحصول علی التوازن فی طلب الراحه، یتجلی مصداقه الأهم فی ظاهره النوم. وفی الحقیقه، إن النوم یعتبر هو المصداق الأبرز لنزوع الإنسان إلی الحصول علی الراحه والتخلّص من التعب. یعتبر النوم من وجهه نظر القرآن نوعاً من الحصول علی الراحه وتجدید القوی. قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً۲ .

لا شک فی أن الإفراط والتفریط سیکونان سبباً فی عدم الحصول علی الهدف المنشود وهو الحصول علی الاستراحه الضروریه، وإن نتیجه هذا الإفراط

والتفريط تؤدى إلى نوع من الاضطراب فى سائر الأفعال والنشاطات الحيويه الأخرى للإنسان، وبالتالى فإنهما يشكلان مانعاً وعقبه أمام تكامله ورقيّه. من هنا فإن النوم والاستراحه إذا كانا بمقدار الحاجه فلا يكونانِ ضروريين فحسب، بل سيكونان عنصرين هامّين فى التكامل الروحى والمعنوى.

ج) توجيه وهدايه الرغبه الجنسيه:

إنّ من بين الميول المشتركه الأخرى بين الإنسان والحيوان، نزوعه إلى الرغبه الجنسيه تجاه الشريك، وإقامه نوع من العلاقه معه. إنّ الإنسان فى تلبيه حاجته إلى الطعام والشراب بغيه إشباع جوعه أو عطشه لا يضطرّ إلى الارتباط بالآخرين، إذ يمكنه العمل على ذلك بشكل منفرد، وأما فيما يتعلق برغبته الجنسيه فيوجد هناك نوع من الارتباط، وإن تلبيه الانسان لحاجته الجنسيه تستلزم تلبيه لحاجه الطرف المقابل أيضاً. وفى الحقيقه، إن الإنسان طبقاً لسلسله من الآليات الغريزيه - النفسيه، يعمل على تلبيه حاجته الجنسيه، ولتلبيه هذه الحاجه يقيم علاقه مع الآخر، ويعمل على إشباع رغبته وغريزته الجنسيه أيضاً. ولا شك فى أن البحث بشأن هدفيه وهدايه الرغبه الجنسيه، يجب أن يتمّ من خلال الالتفات إلى هذه الحقيقه. وعلى هذا الأساس، فإننا إذا عمدنا إلى تحليل ماهيه الرغبه الجنسيه سنواجه عاملين هامين فى هذه النزعه، وهما:

١. تلبيه الحاجه الجنسيه.

٢. العلاقه الحاصله فى سياق تلبيه هذه الحاجه الجنسيه.

تلبيه الحاجه الجنسيه:

يدور بحثنا حول هدايه وسيطره الإنسان على غريزته الجنسيه وتلبيته لهذه الحاجه الغريزيه فيما يتعلق بكيفيه تعاطيه وتلبيته لهذه الغريزه، ونحن نسعى إلى بيان موقع هذه النزعه فى تكامل الإنسان من الناحيه الدينيه. وكما

تقدّم أن ذكرنا، فإن جميع التعاليم الدينيه جاءت فی سياق الاهتمام بالإمكانات الوجوديه للإنسان وتركيبه خلقه. بعباره أخرى: إن الدين - بالالتفات إلى البنيه الوجوديه والحاله النفسيه للإنسان - قد رصد مجموعه من الأهداف التی يمكن تحقيقها، وقد أقيمت جميع الأحكام والأوامر الإلهيه على قاعدتها. ومن بين الأمور التی حضيت باهتمام الدين بشكل خاص، وتم وضع الأحكام والقوانين الدينيه الخاصه لها، هی مسأله الحاجه الجنسيه. إن أهم مسأله فی باب تلبيه الحاجه الجنسيه - بوصفها هدفاً وسيطاً - هو تلبيه هذه الحاجه. تعتبر تلبيه هذه الحاجه من وجهه نظر الإسلام أمراً يتناسب مع تركيبه الإنسان الوجوديه، إلا أن كلاً من الإفراط والتفريط بشأن هذه الغريزه يؤدی إلى نتائج سلبيه. ويعود سبب الاهتمام الكبير الذی يوليه الدين لهذه المسأله إلى أنه يعمل على تلبيه الحاجه الجنسيه والنفسيه للانسان، كما يلبی رغباته الفطريه الأخرى من قبيل: نزعته إلى حبّ الأولاد أيضاً. فهناك فی الإسلام مجموعه من التعاليم الخاصه الوارده فی إطار هذه الرغبه، سواء على مستوى الآيات القرآنيه أو الروايات الوارده فی السُنّه الشريفه، حيث تشير إلى رفع الحاجه الجنسيه وتلبيتها من خلال الزواج، مع التصريح برفض الإعراض عن الزواج تحت ذريعه الفقر وما إلى ذلك، وإليك بعض النصوص الدينيه فی هذا المجال: قال تعالى:

- وَ أَنْكِحُوا الْأَيامی مِنْكُمْ وَ الصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ .(۱)

- روی عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: (ما بُنِیَ فی الإسلام بناء أحبّ إلى الله وأعزّ من التزويج).(۲)

۱- (۱)) النور: ۳۲.

۲- (۲)) بحار الأنوار: ۲۲۲/۱۰۳.

- وروى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أيضاً أنه قال:

(النِكاحُ سُنَّتی فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتی فَلیَسَ مِنّی).(۱)

وعلى هذا الأساس فإن تلبيه الحاجه الجنسيه تتخذ فی الإسلام شكلاً محدداً، ويتمّ طرحها ضمن هذه الآليه المحدّده. حيث نجد الآيات والروايات من خلال حثّ الإنسان وتشجيعه على الزواج، تعمل على منعه وردعه عن التهاون فی تلبيه هذه الرغبه والحاجه الضروريه جدّاً، وتضع أمامه الطريق الصحيح لإشباع هذه الرغبه وتلبيه هذه الحاجه. كما أنّ رعايه الاعتدال فی تلبيه الحاجه والرغبه الجنسيه، من جمله الموارد التی تمّ التأكيد عليها فی التعاليم الدينيه كثيراً. فإن التفريط فی هذه الحاجه وتجاهل هذه الرغبه وكبتها، لا يُعدّ من الزهد فی شیء أبداً، بل قد تمّ شجب هذا التفريط والتجاهل واستنكاره فی التعاليم الدينيه أيضاً. وذلك لأن ترك الطريقه المنشوده لرفع الحاجه الجنسيه (أی الزواج) أياً كان سببه ودليله، يترك آثاراً سلبيه وسيّئه سواء على الفرد أو المجتمع، بحيث يسلب الإنسان إمكانيه التكامل الروحی والمعنوی. فالشخص الذی يتنكّر لهذه المسأله المهمّه، ولا يعمل على تلبيه هذه الرغبه، ويصرّ على عدم الزواج، إنما يرفض ويتمرّد على أحد أبرز المسؤوليات الاجتماعيه، أی أنه يتنصل عن مسؤوليته الاجتماعيه فی تكفل الأفراد المنضوين تحت مسؤوليته وكفالته. هذا بالإضافه إلى أن عدم الإقبال على الزواج يُضعِف الأواصر الاجتماعيه، حيث تبقى سلسله من الحاجات الإنسانيه فيما يتعلق بالعلاقات مع الآخرين، دون أن تجد من يقوم بتلبيتها والاستجابه إلى مطاليبها. من هنا نجد الإسلام ينبذ الرهبانيه والزهد السلبی فی إطار كبت الغريزه الجنسيه.

۱- (۱)) المصدر: ۲۲۰.

ومن ناحيه أخرى، فإن الإفراط فى إشباع هذه الغريزه، له تبعات ونتائج مدمّره على الإنسان أيضاً. فإن ذلك يؤدى إلى شيوع الفحشاء والمنكر فى المجتمع ويؤدى إلى مخاطر كبيره فيما يتعلق باستمرار النسل أيضاً، قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَهَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَهً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ١ .

هناك تعارض بين الانغماس فى الشهوات، وعدم الاستجابه لنداء العقل، وبين الهدايه والتعالى، وهذا هو السرّ الكامن وراء تأكيد الدين على توظيف الطرق الصحيحه لتلبيه الحاجه الجنسيه أيضاً. بالاضافه إلى ذلك فإن العفه وصيانه العرض رهين بتلبيه الحاجه الجنسيه بالشكل الصحيح، والابتعاد عن المقدمات التى تؤدى إلى الانحراف عن المسار المحدّد. إن التهاون بشأن الأمور التى تدعو الإنسان إلى الإفراط فى إشباع غريزته الجنسيه، وتجنب الأعمال التى تؤدى بالمرء إلى الزلل، وموارد من هذا القبيل، تلعب دوراً هاماً فى هدايه وتعديل الغريزه المذكوره.

وفى هذا الشأن يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ * وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّ ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَهِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ٢ .

العلاقات الناشئه عن الحاجه الجنسيه:

كما سبق أن ذكرنا، فإن الدائره التى تمّ تعيينها من قبل الدين، تعمل على تحديد حريه الإنسان فى تلبيته لهذه الحاجه. إن سلسله القوانين والأحكام الدينيه تشتمل على أساليب خاصه للاستجابه إلى الغريزه الجنسيه والعلاقه بين الرجل والمرأه، وتضعها فى إطار محدّد. إن المنع من الفساد والفحشاء والتحلل والإباحيه، وإقامه العلاقات السليمه بين الرجل والمرأه، لا يقتصر على التشريعات الدينيه فقط، وإنما يتمّ رصدها والاهتمام بها حتى من قبل الأنظمه والقوانين الوضعيه فى إطار إداره المجتمعات البشريه أيضاً. وبطبيعه الحال هناك اختلاف ماهوى بين الأحكام الإلهيه والقوانين الوضعيه. فإن القوانين الوضعيه فى الكثير من الأحيان، وبسبب عدم إحاطه الواضعين بالبنيه الوجوديه للإنسان، لا تكون غير مفيده فحسب، بل وقد تترتب عليها بعض المشاكل أيضاً. أما الخالق سبحانه وتعالى فهو محيط بمخلوقه ومساره الوجودى وبنيته الماهويه، ولذلك يضع له أفضل القوانين والأهداف، وكما أنه أودع فيه غريزه الميل إلى الجنس المخالف، فقد حدّد له طريقه إشباع هذه الرغبه أيضاً. إن الزواج الذى يتمّ طرحه بوصفه الطريق الوحيد فى هذا الاطار حيث يعمل على تلبيه هذه الرغبه الجنسيه، ويؤدى أيضاً إلى صيانه الأسره والمجتمع من الانحراف، ويضمن سلامه الأجيال. إن اجتناب الفساد والفحشاء والضياع، من الأهميه بحيث نجد القرآن الكريم يعتبر الزواج مرادفاً لسائر مظاهر القدره الإلهيه، ويذكره بوصفه علامه وآيه من آيات الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ١ .

ص:٢٥٩

لقد قامت إراده الله سبحانه وتعالى – من وراء خلق الإنسان – بتلبيه حاجته إلى الهدوء والاستقرار والسكينه من خلال قيام الارتباط والعلاقه مع الجنس المخالف. وإن هذه السكينه إنما تتحقق إذا قامت وفق نموذج خاص. وهنا تكمن مسأله فى غايه الأهميه، وهى أن تلبيه هذه الرغبه والحاجه الفسيولوجيه تشكل أرضيه وقاعده لتلبيه حاجات نفسيه ومعنويه أسمى، وإن وراء الرغبه الجنسيه الظاهريه يكمن هدف أسمى يتمثّل بالحصول على السكينه والطمأنينه وبناء العلاقات العاطفيه فى إطار الروابط الأسريه. من هنا فإن العلاقات اللامشروعه وغير المعقوله، وإن كانت تؤدى أحياناً إلى تلبيه الحاجه الجسديه وإشباع الغريزه الجنسيه، إلا أنها لا تستطيع أن تملأ الفراغ الموجود فى نفس الإنسان كايملأُه الزواج الشرعى. وبعباره أخرى: إن التمسك بالطرق غير المشروعه يمكن أن يكون مجرد وظيفه آليه وظاهريه، تخمد الفوره الشَهَويه لدى الإنسان مؤقتاً، ولكن هذا لا يمكن مقارنته بالطمأنينه الثابته والسكون الدائم والمستقر أبداً.

٣. أهداف الإسلام التربويه فى خصوص جسم الإنسان

كما سبق أن ذكرنا، فإن هناك سلسله من الميول المشتركه بين الإنسان والحيوان، والتى تكون بالقياس إلى ميوله الخاصه فى مرتبه أدنى. ومن خلال دراسه الغرائز والميول البشريه، يمكن لنا تصنيفها ضمن إطارين عامين على النحو الآتى:

١. الغرائز والميول التى تقع فى المرتبه العليا، وتكون هدفاً وغايه بالقياس إلى الميول الأخرى، من قبيل: النزعه إلى طلب العلم، والبحث عن الحقيقه، وإثبات الخالق، والخلود، والجمال وما إلى ذلك.

٢. الغرائز والميول التى تقع فى المرتبه الأدنى، ويكون لها دور آلى، ويكون الهدف من ممارستها هو الحصول على القدره اللازمه للتقدّم والتعالى.

من هنا عندما نتحدث عن هدايه وتعديل الميول والغرائز المشتركه، يكون المراد هو التدبّر فى كيفيه توظيف هذا النوع من الغرائز فى المسار المحدّد من قبل الدين. إن لجسد الإنسان - بوصفه وجوداً تؤثر سلامته أو عجزه على حركته نحو الكمال - وظائف خاصه فى سلسله تكاليف الإنسان ومسؤولياته. يجب على الإنسان أن يتمتع بالقدره الجسديه الكافيه ليتمكن من التكامل العلمى والمعنوى والصعود فى مدارج السعاده، وإذا لم تكن لديه القدره الجسديه الكافيه للقيام بالأمور الروتينيه والنشاط اليومى على المستوى الفردى والاجتماعى، وحتى العبادات الظاهريه، فعندها لن يتمكن من التقدّم فى مسار التكامل. وبطبيعه الحال، فإن هذا الكلام لا يعنى أن الحركه فى مسيره التكامل رهينه بسلامه الجسم فقط وفقط، بحيث لا يمكن للعاجز أن يبلغ التقدم والتكامل بنحو من الأنحاء.

فلو أننا تعمّدنا عدم تلبيه حاجاتنا الجسديه، وأدّى ذلك إلى تعرّض أجسادنا إلى الضعف والنحول، بحيث يعوقها ذلك عن التكامل، فإن ذلك لا محاله سيجعلنا مقصّرين من وجهه النظر العقليه والشرعيه. فإذا كانت المشاكل الروحيه والنفسيه، والعجز عن تحصيل العلم والمعرفه، ناشئه عن عدم الاهتمام بالقوى الجسديه، لن يكون لذلك من تبرير عقلى أو شرعى أبداً. عندما يتمّ الحديث عن هدفيه أمور يكون لها تدخل مباشر فى التأثير على صحه الجسد وسلامته، إنما يكون ذلك ناظراً للدور الآلى والمعدّ لها فى عمليه التكامل والتسامى. من هنا يجب الاهتمام بالجسم فى الحدود المطلوبه، وإن العدول عن تلك الحدود إفراطاً وتفريطاً لا يُعدّ صحيحاً من الناحيه الشرعيه، فهو فى كلتا الصورتين لا يخدم الأهداف الإنسانيه العليا، أى الأهداف المرتبطه بالأبعاد الإنسانيه والروحيه والنفسيه. إذ إن ذلك يؤدى إلى التضحيه بها من أجل اللّذه الجسديه المفرطه، أو تجاهلها الناشئ عن ضعف

البدن ونحوله. يعود سبب تأكيد الدين على حفظ سلامه الجسد وصحته إلى أن ذلك يوفّر الأرضيه اللازمه لإمكان النشاط فى مسير التكامل العلمى والمعنوى، ومن هنا تُعدّ رعايه المسائل الصحيه، والعلاج المبكر، والتغذيه المناسبه، والتحرك والاستراحه الكافيه، وما إلى ذلك من الأمور، ضروريه فى نظر الدين الإسلامى. إن الكثير من الأحكام الفقهيه التى تردع الإنسان - بنحو من الأنحاء - عن المحرّمات والخبائث، أو توجب عليه الحكم بطهاره بعض الأطعمه والأشربه، أو طهاره البدن والثياب، تؤدى بالتالى إلى سلامه البدن. وتتجلى هذه الأحكام على شكل الواجبات والمحرّمات والمكروهات والمستحبات والمباحات، مما يعكس دقه اهتمام الدين الإسلامى بالأمور المرتبطه بالجسد.

الفصل الثالث: أهداف الإسلام التربويه فی خصوص علاقه الإنسان بالآخرین

اشاره

إنّ نشـاط الإنسان یشـمل - بالإضافه إلی السـلوکیات الفردیه - سلسـله من علاقاته وارتباطاته بسائر أبناء جنسه الآخرین. إن نزعه الإنسان إلی إقامه التواصل والارتباط مع أفراد الإنسانیه الآخرین، أدی إلی تزایـد اهتمام المـدارس الاجتماعیه والفلسـفیه والعلمیه بهذه الظاهره. إن دائره العلاقات بین الناس لا تقتصـر علی الزمن الراهن والحاضـر فقط، بل تشـمل حتی استثمار المصادر الثقافیه والعلوم الماضـیه التی تربطنـا - بنحو من الأنحاء - بأفراد الإنسانیه فی القرون والعصور القـدیمه، کما یشـمل الأجیال القادمه التی ستعمل علی استثمار التراث الذی سنترکه لهم أیضاً. وعلی هذا الأساس، عندما نبحث فی علاقه الإنسان بالإنسان، لا یقتصر ذلک علی مجرّد الارتبـاط فی قـالب محـدّد أو دائره معیّنه فی الزمن الراهن. إنّ مقوله الارتبـاط بالآـخرین - بالالتفـات إلی التوجهـات المختلفه - تستدعی مواقف تربویه خاصّه. وقد یتخذ هذا الأمر تاره، طابعاً إجتماعیاً، وطوراً، طابعاً سیاسیاً، وأحیاناً، طابعاً اقتصادیاً أو ثقافیاً. وإن کلّ واحد من هذه الأبعاد الارتباطیه الخاصه، یُنظر إلیه بوصفه من المقولات المستقله

والمشتمله على بعد أخلاقى فى عرض المسائل التربويه الأخرى. إن النظام التربوى الدينى، إنما يكون نظاماً حاوياً على الترابط المنطقى بين أجزائه إذا كان - فى عين شموليته - ناظراً إلى جميع الأبعاد الكامنه فى وجود الإنسان. لا شك فى أن مثل هذا النظام سيكون قادراً على توجيه الأفعال الإنسانيه وهدايتها إلى الطُرق الصحيحه فى مختلف المجالات. إن النظام التربوى الدينى بوصفه نظاماً قادراً على تنظيم وتوجيه النشاط والسلوك الإنسانى - بالالتفات إلى مطالبه وحاجاته الوجوديه - هو النظام الحقيقى الوحيد الذى يضمن وصول جميع الناس إلى السعاده. إن من بين أهم المسائل التى حظيت باهتمام الدين، مسأله ارتباط الإنسان بأخيه الإنسان فى مختلف المجالات. وإن بيان الأحكام الدينيه فى هذه المقوله يأتى فى سياق الأهداف الوسيطه الممهده لتكامل الإنسان ورقيّه من أجل بلوغ الأهداف الغائيه.

فى تبويب جامع للأهداف التربويه فى خصوص ارتباط الإنسان بالآخرين، يمكن لنا التوصل إلى تبويب أكثر جزئيه للأهداف الوسيطه بما يتناسب ومختلف الأبعاد الارتباطيه والوجود البارز لناحيه من النواحى الارتباطيه الأخرى. فإذا كنا نبحث فى موضوع الترابط بالنظر إلى العلاقات المتبادله، وطريقه التعاطى مع الآخرين، والوظائف المترتبه علينا تجاههم، وكنا بصدد بيان الأهداف التربويه، فإن تلك الأهداف التربويه ستكون بشكل عام ناظره إلى العلاقات الاجتماعيه، وأما إذا كانت الأبعاد السياسيه أو الاقتصاديه أو الثقافيه هى التى تشكل الركن البارز فى العلاقات والروابط، فإن المسائل التربويه سوف يتمّ بحثها من خلال النظر إلى هذه الأبعاد. وفيما يلى سنعمد إلى تبويب وبحث الأهداف الوسيطه فى خصوص علاقه الإنسان بالآخرين، ضمن أربعه أقسام فرعيه، وهى: العلاقات الاجتماعيه، والعلاقات السياسيه، والعلاقات الاقتصاديه، والعلاقات الثقافيه. وذلك على النحو الآتى:

أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعيه:

اشاره

حيث إن الإنسـان لا يسـتطيع القيام بتلبيه حاجاته بمفرده، فإنه يبادر إلى إقامه العلاقات والتواصل مع الآخرين. إن نزعته إلى تلبيه احتياجاته من جهه، ونزوعه إلى التعالى والكمال من جهه أخرى، يعـدّان دافعين قويين يحفزانه نحو إقامه العلاقات والروابط على مختلـف المسـتويات. وعليه فمن أجـل دراسه الآفـاق الارتبـاطيه بين النـاس فى الإطـار الـدينى، علينـا أن نلتفت إلى الاحتياجـات الأساسـيه للوصول إلى الكمال الـذى هو منشأ هـذا النوع من العلاقات. إن بحثنا بشأن الأهداف الوسـيطه فى هذه المقوله ينقسـم إلى الأهداف الآتيه:

١. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالنبىّ والأئمه وخلفائهم

يحتاج الإنسان إلى التربيه والهدايه الإلهيه فى عمليه رقيّه وتكامله. وعلى الرغم من أننا لا نعيش فى عصـر النبىّ الأكرم (صـلى الله عليه و آله) أو الأئمه الأطهار (عليهم السـلام) بيـد أن بإمكاننا الاسـتفاده من تعاليمهم والسـير على النهج الذى اختطوه لنا، كى لا نقـع فى الانحراف. إن الاهتمـام بالأحـاديث المـأثوره عن المعصـومين (عليهم السـلام) ودراسه سـيرتهم تعرّفنـا بأركـان الهـدايه والتكامل فى النهج الذى أرادوه لنا. فمن وجهه نظر الإسـلام لا تكون الاسـتفاده من الشـرائع الدينيه والأحكام الإسلام ممكنه إلا من خلال التأسـى بنهج وسُـنّه المعصومين (عليهم السلام) فقد رُوىَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال: (لا يُعرَف اللهُ ودينُه وحدودُه وشرائعُه، بغَيرِ ذلك الإمام)(١). ولذلك يجب فى الشريعه الإسلاميه اتباع الولايه التى تبدأ بالنبىّ والأئمه، وتنتهى بالفقيه الجامع للشـرائط (فى عصـر الغيبه)، وصولاً إلى الإمام المهـدى (عـج). رُوىَ عن الإمام محمد الباقر (عليه السـلام) أنه قال: (أفضلُ ما يتقرّب بهِ العِبادُ إلى اللهِ عزّ وجلّ، طاعهُ اللهِ، وطاعهُ رسولِه، وطاعهُ أولى الأمرِ)(٢).

١- (١)) العلامه محمد باقر المجلسى، بحار الأنوار: ٢٩٠/٢۴.

٢- (٢)) الشيخ الكلينى، أصول الكافى: ١۴۴/١.

۲. الأهداف التربويه فيما يتعلق بالمعلِّم أو المتعلِّم

اشاره

إن احتياج الإنسان المتزايد إلى طلب العلم، وخوض مسيره التكامل العلمى والمعنوى، يسوقه إلى إقامه العلاقات والروابط الجديده فى إطار التربيه والتعليم. وقد كان هذا الأمر يتحقق فى الأزمنه السابقه بشكل بسيط يتجلى فى نوع من العلاقه والارتباط المباشر بين المعلِّم والمتعلِّم، بيد أن اتساع مقوله التربيه والتعليم وبناء المؤسسات المستقله فى هذا المجال، أدى إلى تعقيد منظومه العلاقات، وبتبع ذلك أخذت الأهداف التربويه المنشوده تتخذ هى الأخرى منحىً معقداً أيضاً. لسنا نروم - من خلال رسمنا للأهداف التربويه فى سلسله الأهداف الوسيطه من وجهه نظر الإسلام - أن نهتم بجميع الأمور التى تقع موضوعاً خاصاً للتربيه والتعليم المعنوى والعلمى فى مؤسسه التربيه والتعليم، بل إننا نروم بيان الخطوط العامه فى هذا المجال. إن هذه الخطوط العامه والعريضه ترسم التوجهات والأهداف فيما يتعلق بالمعلِّم أو المتعلِّم، وسائر أركان المؤسسه التعليميه والتربويه فى المسار التعليمى.

مسؤوليات المعلِّم تجاه المتعلِّمين

إن رسمنا وتنظيمنا للعلاقه بين المعلِّم والمتعلِّم ضمن الأطر المستنبطه من القواعد العامه فى تربيتنا الدينيه، يضعنا أمام المحورين الآتيين:

أ) مسؤوليه المعلِّم تجاه المتعلِّم فى مجال إلقاء المفاهيم الدرسيه التخصصيه:

- الصلاحيه والكفاءه فى أمر التعليم: إن التدريس والتعليم، من المناصب التى يحتاج المرء فى إحرازها أن يتصف بالاستحقاق واللياقه والتخصّص. إن المعلِّم فى ارتباطه بالمتعلِّم، إنما يكون ناجحاً إذا كان متمكناً وعالماً بموضوع الدرس، وكانت له القدره على نقل المفاهيم إليه. وعليه فإن الدخول فى موضوع دون التخصّص فيه، ونقل المسائل العلميه بشكل ببغائى دون إدراك

مضامینها، لا یساعد الطالب علی الرقّی والتکامل العلمی، بل قد یُضعف رغبته وتعلّقه بذلک الفرع العلمی, رُوِیَ عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

المُتشبّعُ بِما لَم یُعطَ، کَلابِسِ ثَوبَی زُورٍ.(۱)

- أخذ مقدره الطالب الاستیعابیه بنظر الاعتبار عند إلقاء الدرس علیه: إن عدم التفات المعلِّم إلی المستوی العلمی للطالب، وعدم اهتمامه بشروط التعلیم، وإعداد المقدمات اللازمه للدخول إلی البحث، لن یعقّد علیه إدراک المطلب فحسب، بل سیؤدی ذلک إلی عدم رغبته فی مواصله الدراسه أیضاً. ومن هنا، قیل: إن العالم الربّانی هو الذی یعمل علی تعلیم الناس الأمور البسیطه والسهله، قبل تعلیمهم المعارف المعقده والمشکله(۲).

- السعی وبذل الجهد من أجل التعلیم: إن رغبه المعلِّم واندفاعه نحو التعلیم یؤدی به إلی توظیف طاقته فی هذه المهمه الحیویه والهامه، وأن یبذل کلّ ما بوسعه من أجل تعزیز بنیته العلمیه والتخصّصیه، وإقامه الارتباط المناسب بینه وبین المتعلِّمین.

- الاستفاده من عنصری التشجیع والعقوبه: إن من بین الأمور التی یتعین علی المعلِّم أن یلتفت إلیها، هی الاهتمام بعنصری الترغیب والحث، بأن یعمل علی تشجیع الطالب من أجل تعلُّم المزید من المفاهیم الدراسیه، وردعه عن التساهل فی مسأله التعلُّم. لا شک فی أن عامل الترغیب والترهیب یؤدی إلی تحسین المسار التعلیمی.

- تقییم مسار التعلیم وطلب العلم: علی المعلِّم أن یستعمل أسلوباً یساعده فی التعرّف علی نتائج وثمار العملیه التعلیمیه، بحیث یتوصل من خلاله إلی مدی نجاحه فی مجال نشاطه التعلیمی. وتوجد الیوم الکثیر من الأسالیب فی

۱- (۱)) منیه المرید: ۶۰.

۲- (۲)) انظر: صحیح البخاری: ۱، الباب: ۵۳.

هذا الخصوص لتقييم المسار التعليمى على مختلف المستويات، وإن الاستفاده منها تلبى الهدف العام من عمليه التقييم(۱).

ب) مسؤوليات المعلِّم فيما يتعلق بالأبعاد الارتباطيه:

- حسن الأخلاق والتواضع: إن من بين الأوجه الضروريه فى العلاقه القائمه بين المعلِّم والمتعلِّم، مراعاه حسن الخلق. رُوىَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

إنّ للعالِم ثَلاثَ علاماتٍ: العلم، والحلم، والصمت.(۲)

إن تواضع المعلِّم أمام الطالب يخلق لديه حافزاً قوياً يدفعه نحو بذل مزيد من الاهتمام بالمضامين التى يلقيها المعلِّم أثناء الدرس، وقيامه بعمليه التعليم. ولكى نقيم العُلقه العاطفيه بين المعلِّم والمتعلِّم، على المعلِّم أن يكون هو من يأخذ زمام المبادره إلى ذلك، ولا يبقى بانتظار الطالب ليكون هو من يقوم باتخاذ تلك الخطوه. إن المعلِّم الناجح هو الذى يحتفظ بمكانته العلميه الرصينه، ومع ذلك يكون قادراً على التأثير فى كوامِن الطالب الوجوديه والعاطفيه أيضاً.

- العمل على بذل العلم: من بين المسؤوليات الأخرى الملقاه على عاتق المعلِّم، هو أن يسعى إلى بذل العلم الطلّاب. فإن فى تحصيل العلم والمعرفه والعلم بكيفيه إيصالهما إلى الطلّاب خدمه جليله لهم، وطريقاً إلى تكاملهم المعرفى. عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: قرأتُ فى كتاب علىّ (عليه السلام): (إنّ اللهَ لَمَ يأخُذ على الجُهّال عهداً بطَلَبِ العِلم، حتّى أخَذَ على العُلَماءِ عَهداً بِبَذلِ العِلمِ لِلجُهّالِ)(۳).

۱- (۱)) جدير ذكره أن كيفيه الارتباط بين المعلِّم والمتعلِّم إنما تستنبط - فى المستوى العام - من خلال النصوص الدينيه، ومن هنا فإن الاستفاده من الأساليب المذكوره فى العلوم التربويه، وبخاصهٍ علم النفس التربوى، يساعدنا فى الوصول إلى هذه الأهداف التربويه.

۲- (۲)) أصول الكافى: ۸۶/۱، كتاب فضل العلم، الباب الخامس، صفه العلماء، ح: ۷.

۳- (۳)) منيه المريد فى آداب المفيد والمستفيد: ۱۸۵، نقلاً عن أصول الكافى: ۴۱/۱، كتاب فضل العلم، باب بذل العلم، ح الأول.

- ضروره التطابق بين سلوك المعلِّم وقوله: إن الكثير من المفاهيم تحتوى على قيمه أخلاقيه، وإذا أضحت ضمن هذه الغايه جزءاً من المحتوى التعليمى، وجب أن تظهر على شخصيه الانسان وسلوكه، ولذلك يجب قبل كل شىء ترسيخ هذه المفاهيم فى عمق شخصيه المعلِّم وأفعاله وسلوكياته. فقد رُوىَ عن الإمام علىّ (عليه السلام) أنه قال: (ثَمرةُ العِلمِ العَمَلُ بهِ)(۱). وعنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: (العِلمُ بغَيرِ عَملٍ وَبالٌ)(۲). وعليه فإن تأثير السلوك والعمل على الطالب منوط بمحوريتهما فى دائره نشاط المعلِّم. وبالإضافه ذلك فإن اتخاذ عنوان: (المعلِّم) يعنى تحمّل سلسله من المسؤوليات والأسس الأخلاقيه التى يجب أن تنعكس على سلوك المعلِّم، مهما كان مضمون التعليم لا يحمل قيمه أخلاقيه. وفى الحقيقه، فإن التأثير الأخلاقى للمعلِّم رهين بسلوكه النهج الأخلاقى فى تصرّفاته وأفعاله.

- تربيه الطالب على إخلاص النيه: إن المراد من إخلاص النيه فى مسار العمليه التعليميه، هو أن يسعى المعلِّم من أجل وضع المتعلِّمين على السِكّه المؤديه إلى الهدف النهائى والغائى، وأن لا يغفل عن الحالات الروحيه، وتقديم الرؤيه الصحيحه. وعليه تذكير المتعلِّمين بأن العلم ليس سوى وسيله وآله، وأن الهدف الهام هو كيفيه الاستفاده من هذه الوسيله للوصول إلى الهدف النهائى المنشود.

- إيجاد الرغبه لدى الطلاب إلى تحصيل العلم والمعرفه: يجب على المعلِّم أن يعمل على تشجيع المتعلِّمين على طلب العلم من خلال استخدامه لمختلف الأساليب المشوِّقه، بحيث يبادرون إلى طلب العلم والمعرفه برغبه من أنفسهم، وليس بضغط من العوامل الخارجيه. ويعتبر إخلاص المعلِّم

۱- (۱)) غرر الحكم ودرر الكلم: ۳۲۷.

۲- (۲)) المصدر: ۸۵.

للطالب عنصراً هاماً فی خلق الرغبه لدیه إلی المضامین الدراسیه والتعلیمیه. ونعنی بالإخلاص، تعاطف الأستاذ مع الطالب، وإدراکه لاحتیاجاته، والعمل علی تلبیه مطالبه، فإن ذلک یعتبر خیر وسیله لرفع الکثیر من المشاکل التی یعانی منها طالب العلم. ومن بین الأمور التی تؤدی إلی إیجاد الحافز والدافع لدی الطالب إلی تحصیل العلم والمعرفه، سؤال المعلم عن أوضاع المتعلِّمین، مع مراعاه المساواه بینهم فی النظره والمحبه والبسمه.

بالالتفات إلی ما ذکر بشأن کیفیه العلاقه بین المعلِّم والمتعلِّم من وجهه نظر الإسلام، نتوصّل إلی نتیجه مفادها أن الاهتمام بالأمور الجزئیه للطلاب، والعنایه بمطالبهم فی غایه الأهمیه. إن هذا الأمر ینطبق علی نوع من النظام التعلیمی الذی تکون فیه الأبعاد الوجودیه الخاصه بالمتعلِّم محوراً للاهتمام. إن الاختلاف القائم بین المتعلِّمین من حیث الاستعداد أو الحاجات أو الإرادات، یحظی بأهمیه خاصه، وإن الاهتمام بهذه الأمور یکون سبباً فی ازدهار النظام التعلیمی بشکل ملحوظ. وعلی هذا الأساس، فإن النظام التعلیمی الذی لا یأخذ الاحتیاجات الفردیه لشخصیه الطالب بنظر الاعتبار، ویذیبها فی الدائره الجماعیه، لا یمکن له أن یلبی مطالب النظام التعلیمی المنشود من وجهه نظر الإسلام.

۳. الأهداف التربویه فیما یتعلّق بالارتباط بالوالدین:

اشاره

إن استمرار مسیره الإنسان وبقاء نسله فی منظومه الخلق یکمن فی وجوده، وأن دور الانسان فی بقائه ونمائه وتوجیه نسله یعود بجذوره إلی أعماق وجوده وماهیته. لقد تعلقت مشیئه الله سبحانه وتعالی بأن یکون الوالدان واسطه لفیضه الإلهی، وأن یلعبا دوراً محوریاً فی استمرار الحیاه وبقائها. وقد أولی الله سبحانه وتعالی أهمیه کبیره لهذا الدور فی سلسله

الخلق. وعندما ينطلق الحديث عن الأهداف التربويه الدينيه فيما يتعلق بعلاقه الأولاد بالوالدين، لا يكون ناظراً إلى نوع جديد من الارتباط. فقد أودع الله حبّ الوالدين فى جبلّته وتكوينه. إن حبّ الولد لوالديه ليس أمراً اعتبارياً أو تشريعياً، وإن توسط الوالدين فى عمليه خلق الولـد والمحافظه عليه ورعايته، يُشـكل حاضـنه طبيعيه لحبّ الولـد لهما. وإن السياسه الدينيه فى خصوص العلاقه القائمه بين الأولاد والآباء تقوم على أساس تعديل علائقهم. وبشـكل خاص يمكن طرح الإفراط فى متابعه الأبناء للآباء والأجداد فيمـا إذا لم تبلغ حـدّ المواجهه العلنيه مع الله سـبحانه وتعـالى، بوصـفها نموذجـاً من التعـديل فى نوع العلاقات القائمه بين الأولاد والآباء. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّا ذُرِّيَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ١ .

- وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَهٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّ قالَ مُتْرَفُوها إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ٢ .

كما ينتقد القرآن الكريم ويشجب سياسه التبعيه للأسلاف فى موقفهم الخاطئ فيما يتعلق بعباده الأصنام والأوثان، والإعراض عن الله سبحانه وتعالى، ونجد القرآن الكريم يقول فى بيان الحوار الذى دار بين النبىّ إبراهيم (عليه السلام) وقومه وأقاربه على النحو الآتى:

- إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هـذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِى أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ * قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ * قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ٣ .

- وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ١ .

وعليه فإن من بين أهداف الإسلام التربويه بخصوص العلاقه بين الأولاد والوالدين، هو الاحتراز من اتباع الأبناء للآباء فى سلوكياتهم الباطله وتصرّفاتهم الخاطئه. إن هذا التحرّز هو نوع من التحرّز التربوى الذى يهدف إلى تعديل محبّه الأولاد لأسلافهم. يرى منطق الدين أن لا شىء ينبغى أن يشكل حاجباً ومانعاً من الوصول إلى الحقيقه، ومن هنا فحيث إن العلاقه العاطفيه بين الأولاد والوالدين قد تشكل سبباً للتمسك بآراء الأسلاف الخاطئه التى تؤدى فى الغالب إلى الضلال والبُعد عن الهدايه، فإنه يسعى جاهداً إلى تعديل هذه العلاقه والخروج بها من حاله الإفراط إلى الحاله الطبيعيه. وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد تجلى فى القرآن الكريم بشكل عام على صيغه عباده الأوثان والشرك بالله والإعراض عن التوحيد، إلا أنه يتجلى فى المجتمعات الراهنه على صور أخرى. إن رغبه الكثير من الأفراد إلى انتهاج المسار العام الذى يسلكه آباؤهم فى الحياه، دون تدبّر للعواقب، أمر مألوف ومتعارف عليه. فإن الأولاد بعد أن يتبنوا القواعد التى تحكم سلوك آبائهم، يعمدون إلى تأطيرها ضمن قوالب جديده للوصول إلى ذات الأهداف التى تجنح فى غالبيتها نحو الاتجاهات الماديه، ظناً منهم أن ذلك يجعل منهم أصحاب رأى جديدٍ مغاير لما كان عليه أباؤهم، فى حين أنهم من خلال إصرارهم على المناهج التى خطّها آباؤهم وأجدادهم، يسيرون على ذات الأهداف حذو القذّه بالقذه، ولكن بعد تغليفها بإطار جديد. جدير ذكره أن الوقوف بوجه التوحيد لا ينحصر بعباده الأصنام والنزعه الماديه فقط، بل له

صور متعـدده، من قبيل: الغرور والعصبيه والتكبّر والانغماس فى المظاهر الـدنيويه، وخاصه فى عصـرنا الراهن، حيث تشـكل هذه الأمثله أبرز مصاديقها.

بعـد بيان هـذا البُعـد التربوى، الـذى سـبق أن أشـرنا إليه فى باب الأهـداف المعرفيه من زاويه أخرى، سـندخل فى بيان الأهداف التربويه من بُعدها الإيجابى.

أ) إحترام الوالدين

مـاذا نعنى بـاحترام الوالـدين؟ ومـا الـذى نعنيه بضـروره رعـايه حرمتهم، وكيف يتعيّن علينا أن نقوم بهـذا الواجب؟ يمكن لنا أن نبحث فى مسأله الإحترام ومراعاه الكرامه من زاويتين:

أ) ما هو منشأ ضروره احترام الآخرين؟

ب) كيف يمكن تحقيق ذلك، وما هى الأدوات التى يمكن لنا توظيفها فى هذا المجال؟

فيمـا يتعلق بالإجـابه عن السؤال الأـول، يجب القول: إن المرء إنما يقوم بعمل إذا كان يلبى حاجته الخاصه بنحو من الأنحاء. وإن أحـد الأمور التى تمتـدّ بجـذورها فى الحاجه الخاصه لـدى الإنسان، هو احترام الآخرين والاعتراف بحقوقهم، مما يلعب دوراً فى رفع احتياجاته. إن اختلاف نشاط الإنسان فى مجال احترام الآخرين يحكى عن قوّه أو ضـعف هـذه الحاجه فى الإنسان. وبشـكل عام يمكن القول: كل امرء يقوم بلعب دور أكبر فى رفع احتياجات الشـخص، ويكون ذلك الشـخص متمتعاً باحترام أكبر عنـده. إن الاختلاـف فى أسـلوب التعاطى مع الآخرين، ومسـتوى الاهتمام بهم ناشـئ عن مقـدار تأثير القوّه الخارجيه فى رفع احتياجات الإنسـان، فهو يعمـل على تلبيه طاقه المساعـد بما يتناسب ومساعـدته. ويتجلى هـذا الأمر فيما يتعلق بعلاقه الإنسان بالله على أعلى وأشد مستوياتها، حيث تتخذ ماهيه الاعتراف بالحق والإقرار بالجميل الذى يستحق الشكر، إلا أن النقطه

التى يجب علينا الالتفات إليها، هى أننا مخلوقون لله، وإن كل ما لدينا إنما هو منه تعالى، وعليه فإن شكرنا لله ليس تلبيه لحاجه الله لأنه تعالى غنىّ عن خلقه. وعليه فإن الاحترام هنا يعنى الشكر، وإن فوائد ذلك تعود إلينا، لا إلى الله.

وإذا تجاوزنا هذه المرحله، نصل إلى مسأله الاحترام فيما يتعلق بالوالدين، والذى يقع بحسب التسلسل فى المرتبه التاليه للعلاقه مع الله. وفيما يتعلق باحترام الوالدين يصعب علينا أن نفصل ماهيه الاعتراف بالحق عن الاحترام. وبعباره أخرى: بالالتفات إلى أن الاعتراف بالحق والشكر بما هو نوع من الوفاء للشخص الذى قام لنا بحل مشكله من مشاكلنا، يتضمن نوعاً من إيصال المساعده والتعاون المتبادل، إلا أن الاحترام يعنى من زاويه أخرى الحفاظ على حرمه الشخص ورعايه منزلته وشأنه. وأن الاحترام بمعنى الاعتراف بوجود حرمه للأفراد يشتمل على معنى إيجابى، ويشتمل على معنى سلبى أيضاً. فأحياناً نحافظ على احترام الآخرين من خلال مراعاه حقوقهم، وأحياناً أخرى من خلال الاجتناب عن الأمور التى تخدش منزلتهم وشأنهم. يرى القرآن الكريم أن رعايه حقوق الوالدين تقع فى طول رعايه حرمه الله، وفى مرتبه تاليه لها. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً١ .

- وَ قَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً٢ .

- وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً...٣ .

- وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً...۴ .

إن هـذا الهـدف من الأهميه بمكان بحيث تمّ التأكيـد عليه بمختلف الأنحاء. فتاره يجعل الله سبحانه أخذ العهد والميثاق واسطه للحفاظ على الاحترام، وتاره يُصرّح بهذه المسأله، وأخرى يحثّ على هذا الأمر من خلال الأمر به.

وأمـا فيمـا يتعلّق بالسؤال الثانى، وما هى الأدوات والسـبل التى يتعيّن علينا توظيفها للقيام بهـذا الأمر الهام؟ فيجب القول: إنّ رؤيه الإسلام - كما رأينا فى ما تقدم من آيات القرآن الكريم - تقوم على أن الإحسان بالوالدين لا ينفك عن احترامهم. إن الإحسان من الأـهميه بحيث يؤدى إلى علوّ مقـام الإنسان، وحصوله على المراتب الساميه، حتى أن الله عز وجل يـذكر أن من أسـباب بلوغ يحيى (عليه السـلام) مقـام النبوّه، هو إحسـانه إلى والـديه. وفى الحقيقه، إن الإحسـان ومـا له من قيمه أنسـانيه يعتبر من الأساليب العامه للوصول إلى الهـدف التربوى المنشود لنا، أى الحفاظ على حرمه الوالدين ورعايه احترامهم. وإن احترام الوالدين إنما يبلغ كماله إذا اقترن بالخضوع وخفض جناح الـذل لهما. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ قَضـى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّـاهُ وَ بِالْوالِـدَيْنِ إِحْساناً إِمّـا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِبَرَ أَحَـدُهُما أَوْ كِلاهُمـا فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً * وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَهِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِى صَغِيراً١ . وبذلك يحصل على العزّه والكرامه والشوكه، تماماً كما يحصل على ذلك من خلال الخضوع والعبوديه لله عز وجل.

ب) الاعتراف بحقّ الوالدين

إنّ من بين الأهـداف التربويه فى الارتبـاط المتبـادل، هو الاعتراف بالحق وشـكر النعم، والمعونه التى تعمل - بنحوٍ من الأنحاء - على حلّ مشاكل الإنسان وتلبيه احتياجاته. وإذا كان الملاك فى الاعتراف بالحق والقيام

بواجب الشكر يعود إلى درجه تدخل العنصر المقابل فى رفع وتلبيه الاحتياج، يجب القول: إن أداء الشكر للوالدين والاعتراف بحقّهم، يأتى بعد الاعتراف بحق الله تعالى، ويقع فى الدرجه الثانيه من الأهميه. إن تقدير جهود الوالدين فى تنميه الأولاد وتقدّمهم، إنما يتحقق من خلال الشكر والاعتراف بحقّهم والقيام بواجب تكريمهم. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِى عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَ لِوالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ١ .

وعلى هذا الأساس، فكما أن كُفران النعمه واجتناب الاهتمام بحقّ المنعم يستدعى العقوبه الأبديه، كذلك الإعراض عن الوالدين والتقصير فى حقّهم يؤدى إلى الابتعاد عن مسير القرب من الله. إن من بين التعاليم التربويه فى الإسلام والذى هو من أبرز مصاديق الاعتراف بحق الوالدين، يتجلى فى طلب الخير والبركه لهما فى إطار الدعاء لهما والذى يعبّر عن نوع من الاتحاد بين الأولاد والأبوين، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقه من خلال طلب الغفران والرحمه لهما، إذ يقول الله تبارك وتعالى: رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ٢ .

إن مسأله الاعتراف بحق الوالدين من الأهميه بحيث إن ضلالهما وانحرافهما لا يشكل مانعاً من طلب الهدايه والغفران والخير والإحسان الإلهى لهما، وهو الأمر الذى صنعه النبىّ إبراهيم (عليه السلام) لهدايه عمّه الوثنى الذى تولى رعايته وتربيته، ولم يوفر جهداً فى طلب المغفره له. وقد حكى الله تبارك وتعالى ذلك عنه بقوله: وَ اغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كانَ مِنَ الضّالِّينَ٣ .

۴. الأهداف التربویه فیما یرتبط بالعلاقه الزوجیه

اشاره

إن من بین أهم وجوه العلاقه بین الإنسان والآخرین - من الناحیه الکمیه والکیفیه - هی تلک العلاقه التی تتجلی فی الارتباط بین الزوجین. وإن هذه العلاقه تعود بجذورها إلی أعماق المیول والاحتیاجات الروحیه والنفسیه للإنسان. وکما أن الله سبحانه وتعالی قد أودع فی قراره الإنسان هذه المیول والاحتیاجات، فإنه قد زوّده أیضاً بإمکانیه تلبیتها والاستجابه لها. وإن ما هو المطروح بشکل محدّد من هدفیه هذا البُعد فی ضبط العلاقه بین الزوجین، هو ذات هذه العلاقه أولاً، وکیفیه هذه العلاقه فی ظلّ تأثیر الضرورات والمحظورات الشرعیه ثانیاً، حیث تتخذ شکلها الخاص، ولا یمکن بلوغ الهدف المنظور والمنشود للدین من إقامه هذا النوع من العلاقات إلا فی إطار هذا الشکل الخاص. وکما تقدم أن أسلفنا فإن الهدف والغایه من الزواج وتکوین الأسره هی استمرار النسل البشری، وإشباع العواطف والمشاعر والحصول علی السکن والطمأنینه. إن أفراد الإنسانیه والمجتمعات البشریه لا یمکنها - من وجهه النظر الدینیه - أن تبلغ الکمال والرقی المتمثل فی القرب من الله، إلا فی ضوء هذه الطمأنینه والسکون. والبحث الذی یطرح نفسه هنا هو بیان کیفیه ارتباط کل فرد بزوجه، وموقع هذا الارتباط من العلاقات الإنسانیه. وفی الحقیقه، عندما ینطلق الحدیث عن کیفیه العلاقه الزوجیه، فإن الذی یکون الاهتمام به فی البین هو عناصر تعزیز بنیه وأرکان الأسره والعوامل التی تؤدی إلی زعزعتها. وإن الذی نبحثه - قبل کل شیء - هو التعرّف علی العناصر الدخیله فی تعزیز الکیان الأسری، والمحافظه علی أرکانه، وما هی العوامل التی یعتبرها الإسلام دخیله فی توثیق أواصر الأسره، ویمنحها الدور الأکبر فی هذا الشأن، لننتقل بعد ذلک إلی البحث عن دور العناصر المذکوره بوصفها من الأهداف التربویه للإسلام فی تنظیم شؤون

الأسره وانسجامها. وبشكل عام، فإن احتياجات الزوج إلى زوجه تنقسم إلى مجموعتين: إحداهما روحيه والأخرى ماديه، وتبعاً لذلك تنقسم العناصر الدخيله فى رفعها وتلبيتها إلى هاتين المجموعتين أيضاً:

أ) تلبيه الاحتياجات الروحيه:

حيث كان الإنسان كائناً عاطفياً، ويرى أن تلبيه الكثير من احتياجاته رهن بإقامه العلاقات مع الآخرين، فإنه يسعى دائماً إلى التواصل مع إخوته فى الإنسانيه لرفع هذه الحاجه الوجوديه. إن لاحتياجات الإنسان جذوراً فى أعماق وجوده، ويمكن تلبيتها عن طريق عناصر وأدوات خاصه. إن بركان الاحتياجات الطاغيه للإنسان لا يمكن أن تخمد إلا بدفء الحنان والمحبه. ومن وجهه نظر الإسلام، فإن السكينه والمحبه تعتبران عنصرين رئيسين فى إقامه العلاقات واستمرارها.

- المحبه: إن الحاجه إلى المحبه، وأن يكون الإنسان محبوباً من قبل الآخرين، تُعتبر من الاحتياجات الرئيسه للإنسان. وفى ذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه و آله):

قَولُ الرَّجُلِ لِلمَرأهِ إنّى أُحِبُّكِ لا يَذهَبُ مِن قَلبِها أَبَداً.(۱)

إن الحياه المفعمه بالمحبه تصلح لأن تكون أرضيه خصبه لتقدم الإنسان ورقيه وتكامله. وإن أهم وأبرز أثر تربوى ناجم عن المحبه يكمن فى تكامل الإيمان وقوّته، حيث ينشأ من الاهتمام بالآخرين، والسعى إلى رفع احتياجاتهم. رُوىَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (العَبدُ كلّما ازدادَ للنِساءِ حُبّاً، ازدادَ فى الإيمانِ فَضلاً)(۲).

وهذا الغير هو الذى يهتم بالآخر بوصفه زوجاً، ويعمل على هدايه

۱- (۱)) وسائل الشيعه: ۱۰/۹.

۲- (۲)) المصدر: ج ۱۱، ح ۱۰.

البصیره من الفحشاء والمنکر، وتوجیهها نحو العفاف والتقوی؛ إذ رُوِیَ عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

جُلوسُ المَرءِ عِندَ عِیالِهِ أحَبُّ إلی اللهِ تَعالی مِن اعتکافٍ فی مَسجدی هذا.(۱)

وعنه (صلی الله علیه و آله) أیضاً أنه قال:

(إنّ المَرَءَ لَیُؤجَر فی رَفعِ اللُّقمَهِ إلی فی امرأَتِه)(۲). وعنه (صلی الله علیه و آله) أیضاً أنه قال:

إذا سَقی الرجلُ امرأَتَه، أُجِر.

وعنه أیضاً أنه قال:

ما مِن امَرأهٍ تَسقی زَوجَها شُربَهً مِن ماءٍ، إلّا کانَ خَیراً لَها مِن عِبادهِ سَنَهٍ.(۳)

وفی المقابل یتم شجب واستنکار النزاع وعدم التعاطنی والانسجام الأُسری؛ لأن المناخ المتشنّج یقضی علی عنصر استمرار الحیاه الأسریه، ونعنی به العنصر المتمثل بالحب والحنان. رُوِیَ عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال:

ملعونهٌ، ملعونهٌ امرأَهٌ تُؤذی زَوجَها. وسَعیدهٌ، سعیدهٌ امرأَهٌ تُکرِمُ زَوجَها ولا تُؤذیهِ، وتُطیعُهُ فی جَمیعِ أحوالهِ(۴).

- السکینه: لقد اعتبر الحصول علی السکینه واحداً من الأهداف الأساسیه من الزواج، إذ یقول الله تبارک وتعالی فی محکم کتابه الکریم: وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ۵ .

إن أُنس الإنسان بالإنسان وشعوره إلی جواره بالسکینه، إنما هو ثمره

۱- (۱)) میزان الحکمه: ۲۸۷/۴.

۲- (۲)) المحجه البیضاء: ۷۰/۳.

۳- (۳)) بحار الأنوار: ج ۱۰۳.

۴- (۴)) المصدر: ج ۱۱، ح: ۱۰.

استمرار المحبه وقيام كل واحد من الزوجين بواجباته تجاه الآخر، ومن هذه الناحيه كان وجود الزوج – من وجهه نظر الدين – إلى جانب زوجه نعمه إلهيه تستحق الشكر والاعتراف بالحق. ومن هنا قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) فى رساله الحقوق:

وحقُّ الزوجهِ أن تَعلمَ أنّ اللهَ عزّ وجلّ جَعَلها لكَ سَكَناً وأُنساً، وتَعلَم أنّ ذلكَ نِعمةٌ مِنَ اللهِ تَعالى عليكَ؛ فتُكرِمُها وتَرفقُ بها، وإن كانَ حَقُّكَ عليها أوجَبَ، فإنّ لها عليكَ أن تَرحَمها لأنّها أَسيرُكَ، وتُطعِمُها وتَكسوها، فإذا جَهِلَت عَفَوتَ عنها.(۱)

وأنّ حسن الخلق والألفه والعفو والصفح وغض الطرف والتغاظى عن الأخطاء، من العوامل الرئيسه فى ترسيخ دعائم السكينه والهدوء فى الأسره. رُوىَ عن الإمام أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) أنه قال:

فَدارِها على كُلِّ حالٍ، وأَحسِنِ الصَحبَه لها؛ لِيَصفو عَيشكَ.

ب) تلبيه الاحتياجات الماديه:

الحاجه الجنسيه: إن هذه الحاجه تعدّ واحده من الاحتياجات البديهيه والفطريه التى تؤدى إلى التواصل واستمرار هذا التواصل، بل إن من بين التفسيرات البارزه فيما يتعلق بالحصول على السكينه إلى جوار الزوج هو التفسير المرتبط ارتباطاً مباشراً بالاستجابه إلى الحاجه الجنسيه. رُوىَ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال:

فَإنَّ لها حَقَّ الرَحمهِ والمُؤانسَهِ، ومَوضعَ السكونِ إليها قَضاءُ اللّذَّهِ التى لا بُدَّ مِن قَضائِها، وذلكَ عَظيمٌ ولا قُوّهَ إلّا بِاللهِ.(۲)

الحاجه الاقتصاديه: إن مسؤوليه الرجل فى تلبيه الاحتياجات الاقتصاديه

۱- (۱)) تحف العقول: رساله الحقوق: ۲۴۱، الحق رقم (۲۰).

۲- (۲)) تحف العقول عن آل الرسول: ۱۸۷، نقلاً عن رساله الحقوق، الحق: ۱۹.

لزوجته تعدّ من بين الأمور التى أكد الإسلام على ضرورتها كثيراً. وقد سألت امرأةٌ رسولَ الله (صلى الله عليه و آله) عن حقّ المرأه على زوجها؛ فقال (صلى الله عليه و آله) ما مضمونه: أن يُطعِمُها مِمّا يُطعِمُ به نفسَهُ، وأن يُلبِسَها مِن جِنسِ ما يَلبَسُ. ورُوىَ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: (إنّ أرضاكُم عِندَ اللهِ أَسبَغكُمُ على عِيالِهِ).(۱)

إن توفير الرفاه فى الأسره وإشاعه روح التسامح، من المسائل الهامّه فى العلاقات الاقتصاديه بين الرجل والمرأه(۲).

۵. الأهداف التربويه فيما يرتبط بالعلاقه مع الولد

اشاره

وصل بنا البحث بشأن سلسله الأهداف الوسيطه - التى تتراوح بين الهدف الغائى وأفعالنا وأنشطتنا الجزئيه - إلى الأهداف التربويه فى إطار العلاقه بين الأولاد والأبوين. إن التواصل مع الأولاد يتبع سلسله من القواعد والقوانين التربويه الخاصه. نسعى فى هذا المقال إلى بيان رؤوس الأقلام والخطوط العريضه التى تساعدنا بنحو من الأنحاء فيما يتعلق بالارتباط والتواصل مع الأولاد وتربيتهم. وهذه الخطوط العريضه هى الأهداف الوسيطه التى يجب أن تكون فى متناول الوالدين بشكل ملموس. نحن لا نرمى إلى بيان كيفيه تربيه الأولاد، والأهداف التربويه من هذه الزاويه، وإنما المهم - بالنسبه لنا - هو بيان الموقف الدينى فيما يتعلق بعلاقه الإنسان مع الآخرين، بمن فيهم الأولاد. بشكل عام، فإن مسأله التعلق بالولد والاهتمام بتلبيه رغباته واحتياجاته الضروريه، تشكل محور تحديد الأهداف الوسيطه فى إطار النظام التربوى الدينى. وبالالتفات إلى التعلق العاطفى والمحبه التى تعمر قلب الوالدين تجاه أولادهما، وتعديل هذه النزعه وتوجيهها نحو الهدف الغائى، يمكن بيان الأهداف الوسيطه فى النظام التربوى للإسلام.

۱- (۱)) المصدر: ۱۹۹.

۲- (۲)) انظر: وسائل الشيعه: ۱۱۸/۱۴.

أ) تجنب الإفراط والتفريط فی تربیه الأولاد

إن لدی الإنسان نزعه فطریه وميلاً خاصاً إلی حبّ أولاده، بحیث نجده علی أتمّ الاستعداد للمخاطره بنفسه من أجل سلامه وأمن أولاده. وإن لهذه النزعه جذوراً تمتدّ فی أعماق وجوده وكیانه. وإن جذور العواطف التكوینیه من معین الخلیقه فی وجود الإنسان، لتتفرّع ثمارها فی دوحه الحیاه عن براعم تتمثل فی الأولاد أنفسهم. إن الشعور بالوحده والتلاحم مع الأولاد یمتدّ بجذوره فی أعماق روح الوالدین. والذی یقع مورداً لخطاب الدین التعلیمی والتربوی هو هذه الناحیه التی تتعرّض علی الدوام للإفراط والتفریط. إن المبالغه والإفراط فی الاهتمام بالولد، أو التقصیر والتفریط فی ذلك یترك تبعات وآثار سلبیه خطیره، ومن هنا نجد الدین یؤكد علی عدم الانزلاق فی الإفراط والتفریط فی هذه الناحیه. وقد شجب القرآن الكریم فی بعض آیاته التقصیر فی حق الأولاد وعدم الاهتمام بهم والتهاون فی تلبیه مطالیبهم، وذلك إذ یقول الله تبارك وتعالی فی محكم كتابه: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْیَهَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِیّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِیراً١ . كما تمّ استنكار قتل الأولاد بسبب جنس المولود أو بسبب المشاكل المادیه، وعدم الاهتمام بعناصر توثیق الروابط بین الوالدین وأولادهما. وقد ذهبت بعض الروایات إلی اعتبار مسأله التفریط وتجاهل حقوق الأولاد نوعاً من العقوق الذی یطال الوالدین من قبل الأولاد. وبعباره أخری: كما یجب مراعاه حقوق الوالدین علی الأولاد، كذلك من الضروری أن یراعی الوالدان حقوق أولادهما. فمن وجهه نظر الإسلام فإن التقصیر فی تلبیه حاجه الأولاد (المادیه والنفسیه) وضیاع شخصیتهم ومصیرهم، سیعرّض الوالدین إلی نقمه الله، ویؤدی إلی عقوق الأولاد. فقد رُوِیَ عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

يَلزَمُ الوالِدَينِ مِن عُقوقِ الَولَدِ، ما يَلزَمُ الوَلدُ لَهما مِنَ العُقوقِ.(۱)

وقد ورد هذا الحديث بصيغه أخرى، حيث قال (صلى الله عليه و آله):

يلَزمُ الوالِدَ منِ الحقُوقِ لوَلدِه، ما يَلزمُ الوَلدَ مِنَ الحُقوقِ لوالدِه.(۲)

وكما أن التهاون والتقصير فى تلبيه الاحتياجات الرئيسه للأولاد يُعدّان مانعاً من تسامى الوالدين، فإن المبالغه فى الاهتمام بهم تشكل أيضاً عقبه أمامهم تحول دون ارتقائهم قمّه القرب من الله سبحانه وتعالى. فإن من أهم العناصر التى تعرّض الوالدين إلى الانحراف والزلل هو هذا الشعور المفرط فى حبّ الأولاد. فهناك من يغوص فى عباب وقعر بحر حبّ أولاده بحيث يستحيل عليه العوده إلى ساحل النجاه. وقد اعتبر القرآن الكريم هذه المسأله واحده من مواطن اختبار إيمان الوالدين، وذلك إذ يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَهٌ وَ أَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ۳ . ويقول سبحانه أيضاً: إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَهٌ وَ اللّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ۴ .

إن بذل الجهود من أجل ضمان الرفاه المادى للأولاد من خلال ارتكاب الممارسات غير المشروعه، تحت ذريعه القيام بواجب الأبوّه أو الأموممه تجاه الولد، وكذلك الامتناع عن الجهاد فى سبيل الله، وغير ذلك من الوظائف والمسؤوليات والواجبات الشرعيه، هى من التبعات والآثار السلبيه لهذا الحبّ المبالغ فيه تجاه الأولاد. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ۵ ، وقال تعالى أيضاً: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ

۱- (۱)) بحار الأنوار: ۹۳/۱۰۴.

۲- (۲)) ميزان الحكمه: ۷۲۳/۱.

أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ١ .

بالالتفات إلى ما تقدم، ندرک أن علاقه الوالدين بأولادهما إذا لم تخضع لملاکات محدده، ولم تکن بمعزل عن الإفراط والتفريط، فإنها تحدث إرباکاً فی تربيه الأولاد، وقد تشکل عقبه دون تمکن الوالدين من طیّ مدارج الرقی والکمال أيضاً.

ب) مسؤوليه الوالدين تجاه الأولاد

إنّ من الضروری جداً أن يتمّ الالتزام بشکل جاد بالتعاليم التی ترسمها الشريعه السماويه فيما يتعلق بتربيه الأولاد. والمراد من تربيه الأولاد هو تنشئتهم فی مختلف المراحل، مع الأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الوجوديه بجميع أنواعها الجسديه والنفسيه والاجتماعيه. وعليه فإن البحث بشأن الأهداف التربويه فی إطار الاهتمام بوظائف الوالدين تجاه الأولاد، والحق الذی لهما عليهم، ناظر إلى تحديد الخطوط الحقوقيه العريضه التی يجب مراعاتها من قبل الوالدين بشکل کامل، ويمکن بيان هذه الحقوق على النحو الآتی:

١. تلبيه احتياجات الأولاد: إن للأولاد - کما هو الحال بالنسبه إلى الزوجه - حقوقاً، ومن أهمها تلبيه الاحتياجات الأوليه، من قبيل: المأکل والملبس والأمن، وکذلک توفير الأرضيه المناسبه لتربيتهم وتقدّمهم. رُوِیَ عن النبیّ الأکرم (صلى الله عليه و آله) أنه قال فی جواب مَن سأله عن حق الولد: (وأن تضعه موضعاً حسناً).(١)

إن التقصير فی تلبيه الاحتياجات الأوليه للأولاد، يُشکل عقبه أمام تکاملهم وبلوغهم المراحل العليا. وعليه، فإن توفير الأجواء المناسبه لتقدّم

١- (٢)) وسائل الشيعه: ١٩٨/١٥، ح ١.

الأولاد ورقيّهم فی مدارج الحياه، يعتبر من أهم الوظائف التی يتعيّن علی الوالدين أن يضطلعا بها. فقد رُوِیَ عن رسول الله (صلی الله عليه و آله) فيما يتعلق بمسؤوليه رعايه الأولاد أنه قال:

كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَن رَعيَّتِهِ. والرَجلُ راعٍ علی أهل بَيتِهِ، وهو مَسؤولٌ عَن رَعيَّتِهِ. والمَرأهُ راعِيَهٌ علی أهلِ بَيتِ بَعلِها وَوَلدِه، وهیَ مَسؤولَهٌ عَنهُم.(۱)

۲. المحبّه: إن من بين أركان تربيه الولد، هو إقامه التواصل المناسب معه علی أساس من الموده والمحبّه؛ لأن المحبّه بوصفها أهم واسطه فی إقامه التواصل، يجب أن تخضع لاهتمام خاص. والمراد من المحبّه فی هذا البحث هو توفير الظروف التی يتلقی فيها الولد دَفقات من المحبّه والمودّه، کی يتم بذلك تجاوز معضله تجاهله وإهماله. هناك الكثير من الروايات المشتمله علی ضروره إبداء الموده والمحبّه للأولاد. ومن ذلك ما رُوِیَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

إنّ الله يَرحَمُ العَبدَ لِشِدّهِ حُبّهِ لَولَدِه(۲) ،

ورُوِیَ عن رسول الله (صلی الله عليه و آله) أنه قال:

مَن قَبّلَ وَلَدَهُ، كَتَبَ اللهُ لَهُ حَسَنَهً. وَمن فَرَّحَهُ، فَرَّحَهُ اللهُ يومَ القيامَهِ.(۳)

وبالالتفات إلی التعاليم الإسلاميه التربويه الأخری، ندرك دلالتها علی هذا الأمر بوصفه واسطه لإقامه الارتباط التربوی بين الوالدين والأولاد.

۳. تربيه الولد: إن البحث بشأن تربيه الولد، هو من أهم الموارد التی أكّد عليها الإسلام كثيراً. إن تلبيه احتياجات الأولاد يمهد الأرضيه لهم لبلوغ

۱- (۱)) مجموعه ورّام: ۶/۱.

۲- (۲)) من لا يحضره الفقيه: ۳۱۰/۳.

۳- (۳)) ميزان الحكمه: ۶۹۹/۱۰.

المراحل التربويه العليا فی طريق التكامل والرقّی. وعلی هذا الأساس، تندرج مقوله التربيه - ضمن ترتيب منطقی - بوصفها هدفاً وغايه لسائر المقولات الارتباطيه بالأولاد. إن تربيه الولد بشكل شامل وواسع يستوعب جميع أبعاده الوجوديه. بحيث إن تجاوز أیّ واحد من هذه الأبعاد، يترك آثاراً لا يمكن تداركها علی مسار حياه الولد وتقدمه. وبشكل عام فإن الخطوط العريضه التی نحتاج إليها فيما يتعلق بتلبيه احتياجات الأولاد، علی النحو الآتی:

- تعلّم العلوم والفنون: فی كلّ زمان تتجدد بعض العلوم والفنون بما يتناسب والاحتياجات الجديده، ويمكن للاطلاع عليها أن يسهم فی حلّ المشاكل المستحدثه. وفی الحقيقه، إن توفير الرفاه والسعاده والأمن فی الحياه رهن بتعبيد طرق العلم والمعرفه والفن، وهنا تتجلّی مسؤوليه الوالدين فی توجيه أولادهما إلی أهميه دور العلم والمعرفه فی الحياه. وبطبيعه الحال، فإن مناهج التعليم تتغير علی الدوام بما يتناسب والتقدّم والتطوّر فی كلّ عصر وزمان. وعليه، فإن تعلُّم الكتابه والسباحه والرمايه وإن كانت تحظی بالأولويه والأهميه فی المجال المعرفی فی عصر النبیّ الأكرم (صلی الله عليه و آله)، حتی رُوِیَ عنه أنه قال:

حَقُّ الوَلَدِ علی والدِهِ أن يُعلِّمهُ الكِتابَهَ والسِباحَهَ والرِمايه.(۱)

وعنه (صلی الله عليه و آله) أيضا:

(علِّموا أولادَكُمُ السِباحَهَ والرِمايَهَ)(۲). كما رُوِیَ عن الإمام علیّ (عليه السلام) أنه قال: (مُروا أولادَكُم بِطَلَبِ العِلم)(۳). وأما فی العصر الراهن، فبالالتفات إلی ظهور الاحتياجات الجديده وتنوّع المضامين التعليميه لا يمكن للإقتصار علی هذه الموارد أن يلبّی أهدافنا فی عمليه تربيه الأجيال فی المرحله الراهنه. وفی الحقيقه، إن كلام رسول الله (صلی الله عليه و آله) إنما هو ناظر إلی

۱- (۱)) ميزان الحكمه: ۷۲۰/۱.

۲- (۲)) وسائل الشيعه: ۲۴۷/۱۲.

۳- (۳)) ميزان الحكمه: ۷۲۱/۱۰.

الحاجه الراهنه، وقد عبّر عنها من خلال أبرز مصاديقها فی عصره، فکما أن السباحه تنقذ الإنسان من الموت غرقاً، بالإضافه إلی کونها ریاضه تساعد علی بناء الجسم والحفاظ علی الصحّه وتقویه البنیه، کذلک فإن الحصول علی الأمن رهن باکتساب المهارات فی هذا الفن، وعلیه، فإن کل ما من شأنه أن یقوم بهذه الوظیفه، یکون مندرجاً تحت العنوان الذی حثّ الرسول (صلی الله علیه و آله) علی تعلّمه. وعلیه، فإن الخط التعلیمی العام، یتحدد من خلال الالتفات إلی المصادیق والمضامین المختلفه الراهنه التی تعود فی منشئها إلی الاحتیاجات المستحدثه، وتتخذ أشکالاً جدیده ومعاصره.

- تعلم الآداب والتربیه الأخلاقیه: إن من بین موارد تعلیم الأولاد، هو تعلیمهم الآداب والسنن الحسنه والتربیه الأخلاقیه، وإن تنمیه فضائل الأخلاق لدیهم والحیلوله دون تلوثهم بالرذائل، من أهم نتائج تربیتهم الأخلاقیه. فقد رُوِیَ عن الإمام أمیر المؤمنین علیّ (علیه السلام) أنه قال:

إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَی الْوَالِدِ حَقّاً، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَی الْوَلَدِ حَقّاً: فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَی الْوَلَدِ أَنْ یُطِیعَهُ فِی کُلِّ شَیْءٍ إِلَّا فِی مَعْصِیَهِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَی الْوَالِدِ أَنْ یُحَسِّنَ اسْمَهُ، وَیُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَیُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ.(۱)

ورُوِیَ عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال: (تَجِبُ لِلوَلَدِ علی والِدِه... المُبالَغهُ فی تَأدیبِهِ)(۲). ورُوِیَ عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) أنه قال: (أَکرِموا أولادَکُم وَأَحسِنوا آدابَهُم)(۳). والمهمّ فی هذا السیاق هو الاستفاده من الأسالیب التعلیمیه فی مسار تربیه ونقل الآداب والأخلاق الحسنه للولد. ولا شکّ فی أن المحتوی الضروری فی هذا الباب، ممکن استنباطه من النصوص الإسلامیه کالقرآن

۱- (۱)) نهج البلاغه: الحکمه: ۳۹۹.

۲- (۲)) بحار الأنوار: ۲۳۶/۷۸.

۳- (۳)) میزان الحکمه: ۷۲۱/۱۰.

والسّنُه النبويه الصحيحه، ولو أن هذه النصوص صُبّت فی قوالب حديثه، فسيكون تأثيرها على الأطفال كبيراً جداً.

- تعليم القرآن والتعاليم الإسلاميه الخاصه: لو أن المفاهيم الدينيه والتعاليم السماويه لم يتم تعليمها للطفل فی صغره، بحيث تستقر فی أعماق وجوده وأحاسيسه وعواطفه، فلا يكون هناك ما يضمن بقاءَها ورسوخها فی نفسه عند البلوغ والكبر. من هنا، فإن الاستفاده من المناهج التعليميه الخاصه بالصغار، تضمن لنا التوجه الصحيح لهم فی الأعوام المقبله. إن تعرّف الصغار على القوانين والأسس الدينيه، واستيعابهم للأحكام العمليه للدين وأنسهم بالآيات القرآنيه والأحاديث الشريفه المرويه عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمه الأطهار (عليهم السلام) رهن بما نقوم به من تعليمهم وتربيتهم على المناهج الدينيه والإلهيه، كی نحفظهم من طوفان الحوادث وأمواج الضياع التی سيتعرضون لها عندما يبلغون مرحله الشباب، لا محاله. رُوىَ عن الإمام علیّ (عليه السلام) أنه قال:

(وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ... يُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ)(۱). ورُوىَ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال:

أَدِّبوا أولادَكُم على ثَلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نَبيّكم، وَحُبِّ أهلِ بَيتِه، وقِراءَهِ القرآنِ.(۲)

ورُوىَ عن الإمام علیّ (عليه السلام) أيضاً أنه قال:

بادِروا أَحداثَكُم بالحَديثِ قَبلَ أن تَسبِقَكُمُ المُرجِئَهُ.(۳)

وعنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: (علموا أولادَكُمُ الصَلاهَ، وَخُذوهُم بِها إذا بَلَغوا الحُلُمَ)(۴).

بيد أن تعليم الصغار يجب أن يتناسب والظروف الزمانيه المتغيّره. فلربما

۱- (۱)) نهج البلاغه: الحكمه: ۳۳۹.

۲- (۲)) ميزان الحكمه: ۷۲۱/۱۰.

۳- (۳)) الحر العاملی، وسائل الشيعه: ۲۴۷/۱۲.

۴- (۴)) غرر الحكم ودرر الكلم.

كـان يكفى الاقتصـار فى عهـد النبىّ (صـلى الله عليه و آله) على تعريف الأولاـد بـالقرآن الكريم وبعض الأحـاديث، حيث كـان لوجود الرسول الأـكرم (صـلى الله عليه و آله) والأئمه الأطهار (عليه السـلام) الـذين هم منبع الأنوار الإلهيه، من جهه، للإجابه عن جميع الإشـكالات، وعـدم تنوّع الأفكـار والعقائـد بالقياس إلى ما نشـهده فى عصـرنا الراهن، من جهه أخرى، ما يرسم أمامنا أفقاً واضـحاً ومحدداً، وأما فى العصر الراهن المفعم بأنواع الضلال والإنحراف، فيتعيّن على الآباء والأمهات أن يشبعوا أولادهم بمعين المعارف القرآنيه والأحاديث الشـريفه، لتعزيز توجّهاتهم الـدينيه فى مواجهه الأمواج الجارفه لهجوم الكفر والشـرك والجهل فى هذا العصر.

۶. الأهداف التربويه بشأن علاقه المؤمنين ببعضهم

إن دائره علاقـات الإنسـان فى تغيّر مسـتمر، حيث تعمـل توجّهـاته المتنـوّعه للتغيير مسـاراته الارتبـاطيه. فمـا هـو منشـأ هـذا التغيّر والانفصـال عن العلاقـات السـابقه والتنكّر لها؟ ولماذا يعمـد الإنسان إلى إعاده النظر فى علاقاته أحياناً؟ وما هو المعيار والملاك فى هذه الخيارات وقطع العلاقات؟ نبدأ الإجابه عن هذه التساؤلات بهذه العباره: إن أساس العلاقات البشريه يقوم على خلفيه من وعى الإنسـان وانتمـاءاته الفكريه. فـإن رغبه الفرد فى الانتساب إلى عضويه مؤسـسه أو جماعه، وبناء العلاقات والجسور مع سائر أعضاء تلك الجماعه، رهن بمـدى تطابق مطالبه ورغباته مع مطالب تلك الجماعه ورغباتها، ومدى تلبيه تلك الجماعه لتطلعاته. فـإذا كـان اهتمام الفرد ينصبّ على تلبيه حاجاته الساميه والاسـتجابه إلى نـدائه الفطرى الـذى يـدعوه إلى مواصـله القرب من الله سبحانه وتعالى، فإن مطالبه سـتكون أسـمى وأرقى من مجرد تلبيه الاحتياجات الماديه والحيوانيه. إن من بين العناصـر الهامه التى تترك تأثيرها على بناء

العلاقات الاجتماعيه، هى الاعتقادات والولاءات التى يتبناها الفرد. ولذلك نجد الإنسان المؤمن إنما يقيم علاقاته بما يتناسب وحاجاته الخاصه مع أولئك الذين يستطيعون تلبيه هذه الحاجات. ولا شك فى أن مثل هؤلاء الأفراد ينبغى أن يكونوا قد توصلوا إلى درجه عاليه من التقوى الإلهيه ليتمكنوا من توثيق وتعزيز أواصر العلاقه فيما بينهم. وعلى هذا الأساس، فإن الاتحاد فى المسلك والرؤيه هو الشرط الرئيس فى بناء وتعزيز العلاقه والارتباط مع الآخرين واستمرار تلك العلاقه. بالالتفات إلى ما ذكر، فإن تقويه النواحى الارتباطيه منوط برعايه الملاكات - التى تؤدى إلى تقرّب الناس من بعضهم. وإن هذه الملاكات - فيما يتعلق بخصوص علاقه المؤمنين ببعضهم - تكمن فى الإيمان وتقوى الله. وإن البحث فى شؤون الأهداف التربويه فى دائره علاقه الشخص المؤمن بغيره من المؤمنين، ناظر إلى إقامه روح الأخوّه والتعاون بين الأفراد للوصول إلى الهدف الغائى المتمثّل بالقرب من الله. فما أكثر المتعاضدين الذين يراعون قواعد الأخوّه فيما بينهم، ولكنهم للأسف الشديد يصرفون كل جهودهم فى المسير الخاطئ. وعليه، فإن الذى يجب علينا الاهتمام به فى هذا البحث هو الأخوه والمودّه والمحبّه الموجّهه نحو بلوغ الهدف الأسمى، ألا وهو الوصول إلى القرب من الله سبحانه. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ١ .

- وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ٢ .

إن أواصر المودّه والأخوه والتعاون إنما تبلغ ذروه الاستحكام إذا قامت على أسس محكمه وثابته، ولا يمكن لهذا الأمر أن يتحقق إلا من خلال الالتفات إلى العالم الأسمى، وتجاوز الاحتياجات المرحليه. فقد رُوىَ عن الإمام علىّ (عليه السلام) أنه قال:

(مَن آخى فى الله غَنِمَ، ومن آخى للدُنيا حُرِمَ)، وعنه (عليه السلام) أيضاً: (مَودّهُ أبناءِ الدُنيا تَزولُ لأَدنى عارِضٍ)(۱). ورُوىَ عنه (عليه السلام) فى موضع آخر، أنه قال: (الناسُ إخوانٌ، فَمن كانت أُخوّتُه فى غَيرِ ذات الله فهىَ عَداوَهٌ، وذلك قَولُه عزّ وجلّ اَلْأَخِلّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ۲)(۲).

بالالتفات إلى ما قيل بشأن عنصر الارتباط بين المؤمنين، فإن بناء الفضاء المناسب لإقامه العلاقه فيما بينهم منوط بقيامهم بمسؤولياتهم الدينيه واتصافهم بالتقوى الإلهيه. وفى هذه الحاله تتوفر الأرضيه المناسبه لتربيه روح المودّه والمحبّه. وبشكل عام، فإن ترسيخ دعائم الأخوه فى المجتمع رهن بعاملين، وهما: توفير الأرضيه لبناء الأخوّه، والعمل بالوظائف والمسؤوليات المتبادله. وسنبحث هذين العاملين ضمن العنوانين الآتيين:

۱. أما العامل الأول المتمثل بتوفير الأرضيه المناسبه لبناء الأخوّه الدينيه والتعاون فى ظلّ الشريعه، فإنما يتحقق إذا امتثل أفراد المجتمع للوظائف المفروضه عليهم من قبل الشرع. وفى هذه الصوره يمكن لنا أن نغرس فسيل المحبّه والأخوّه. قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّكاهَ فَإِخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۴ .

إن الحاجه إلى الارتباط بين الإخوه المنتمين إلى ذات المسلك،

۱- (۱)) غرر الحكم ودرر الكلم.

۲- (۳)) بحار الأنوار: ۱۶۰/۷۴.

والحصول على القدره والوجاهه فی ظل بعضهم بعضاً إنما یأتی فی إطار مرحله من تقدم الوعیّ الفردیّ، حیث یقوم الفرد بامتثال وظیفته ومسؤولیته تجاه دینه، لیغدو أهلاً للإنتساب والإنسجام مع بیئته الطبیعیه. وإن الذی یؤدی - فی الإسلام - إلی تقریب الناس من بعضهم البعض ویشدّ من أواصر العلاقه بینهم، هو التوجّه نحو الله وامتثال أوامره. وفی مثل هذه الأجواء لن یکون لحفظ الذات من معنی ومفهوم غیر المحافظه علی الدین، ولکی نحفظ الدین لا مندوحه لنا من إقامه العلاقات وتوسیع رقعتها ونطاقها إلی أبعد الحدود الممکنه. وأما کیفیه التوصل إلی بناء هذه العلاقات واستمرارها، فتعود إلی العامل الثانی فی مسأله الأخوّه الدینیه.

۲. والعامل الثانی هو القیام بالأعمال التی تؤثر فی دعم وتوثیق أواصر الأخوّه. إن مسؤولیه کل واحد من الأفراد تکمن فی الحفاظ علی هذه العلاقات من الآفات، والإلتفات إلی مشاعر وعواطف بعضهم البعض. والمهم بالنسبه لنا هو أن بإمکاننا التعرّف علی بعضنا فی ظلّ هذا العامل والعنصر الذی یؤدی إلی بناء جسور العلاقات ونعنی بذلک الإسلام والإیمان بالله والقیام بالوظائف الشرعیه. وإن المحافظه علی حرمه الأخ فی الدین، ومساعدته علی القیام بمسؤولیاته ورفع مشاکله، وتوفیر المناخ المناسب والمطلوب، وإرشاده وما إلی ذلک من الأمور الکثیره التی توثر فی المحافظه علی الأخوّه وتوسیع نطاقها. وهذا ما أکدت علیه النصوص الدینیه التی نذکر منها الموارد الآتیه، علی سبیل المثال دون الحصر:

۱. رُوِیَ عن النبیّ الأکرم (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

مَن أکرَم أخاهُ المُسلِمَ بِکَلِمَهٍ یَلَطِّفُه بها، ومَجلِسٍ یُکرِمُه بهِ، لَم یَزَل فی ظِلّ اللهِ (عزّ وجلّ) مَمدوداً علیهَ بالرَحمَهِ ما کانَ فی ذلِکَ.(۱)

۱- (۱)) بحار الأنوار: ۳۱۶/۷۴.

۲. رُوِیَ عن الإمام علیّ (علیه السلام) أنه قال:

قَضاءُ حُقوقِ الإخوانِ، أشرَفُ أعمالِ المُتّقین.(۱)

۳. رُوِیَ عن النبیّ الأکرم (صلی الله علیه و آله) أنه قال:

(إلقَ أخاکَ بوَجهٍ مُنبَسِطٍ)(۲).

۴. ورُوِیَ عنه (صلی الله علیه و آله) أیضاً أنه قال:

المُؤمِنُ مِرآةُ لأخیهِ المُؤمِنِ، یَنصَحهُ إذا غابَ عنهُ، ویُمیطُ عنهُ ما یَکرَهُ إذا شَهِدَ.(۳)

۷. الأهداف التربویه فیما یتعلق بعلاقه المؤمن بعامه الناس

یقع موضوع البحث هنا حول العلاقات الاجتماعیه والارتباط بالآخرین. فنقول: إن الإنسان یحبّ التعایش مع الآخرین ومشارکتهم فی الحیاه سواء أکانت اجتماعیته ذات منشأ ذاتی، أو أنه إنما یستجیب لذلک تلبیه لإشباع رغبته النفسیه والتغلب علی مشاکله المادیه. ربما أمکن القول - بغض النظر عن البحوث النظریه بشأن فلسفه النزعه الإنسانیه نحو الحیاه الاجتماعیه -: إن المعیار فی التعایش بین الناس فی النظره الأولی لیس هو الانتماء إلی معتقد أو مذهب واحد، رغم أن ذلک یلعب دوراً خاصاً فی المراحل المتقدّمه من التکامل المعنوی، بید أنه قبل أن یکون المذهب والمسلک هو محور الأُنس والألفه، نجد أن ماهیتنا المشترکه وهویتنا الواحده هی التی تسوقنا نحو إقامه مختلف العلاقات والروابط فیما بیننا. إن الفرد إنما یقیم علاقته مع الفرد الآخر إنطلاقاً من إنسانیته، فی حین أن العلاقه المنشوده دینیاً لا تقوم علی هذا المنطلق. وبعباره أخری: إن الدین لم یأتِ لیقیم - فی عرض العلاقات والإرتباطات الإنسانیه القائمه علی الملاکات البشریه - علاقات أخری مستقله

۱- (۱)) المصدر: ۲۲۹.

۲- (۲)) المصدر: ۱۷۱.

۳- (۳)) المصدر: ۲۳۳.

تقوم على أساس الرؤيه المذهبيه، ودعوتهم إلى إقامه علاقه من نوع جديد، بل إنه يسعى إلى هدايه الناس على أساس من نفس الملاكات والمعايير القائمه على الأسس الإنسانيه وتكاملها وتطويرها للوصول إلى الأهداف الساميه، والحيلوله دون اضمحلال منظومه القيَم تحت سيطره الأهواء النفسيه والميول الماديه والأطماع البشريه. بالالتفات إلى ذلك يمكن القول: إن رؤيه الفرد الذى يؤمن بالقوانين والأصول الدينيه - بوصفها قوانين تعمل على بناء الإنسان فيما يتعلق بإقامه الروابط والعلاقات مع الآخرين دون أخذ مشاربهم ومسالكهم بنظر الاعتبار - تختلف عن رؤيه ذلك الفرد الذى يقيم علاقاته على أساس من احتياجاته البحته. إن المؤمن هو الذى ينظر إلى الأمور والعلاقات القائمه من خلال المنظار الإلهى، ويرصد نتائج هذا النوع من العلاقات فى إطار أوسع يشمل الملاكات الإلهيه أيضاً، خلافاً لذلك الشخص الذى يروم تفسير العلاقات مع الآخرين فى ضوء تجاربه المحدوده. واضح أن علم الله بالمسار الوجودى للإنسان ومراتبه يفوق ما يعلمه البشر بشأن واقعه، وأنّ توظيف التعاليم الدينيه سيغنيه عن تكرار تجاربه التاريخيه المريره. إنّ بحثنا بشأن الأهداف الوسيطه تحت عنوان (علاقه الإنسان المؤمن بالآخرين)، تأتى أهميته من حيث سعه دائره العلاقات الاجتماعيه فيه، حيث لا تقتصر على خصوص علاقه الفرد المؤمن بالآخرين من المؤمنين فقط، بل تشمل غير المؤمنين أيضاً. يدور بحثنا حول ماهيه الأهداف التربويه الحاكمه على هذا النوع الأخير من العلاقات، وما هى ردود الفعل التى تصدر عن الفرد المؤمن فى تعاطيه مع الآخرين الذين لا ينتمون إلى المسلك والمذهب الذى ينتسب له. إن ما يتم طرحه فى دائره الإسلام حول أسلوب العلاقه مع الآخرين، هو وجوب التعاطى مع الإنسان بوصفه إنساناً. فإن الإنسان من وجهه نظر الإسلام كائن محترم، ويتمتع بمكانه ومنزله مرموقه ترفعه وتميّزه من

سائر المخلوقات الأخرى. إن المنزله والمكانه التى شرّف بها الله الإنسانَ والتى تجلّت فى أمر الله لملائكته بالسجود لآدم والاعتراف بمواهبه وطاقاته الكامنه فى وجوده من العقل والإدراك والعلم، هو أفضل فخر يحصل عليه الإنسان من الله سبحانه وتعالى. إنّ الإنسان من وجهه نظر الإسلام يتمتع بقيمه لا يمكن حتى للملائكه أن تدركها، فعندما تأتى الملائكه على ذكر ما يمكن لهذا الإنسان أن يقوم به من الموبقات وسفك الدماء، يعمد الله تبارك وتعالى إلى التذكير بتفوّق هذا الإنسان على سائر الكائنات بما فيها الملائكه أنفسهم، ولكى يجسّد ذلك على الصعيد العملى يأمرهم بالسجود له، وبيان تفصيل ذلك من القرآن الكريم على النحو الآتى:

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ * وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَهِ فَقالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ ١ .

إن عدم المحافظه على حرمه الإنسان يعتبر من وجهه نظر القرآن مصداقاً بارزاً للشر، ويكون سبباً فى البعد عن رحمه الله، كما تمّ حرمان الشيطان من رحمه الله بسبب تمرّده وكبريائه وامتناعه عن الاعتراف بشرف الإنسان. وبالالتفات إلى هذه المنزله والمكانه الساميه التى يتمتع بها الإنسان فى المنظور الإسلامى والقيَم المعرفيه لهذا الدين، نستنتج أن أهم ركن فى العلاقه مع الآخرين تشمل أصلين وقانونين عامَّين، وهما:

أ) احترام الإنسان لإخوته فی الإنسانیه: کما تقدم أن ذکرنا، فإن احترام الإنسان لأبناء جلدته له جذور دینیه. وفی الحقیقه، إذا أردنا أن نقدّم تفسیراً ظاهریاً للخروج من رحمه الله بسبب عدم مراعاه حرمه الآخرین، نستنتج أن تجاوز حقوق الآخرین یؤدی إلی تعرّض الناس وعدوانهم علی حقوق بعضهم بعضاً، والابتعاد عن الإنسانیه، والخضوع للأهواء النفسیه، الأمر الذی یعرض المجتمع بأسره إلی المخاطر الکارثیه. لقد کرّم الله الإنسانَ فی القرآن الکریم وفضَّله علی الکثیر من مخلوقاته، وذلک إذ یقول الله تبارک وتعالی فی محکم کتابه الکریم: وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلًا۱ . وعلیه، فإن الإیمان بهذا الأصل القرآنی یمثل خیر ضمانه أخلاقیه تلزمنا برعایه حقوق الآخرین، وتعمل علی تنظیم علاقاتنا ببعضنا البعض. إن الإنسان جدیر بالاحترام؛ لأنه مسؤول، وإن مسؤولیته تستلزم حریته فی الاختیار. وعلیه، یجب علی المسلم أن یحترم غیر المسلم لمکان إنسانیته، وأن یراعی حرمته من هذه الناحیه. إن تجنّب السخریه من الآخرین، وبشکل عام تجنب کل العناصر التی من شأنها أن تقلل من احترام الآخرین، یعتبر من الأصول والقواعد الدولیه الثابته فی الإسلام، وإن أی تهاون بها أو عدول عنها یؤدی إلی الفرقه والاختلاف، الأمر الذی یحدث فجوه وثغره یمکن للشیطان أن یتسلل منها لیحیط بأعمالنا ویسیطر علینا، وفی ذلک یقول الله تبارک وتعالی فی محکم کتابه الکریم: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسی أَنْ یَکُونُوا خَیْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسی أَنْ یَکُنَّ خَیْراً مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَکُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِیمانِ وَ مَنْ لَمْ یَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ۲ .

ب) مراعاه العداله: إن العداله التی تعنی رعایه حقوق الآخرین هی مثل احترامهم قبل أن تکون ذات جذور دینیه، فإنها ذات جذور إنسانیه، وإن دور

الـدين فيهـا هو العمل على إثرائها وتنميتها. إن الإنسان من وجهه النظر الـدينيه كائن جـدير بالاحترام والتكريم وبحاجه إلى إقامه العلاقات العادله، وإلى هيمنه قواعـد وأسـس، من قبيل: المساواه والاعتـدال المنسـجمين مع أسـسه الوجوديه. قال تعالى: فَلِذلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ كِتابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ١ .

إن الأمه الإسـلاميه أمه متوازنه، وهى على حدّ تعبير القرآن الكريم أمه وسطيه، وهذا يعنى أن يكون جميع الناس فى بحبوحه من العـدل والبعـد عن الأحقـاد والانتقـام والركون إلى التقوى الإلـهيه، قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لِلّهِ شُـهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلّا تَعْـدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ٢ .

إنّ بإمكاننا من خلال ممارسه الأخلاق الحسنه ورعايه الاعتـدال فى السيره والتمسّك بالعـداله والتقوى أن نسـتعيد مكانتنا كأمه وسـطيه، وأن نشـكل عنصـر جذب للناس نحو التكامل من خلال الالتزام بالتعاليم الإسلاميه والإنسانيه. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً٣ .

وعلى هذا الأساس، يمكن للعداله بوصـفها عنصراً هاماً وجوهرياً فى دائره العلاقات البشريه، وفيما يتعلق بارتباطنا بسائر نظرائنا فى الإنسانيه، أن تلعب دوراً فريداً فى تقدّم المجتمعات البشريه وازدهارها.

الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصاديه

اشاره

لا يدور البحث هنا حول الأهداف التربويه فيما يتعلق بالعلاقات

الاقتصاديه الناظره إلى المسار الاقتصادى الحاكم فى المجتمع الإسلامى، وماهيه الاقتصاد، وأهدافه فى النظام الإسلامى، بل يدور بحثنا حول سلسله الأهداف الوسيطه فيما يتعلق بالمساحات المختلفه فى التربيه الدينيه. لا شكّ فى أن هذا النوع من المسائل يُطرح على الدوام ضمن توجّه تربوى خاص منتزع من نوع ارتباط الفرد بسائر الحوزات الأخرى، لا أن يطرح فى معزِلٍ عن أى نوع من الروابط الأخرى. وبعباره أخرى: إن التربيه إنما تتحقق ضمن إطار خاص يختلف بما يتناسب ونوع العلاقات البشريه.

يتبع الإنسان فى سلوكه الاقتصادى نموذجاً خاصاً من نماذج الانتاج والتوزيع والاستهلاك. إن هذه المقولات الثلاث تحدّد الكثير من سلوكيات الإنسان، وتستوعب جزءاً كبيراً من حياته اليوميه. وإن اهتمام الدين بهذا الجانب من حياه الناس يكمن فى ناحيتين:

الناحيه الأولى: بيان الأهداف والأساليب الاقتصاديه.

الناحيه الثانيه: بيان الفلسفه التربويه الحاكمه على الأصول والمبانى والأساليب الاقتصاديه المقدّمه من قبل الدين.

إن المنظور لنا فى هذا المقام هو الاهتمام بالفلسفه التربويه والأهداف الدينيه التربويه فى الروابط والعلاقات الاقتصاديه. إذ يدور بحثنا حول ما هى العلاقه القائمه بين الدين والمذهب والأفعال الاقتصاديه للإنسان؟ وفى معرض الإجابه عن هذا السؤال يجب التنويه إلى أن الاقتصاد الذى هو شكل من أشكال النشاط الروتينى واليومى للإنسان، يمثّل موضوعاً مناسباً لتطبيق الأهداف التربويه للدين ومضامينه الأخلاقيه. إن الذى لا يتمسّك بالأخلاق الاقتصاديه المطروحه فى النظام الإسلامى، لا يستطيع أن يدّعى التديّن وسلوك مسير الهدايه. يرى المنطق الإسلامى أن الإسراف والبذخ والربا واستغلال الآخرين وما إلى ذلك، نتيجه طبيعيه لعدم التبعيه للمنهج التربوى الدينى الخاص بالأخلاق الإسلاميه فيما يتعلق بالحقل الاقتصادى. إن ارتباط الإسلام بمقوله الاقتصاد على نحوين:

۱. الارتباط المباشر. فإن للإسلام - بوصفه ديناً يرسم سبل الهدايه فى مسار الحياه - تعليمات وقوانين خاصّه فيما يتعلق بالمسائل الاقتصاديه، من قبيل: الملكيه، والتبادل التجارى، والضرائب، والمواريث وما إلى ذلك.

۲. الارتباط غير المباشر. ويتم هذا الارتباط من طريق التربيه والأخلاق. فالإسلام يدعو الناس إلى مراعاه الأمانه، والعدل، والإحسان، والإيثار، والإنفاق، وعدم السرقه والخيانه والرشوه وأكل الربا وما إلى ذلك مما يندرج فى دائره الثروه والمسائل الاقتصاديه.

إن النظام الاقتصادى المثالى من وجهه نظر الإسلام ليس هو النظام الذى يسعى إلى تلبيه حاجه الناس فقط، بل يرى أن النظام الاقتصادى المثالى هو الذى يعمل على تلبيه حاجه الإنسان فى سياق خاص يضمن تحقيق العداله الاجتماعيه وتوفير الرفاه والسعاده للجميع. ولذلك، فإن ما ورد فى بعض آيات القرآن الكريم من الدعوه إلى الإنفاق والصدقه وتجنّب الإسراف والتبذير، لا يهدف إلا إلى توسيع دائره الرفاه العام ونشره بين الناس كافه، من ذلك قوله تبارك وتعالى:

- يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ۱ .

- وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً۲ .

وعليه، فإن القانون العام فى النظام الاقتصادى للإسلام هو تحقيق العداله الاجتماعيه والرفاه العام، وإن الأهداف التربويه فى الدين إنما تأتى فى هذا الإطار.

۱. أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالإنتاج

إنّ الإنسان بحاجه - فى مواصله حياته - إلى النعم التى أعدّها الله له. وإن بعض

هذه النعم يمكن الحصول عليه بيسر ودون أدنى عناء، من قبيل الأوكسجين الضرورى للبقاء على قيد الحياه، وهو متوفّر دائماً فى الجوّ المحيط بالأرض. وهناك من النعم شاءت الحكمه والمصلحه أن لا يتمّ الحصول عليها إلا بشىء من السعى وبذل الجهود، ولكن بعد الحصول عليها يمكن الاستفاده منها دون إحداث أىّ تغيير عليها، من قبيل: الماء فى المناطق الصحراويه الجافه. وهناك من النعم التى تحتاج إلى إجراء بعض التغييرات عليها بعد تحصيلها، من قبيل: إستخراج المعادن، كالحديد والنحاس والذهب والفضه. وعلى كل حال، فإن تقدم الإنسان رهن برفع مستوى حياته ومعلوماته، وهذا يستلزم بذل الكثير من المساعى والجهود. بل وحتى يمكن القول: إن الجهود الماديه تترك تأثيرات ملحوظه على المسائل المعنويه. فمن باب المثال: نجد الناس - فى سعيهم إلى توسيع حجم الانتاج - يحصلون على معرفه أكبر وأكمل بما يحيط بهم، ويتوصلون بذلك إلى عظمه الله فى السماوات والأرض، بل وحتى فى أنفسهم، ومن هنا نتوصّل إلى تأثير النشاط الاقتصادى والانتاجى على الكمالات المعنويه. من هنا يمكن تعريف الانتاج ضمن الرؤيه الإسلاميه على النحو الآتى: (كل نشاط اقتصادى يصبّ فى إطار الاستفاده من النعم الإلهيه، سواء أكان ذلك النشاط يتمّ عبر إنتاج البضائع أو عبر تقديم الخدمات). وبالالتفات إلى هذه المسائل يمكن القول: إن أهداف الإنتاج ودوافعه ترمى إلى تلبيه الاحتياجات ورفع المستوى المعيشى فى حياه الإنسان. تتحدّد أهداف الانتاج تاره من خلال المصالح العامه، وتاره يتمّ تحديدها من خلال المصالح الفرديه، ولكن الأجدى على ما يبدو هو التوليف بين المصالح الفرديه والمصالح العامه. بمعنى إمكانيه أن يقوم البعض بالنشاط الانتاجى بهدف تلبيه الاحتياجات الفرديه، مع اختيار نوع ذلك النشاط مع أخذ المصالح العامه بنظر الاعتبار. وفى هذا المضمار سيبادر أولئك الذى يحصلون على أكثر من فرصه عمل، إلى اختيار ذلك العمل الذى يعود بالفائده الأكبر على المجتمع، حتى وإن كان الربح الذى يحصلون عليه

أقل مِمّا يحصل عَليه غيرهم. وهذا الاختيار يسود بشكل أكبر فی المجتمعات التی تدار بهدی القاده الربانيين، حتی يكون الانتاج فی مثل هذه المجتمعات من الضروره بحيث يرقی إلی وجوبه من قبل الشارع.

إنّ بذل الجهود فی رفع الانتاج من أجل ضمان الرفاهيه للآخرين، من أهمّ الأهداف التی يتمّ التأكيد عليها فی التعاليم الإسلاميه كثيراً، بحيث إنما كان الإمام علیّ (عليه السلام) يعمل علی الانتاج لهذه الغايه، وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يستثمر أمواله فی هذا الاتجاه. فقد رُوِیَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن أميرَ المُؤمنينَ (عليه السلام) أعتَقَ ألفَ مَملوكٍ مِن كَدِّ يَدهِ)(۱).

إنّ عمليه الانتاج إذا تمّت فی سياق تحقيق الهدف الذی يدعو إليه الدين، والمتمثّل بتوفير الرفاه للفرد والأسره والمجتمع، كان أمراً مقبولاً وممدوحاً. إن الأهداف الفرديه أو العامه للإنتاج تطرح نفسها فی طول الأهداف النهائيه المتمثله بالقرب من الله عزّ وجلّ. إن عدم القيام بالدور الاقتصادی والانتاجی فی المجتمع يؤدی إلی الركود الاقتصادی والانحطاط الاجتماعی، وعندها سيكون استقرار المجتمع عرضه للمخاطر، وينفتح الباب علی مصراعيه أمام الكثير من المعاصی والجرائم والمفاسد الاجتماعيه. إننا لو أجرينا دراسه حول الجرائم والمفاسد الاجتماعيه، من قبيل: السرقه، والقتل، وغلاء الأسعار، والتطفيف، وغيرها من أنواع الجرائم، سنجد أنها تعود بجذورها إلی الفقر المدقع أو الإسراف والتهتك وطلب الاستعلاء. وعليه، فإن العزّ كل العزّ والاعتدال كل الاعتدال رهن بالجهد الاقتصادی والمبادره إلی الانتاج، من هناك كان الإمام علیّ (عليه السلام) يصف التجاره بالعزّ، إذ يقول: (أُغدُ إلی عِزّك؛ يعنی السُوقَ)(۲). ومن ناحيه أخری، فإن الطمع والجشع فی الانتاج يؤدی بالفرد - من أجل إشباع هذا الرغبه والحصول علی مزيد

۱- (۱)) الشيخ الكلينی، فروع الكافی: ج ۵، كتاب المعيشه، الباب الخامس، ح: ۴.

۲- (۲)) فروع الكافی: ۱۴۹/۵، ح: ۷.

من الربح - إلى القيام بكلّ شيء قبيح واستخدام حتى الرذيله. إن الانتاج إذا لم تتمّ السيطره عليه، فإنه سيتحوّل إلى أداه لتهديد الناس وظلمهم، ويتحوّل إلى سلاح هدّام لمحاربه الدين. كما هو الحال بالنسبه إلى الدول الرأسماليه التى تستعمل هذا السلاح كأداه للحظر الاقتصادى والضغط على المجتمعات التى تروم الوصول إلى حقوقها بالطرق المشروعه بعيداً عن الهيمنه الاستكباريه.

۲. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالتوزيع

مرادنا من التوزيع هنا هو تخصيص المصادر والنعم الإلهيه. والتوزيع بهذا المعنى من أكثر الأبحاث الاقتصاديه إثاره للجدل، حتى أخذت الكثير من المدارس الاقتصاديه على عاتقها مهمه حلّ هذه المسأله بوصفها من أهم المواضيع التى تعنى بها. وإن أكبر الجهود التى بذلتها الإشتراكيه والماركسيه وحتى الرأسماليه إنما تصبّ فى هذا السياق، وكل واحده من هذه المذاهب الاقتصاديه تدّعى أنها قدّمت أكثر المناهج عدلاً فيما يتعلق بالتوزيع. إن الهدف من التوزيع فى المذهب الاقتصادى للإسلام هو الوصول إلى مجتمع تسوده العداله الاقتصاديه. إن ثمره جهود ونشاط كلّ شخص تعود إليه، وبذلك يتحقق الرفاه العام تلقائياً. وإن تطبيق القوانين الحقوقيه فى الاقتصاد الإسلامى، وامتثال الأحكام الاقتصاديه للإسلام، يمهّد الأرضيه الصالحه للوصول إلى مثل هذا المجتمع. إن النظام الإقتصادى - بالإضافه إلى العداله الاقتصاديه وضمان الرفاه العام - يهدف أيضاً إلى غايه أسمى، ألا وهى تحقيق حُلم المجتمع الذى يشارك فيه الناس بعضهم بعضاً فى الرزق والمعيشه. ولا يمكن الوصول إلى هذه الغايه إلا فى ظلّ التربيه الإسلاميه وتوسيع أفق الرؤيه لدى الناس وتطبيق الأحكام الحقوقيه للإسلام. وإن من بين الإصلاحات التى أنجزها رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو أنّه أدّب المسلمين فى صدر الإسلام بآداب القرآن بحيث جعلهم يتنافسون فيما بينهم فى الإيثار على أنفسهم، وكانوا يقدمون حاجه الآخرين على حاجتهم.

بالالتفات إلى هذه الأمور، يكون المراد من الأهداف التربويه فى هذه المقوله هو تحقيق المواساه فى الأموال والتحقيق العملى للرفاه والعداله الاجتماعيه. وإن تحقيق هذا الهدف يتمّ بالدرجه الأولى عبر الدوله الإسلاميه، وإذا تمكن شخص من الاضطلاع بعمليه التوزيع، فعليه أن يراعى هذا الهدف المذكور، وأن لا يحيد عنه أبداً. إن المنظومه الاقتصاديه العادله تشتمل على أجزاء، ويقوم كل جزء بوظائفه ومسؤولياته التى تؤدى إلى الاعتدال فى المنظومه الاقتصاديه بشكل كامل. وإن الإنفاق(۱) والصدقه والخمس والزكاه المستحبه والواجبه، يضمن التوزيع العادل للأموال الذى يمتدّ بجذوره فى عمق الأخلاق والاقتصاد الفردى. وإن مرادنا من الأهداف التربويه فى هذه المقوله بالتحديد ناظر إلى القيام بهذا النوع من المسؤوليات الدينيه.

۳. الأهداف التربويه للإسلام فيما يتعلق بالاستهلاك

إن للناس فى استهلاك البضائع والخدمات دوافعَ مختلفه تعود إلى انتماءاتهم وأذواقهم. وإن تلبيه بعض هذه الدوافع الناشئه عن المطالب المعقوله والمنطقيه تحظى بتأييد الإسلام، وأما تلبيه بعض المطالب الأخرى الناشئه عن الاحتياجات الزائفه وغير المعقوله فهى مَنهِيٌّ عنها فى التعاليم الإسلاميه.

يسعى الإسلام إلى تربيه الإنسان بشكل يوجّه حركاته ونشاطاته نحو الهدف الغائى من خلقه، ألا وهو القرب من الله سبحانه وتعالى. وإن مفهوم الاستهلاك ليس استثناءً من هذه القاعده. وعلى هذا الأساس فإن المطلوب إسلامياً هو أن تساق الدوافع الغائيه للإستهلاك نحو الحصول على مرضاه الله ونيل القرب منه. وفى ذلك رُوىَ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: (وَليَكُن لكَ فى كُلِّ شىءٍ نِيَّهٌ صالِحَهٌ، حتّى فى النَومِ والأكلِ)(۲).

۱- (۱)) انظر: التوبه: ۶۰؛ الأنفال: ۴۱؛ آل عمران: ۹۲؛ البقره: ۲۷۴.

۲- (۲)) مكارم الأخلاق: ۴۶۴.

أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بالعلاقات السياسيه

اشاره

وصل بنا البحث بشأن الأهداف الوسيطه من زاويه العلاقات القائمه فى المجتمعات البشريه فيما يتعلق بالعلاقات السياسيه. يبقى السؤال القائم يقول: ما هو المراد من الأهداف الوسيطه فى دائره العلاقات البشريه؟ هل يمكن لنا أن نتصور للعلاقات المذكوره مشاهد أخرى غير العلاقات السياسيه الخاصه فى إطار علاقات الفرد بالحكومه أو الأفراد والمؤسسات السياسيه ببعضها؟ للإجابه عن هذا السؤال نذكّر بأن العلاقات الإنسانيه فى أىّ إطار وضعناها، وإلى أىّ جهه مالت، لا يمكن لنا فيها أن نتجنّب سياده القوانين الأخلاقيه سواء أكانت صحيحه أم خاطئه. وبعباره أخرى: حيثما كان هناك ارتباط وأقيمت علاقه وكان الإنسان طرفاً فيها، لا محاله ستحكم هذه العلاقه سلسله من القيَم الأخلاقيه أو المبادئ التربويه الخاصه. إن نجاح الفرد فى الوصول إلى منبع الحقيقه، رهن بجهوده فى العثور على القوانين والأسس الصحيحه الناشئه عن الإحاطه بجميع أحواله الوجوديه وأحوال العالم. إن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الغايه والهدف النهائى إلا من خلال التمسّك بمثل هذا القانون. والأسس الحاكمه على العلاقات السياسيه لا يمكن أن تستثنى من هذا الحكم العام. إننا لا نستطيع التقدم فى الفضاء الاجتماعى والسياسى المناسب والصحيح إلا فى ضوء القانون الإلهى. إن مرادنا من الهدف التربوى فى هذه المقوله هو الروح التربويه الحاكمه على العلاقات السياسيه فى العالم الإسلامى، وليس بيان الأهداف السياسيه من وجهه نظر الإسلام.

إن أهم شاخص وملاك فى العلاقات السياسيه، هو الحصول على القدره والسيطره. فإن القدره - بوصفها أداه للحصول على الأهداف - تعتبر أول مؤشر على النشاط السياسى، إذ لا يمكن الوصول إلى الأهداف السياسيه فى المجتمع على نحو كامل أو نسبى إلا من خلال القدره والسيطره، ولا شك فى أن هذا لن يتحقق إلا من خلال التمسّك بحبل القدره والعناصر الموجده لتلك الحكومه

والقیاده فی المجتمع. وعلیه، یمکن النظر إلی مفهوم القدره فی دائره العلاقات السیاسیه فی الرؤیه التربویه من زاویتین، وهما: أولاً: السعی إلی تحصیل القدره السیاسیه. وثانیاً: توظیف القدره من أجل الوصول إلی الأهداف السامیه للإسلام.

۱. السعی إلی تحصیل القدره السیاسیه

إن من بین أسس الإسلام الثابته علی مستوی الأبعاد الاجتماعیه، قیاده المجتمع وتوفیر الأرضیه المناسبه لتقدم المجتمع وارتقائه. وهذا الأمر لا یمکن أن یحصل إلا من خلال الاستناد إلی حکم وإقامه دوله. فإن المجتمعات التی تنمو فیها الغرائز الحیوانیه والسَبُعیّه فی ظلّ خمود جمیع أفراد المجتمع وتخاذلهم عن حقوقهم، تعرّض تقدم الأبعاد الإنسانیه والإلهیه إلی خطر الزعزعه، والسیر نحو القهقری. إن الإطاحه بحدود انعدام الهویه، وفتح قمم العزه والشرف، إنما هو رهن بامتلاک القدره، وإسقاط المتسوّرین زوراً علیها. وعلیه، فإن الحصول علی القدره للفرد المسلم من أهم المسائل، إذ من خلال هذه الحقیقه فقط یمکن الوقوف بوجه الفساد، وإعداد الأرضیه المناسبه للهدایه. قال الله تبارک وتعالی فی محکم کتابه الکریم:

- اَلَّذِینَ یَتَرَبَّصُونَ بِکُمْ فَإِنْ کانَ لَکُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّهِ قالُوا أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ وَ إِنْ کانَ لِلْکافِرِینَ نَصِیبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَیْکُمْ وَ نَمْنَعْکُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فَاللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلًا۱ .

- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْیَهُودَ وَ النَّصاری أَوْلِیاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ مِنْکُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِینَ۲ .

- وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ۳ .

إنّ القرآن الكريم يشجب أولئك الذين يرون العزّه والعظمه فى انحراف الزعماء وفسادهم، ويؤاخذهم على هذه الرؤيه. وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِيعاً١ .

إن ما هو المهم بالنسبه إلى الدين هو الآثار التربويه المترتبه على اكتساب القدره السياسيه والدخول إلى دائره هدايه الناس. وبشكل محدّد يمكن لنا أن نرصد تأثيرين فى هذا السياق، وهما:

١. الحيلوله دون الظلم والضياع الناشئ عن الهيمنه السياسيه للتيارات الفاسده فى المجتمع.

٢. هدايه الناس والحركه فى إطار الوصول إلى المدينه الدينيه الفاضله التى كانت حُلم إفلاطون.

وعلى فرض الإخفاق الظاهرى فى الوصول إلى مثل هذه الغايه، فإن ذلك لن يكون خالياً من الأثر التربوى، فإن هذه الحركه سُتثبت فى الحدّ الأدنى عدم الرضوخ للظلم والفساد والفحشاء فى المجتمع المنحرف. وقد كانت هذه هى غايه الإمام الحسين (عليه السلام) فى ثورته يوم عاشوراء، ولا زال تأثيرها ينير الدرب للغيارى عبر القرون المتماديه.

٢. ممارسه السلطه من أجل تحقيق الأهداف الإسلاميه المتعاليه

إنّ ما هو المنظور فى الرؤيه الإسلاميه بشأن الحصول على السلطه هو مجرّد الحصول على وسيله وأداه، وأما القدره والسلطه فهى غير مراده لذاتها. وإن الفارق الأهم بين الشخص المتديّن وغيره من الأفراد الذين يجعلون من الدنيا

والحياه الضيقه أكبر همهم، يكمن فى رؤيه كل منهما تجاه السلطه ووظيفتها فى الحياه. فالفرد الذى يحبس نفسه فى دائره الدنيا الضيّقه ينظر إلى السلطه بوصفها قيمه ذاتيه، ويراها عنصراً حيوياً يلبى رغباته وغرائزه الدنيويه المحدوده من قبيل: اللذّه والرفاهيه. وبعكسه الشخص الذى يتمتع برؤيه دينيه وإلهيه، فلِما يتمتع به من الأفق الواسع الناشئ عن ارتباطه بالرؤيه الإلهيه الشامله، فإنه ينظر إلى السلطه بوصفها وسيله للوصول إلى الأهداف الأسمى، وامتثال الكمال الدينى المطلوب على مستوى الحياه الفرديه والاجتماعيه، وهذا أهم ما يميّز الرؤيه الدينيه من الرؤيه الماديه. من هنا، إذا كانت السلطه هى محور جهود الكثير من كبار رجال الدين على طول التاريخ، فإن ذلك لم يكن بداعى اعتبار السلطه عنصراً مطلوباً ومؤثراً فى العلاقات السياسيه لذاتها، بل لمجرّد كونها وسيله لتطبيق القوانين الإنسانيه والإلهيه للحصول على عناصر أكثر سمواً، وأكثر رقياً. وعلى هذا الأساس، فإن العلاقات الإنسانيه فى النظره الدينيه تختلف عن العلاقات الإنسانيه فى النظره غير الدينيه، وإن الذى يلعب الدور الهام من وجهه نظر الإسلام ليس هو السلطه، بل الأهداف التى يمكن الوصول إليها من خلال هذه السلطه. فى هذه الرؤيه يتعاطى الحاكم الإسلامى مع مختلف طبقات المجتمع وأفراد الشعب تحت تأثير هذه الأهداف وهذه الأسس، خلافاً للرؤيه المقابله التى ترى اتساع رقعه العلاقات مع الآخرين بتأثير من السلطه أو على أساس من الحصول على اللذّه والمتعه أو تلبيه الرغبات والغرائز الوضيعه والمتدنيه. فى منطق الفرد المؤمن فإن السلطه والقدره ليستا عنصرين رادعين عن الأخوّه وليستا عنصرَين ضغط على الآخرين، وسلب الاستقلال والحريه عنهم، وليس المراد منهما الحصول على المصالح الشخصيه ونيل المطالب الدنيويه المحدوده، كى يؤدى التناحر بين الإرادات المختلفه إلى الجور والظلم. وعلى هذا الأساس، فإن السلطه تستخدم دوماً بما يتناسب والهدف المراد من ورائها. إن هذا الهدف إذا كان هدفاً إلهياً،

فسوف تترتب عليه نتائج تربويه خاصه تنعكس على ممارسه السلطه والعلاقات الناشئه عنها على المستوى الاجتماعى. وإذا كان الهدف غير ذلك فإن سلوك الناس تجاه بعضهم بعضاً سيكون له مظهر غير أخلاقى، وسيتخذ طابعاً سلطوياً ودنيوياً. إن العناصر التربويه الدخيله فى رسم السلطه السياسيه فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعيه من وجهه نظر الإسلام عباره عن:

- إحياء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: إن من بين أهم أهداف الحكومه الإسلاميه فى المجتمع، توفير الأرضيه اللازمه من أجل إحياء المعروف والحيلوله دون وقوع المنكر وكل ما ينهى عنه الشارع المقدس. ولا ريب فى أنه كلما اتسعت قدره الإنسان كانت دائره مناورته أكبر، وأضحى وصوله إلى الأهداف المنشوده أيسر. إن من جمله أهداف السلطه السياسيه فى نظام الدوله الإسلاميه هو توفير مناخ سليم ومجرّد عن جميع أنواع القبائح والمفاسد. وإن هذا الهدف بالإضافه إلى كونه هدفاً سياسياً، فإنه يبيّن المسار التربوى العام للنظام الإسلامى أيضاً. إن مسؤوليه كل فرد مؤمن فى المنظار الدينى تكمن فى التحرّك من أجل الحصول على القدره لتطبيق الأهداف المذكوره؛ لأن من أهم الأركان فى الإطار الدينى هو المنحى الأخلاقى والتربوى فى المسائل وتعليماتها؛ من هنا، كلما تمّ الرجوع إلى الأهداف الدينيه يتم التطبيق بين تلك الأهداف والجوانب التربويه الأخرى. ومن ذلك مسأله الحصول على السلطه والقدره حيث يتمّ توفير الأرضيه اللازمه للخوض فى الأمور التى تضمن صلاح الفرد والمجتمع، ويتمّ فيها الإعراض عن كلّ ما من شأنه ضياع الفرد واضمحلال المجتمع، بوصفه هدفاً تربوياً عاماً تسعى إليه الدوله الإسلاميه؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم: اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّكاهَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلّهِ عاقِبَهُ الْأُمُورِ١ .

إن الهدف من الوصول إلى السلطه من وجهه نظر الإسلام هو إحياء الدين الإلهى بوصفه أكبر معروف يمكنه أن يعمّ المجتمعات الإنسانيه بأسرها. قال الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ١ .

- وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ٢ .

- المحافظه على الحريه والاستقلال: إن الحريه والاستقلال من أهم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان. فقد ولد الإنسان حراً، ولن يستطيع أحد أن يملى عليه طريقته فى الحياه أو يفرض عليه رأيه وأفكاره. إنما الذى يمكنه أن يقيّد الحريه فى المجتمع هو الحريه نفسها. فإن القوانين الدينيه على المستوى العام وغيرها من القوانين الاجتماعيه فى مستوى أخص تهدف إلى رفع التعارض القائم بين الناس على المستوى الاجتماعى. إن الإنسان إنما يمكنه رفع هذا التعارض من وجهه النظر الإلهيه إذا سعى إلى حلّ هذه المعضله من خلال القوانين الدينيه. إن القوانين والمعطيات البشريه من أجل رفع هذه التعارضات على طول التاريخ، لم تنتج سوى تشديدها واتساع رقعتها. إن من بين القوانين الموضوعه على أعلى المنظمات الحقوقيه هو حق النقض (الفيتو) الذى يستعمل بوصفه سلاحاً بوجه البلدان والشعوب الضعيفه. وعليه، لا يبقى أمام الإنسان - لنيل حقوقه الطبيعيه من الحريه والاستقلال ورفع الصعوبات وتجاوز المعضلات الناشئه عن نقص القوانين البشريه - سوى التمسك بالتعاليم الإلهيه الدينيه. ومن هذه الناحيه عندما يكون الحديث - فى النظام التربوى فى الإسلام - عن الوصول إلى السلطه السياسيه، فإن من بين الآثار

التربويه التى تنتج عن ذلك، هو الاهتمام بالحريه والاستقلال للناس كافه فى إطار القوانين الإسلاميه. وبطبيعه الحال، فإن للحريه والاستقلال فى الدين تعريفهما الخاص الذى لا يسعنا التطرّق له فى هذا الكتاب.

- تعزيز روح الإخاء: إن مظاهر السلطه الزائفه تؤدى إلى انعدام الكرامه والعواطف والمشاعر الإنسانيه، وإلى استشراء مظاهر العنف والقسوه. بيد أنه كما ذكرنا، فإن الإسلام ينظر إلى السلطه بوصفها أداه ووسيله لخدمه الأهداف الإنسانيه والإلهيه. وإن بسط وتعميم علامات الأخوّه وتوسيع رقعه العلاقات العاطفيه بين أفراد المجتمع يتفرّع عن الدور الآلى للسلطه، وإن العمل على حل مشاكل الآخرين وخاصه الضعفاء منهم، وتوفير الأرضيه المناسبه للتقدم والمساواه، إنما هو من الثمار المترتبه على التربيه الدينيه. وفى ذلك نجد الله تبارك وتعالى يقول فى محكم كتابه الكريم: وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً١ . وإن الأخوّه لا تكتسب معانيها العميقه فى المجتمعات الإسلاميه فحسب، بل نجد لها تجليات خاصه حتى فى العلاقات الدوليه أيضاً. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٢ .

أهداف الإسلام التربويه فيما يتعلق بالعلاقات الثقافيه

إن علاقه الإنسان فى إطار الثقافه السائده، تعكس سلوكه فى منعطفات الحياه الاجتماعيه. وفى الأساس، فإن أحد أهم المعايير التى يتمّ توظيفها فى بيان

حياه الإنسان هى هـذه القوالب الثقافيه التى تحـدّد هويه الناس عبر الأجيال وعلى طول التاريخ. وبعباره أخرى: إن الثقافه أياً كان نوعهـا يُنظر إليهـا اليـوم بوصـفها عصـاره الحيـاه الاجتمـاعيه الـتى تتجلى فى مختلـف أبعـاد الحيـاه المـاديه والمعنويه، وتظهر فى المعتقـدات والأخلاـق والقيم، وتترك تأثيرهـا بنحو ما على تفكيرنا وميولنا ونشاطاتنا. ولربما أمكن القول: إن الثقافه بُنيه متكامله تضمّ جميع النماذج السـلوكيه لشـعب من الشـعوب. إن الثقافه - التى تبدأ من أصغر نواه لها وهى التى تتمثل بالنموذج السلوكى، إلى أكبر مفرداتهـا المتمثله بالمؤسـسه الاجتماعيه، التى تتألف من اجتماع تلك النويات الصـغيره - لها وظائف محـدّده. وبطبيعه الحـال، فـإن الإنسـان كمـا يتـأثر بالثقـافه، يمكن له أن يترك تـأثيره عليهـا، وعلى الرغم من تبلور شخصـيته وسـلوكه فى الفضاء الثقافى، واتخاذ توجهاتها ما يتناسب وتلك الثقافه، ولكن فى الوقت نفسه يمكن للإنسان أن يكون عنصـراً مؤثراً فى تغيير المناخ الثقافى، وأن يعمل على تغيير الثقافه بإرادته. والذى يقع موضع اهتمامنا هنا هو تأثير الدين من خلال الإنسان فى الثقافه والمجتمع البشرى.

تنقسم العناصـر المؤثره على سـلوك الإنسـان إلى مجموعتين، همـا: العناصـر التى لاـ تقع تحت اختيار الإنسان، من قبيل: العوامل الجغرافيه والطبيعيه، أو حتى بعض العوامل الاجتماعيه التى تستحوذ على سلوك الإنسان وشخصيته، وتعمل على بناء ثقافه بعينها. والعناصـر الاختياريه، وهى تلك المجموعه من العناصـر الخاضـعه لإراده الإنسان واختياره، والتى تعمل على تحديد خصوصـياته وسـلوكياته الفرديه. والمراد من الأهـداف التربويه فى هـذا المجال هى العناصـر الإراديه ذات الاتجاه الـدينى، والتى تترك تأثيراً كبيراً على النماذج السـلوكيه والمنظومات الاجتماعيه، وتعمل على بناء ثقافه المجتمع بشـكل عام. وقد خضـعت العناصر الثقافيه، من قبيـل: الفن والسـياسه والاقتصـاد والأخلاق والعرفان والفلسـفه وحتى العلم، تحت تأثير الـدين وتعاليمه وقيمه منـذ القـدم. إن دراسه الثقافات والحضارات لدى الشعوب التاريخيه

العريقه تُثبت تأثّر جميع المؤسسات الاجتماعيه والثقافيه بالدين بشكل بنّاء، وإن تأثّر الآداب والسنن والقيم والموسيقى والعماره والشعر، وكذلك المنظمات الاقتصاديه والتعليميه والسياسيه وغيرها، بالدين، يُثبت الصله الوثيقه بين الدين والثقافه على طول التاريخ. إن رعايه المسائل الدينيه فى سياق العلاقات الثقافيه يضمن الوصول إلى الأهداف الوسيطه فى هذا المقال، ومع الأخذ بنظر الاعتبار، الأهداف التربويه الإسلاميه فى الحقول الفرديه والاجتماعيه، يمكن تحقيق الأهداف المنشوده للإسلام فى مجال المسائل الثقافيه. وبعباره أخرى: إنما نحصل عليه من خلال العمل بجميع الأهداف التربويه فى مختلف المجالات، يؤكّد مكانه الثقافه فى المجتمع الإسلامى. ومن هنا، لا يمكن أن نحدّد لمقوله الثقافه دائره مختلفه عن الدائره التى ذكرناها سابقاً، وعندما تجتمع العناصر السلوكيه فى المجالات الفرديه والاجتماعيه، تعمل العناصر التربويه على تشكيل البُنيه الثقافيه الخاصه. إن هذه البُنيه - بالالتفات إلى المحتوى والعناصر البنّاءه دينياً - تعكس ثقافه دينيه خاصه. وبالتحديد يمكن اعتبار الهدف التربوى فى هذا المجال هو توجيه الثقافه السائده فى المجتمع نحو الرشد والتكامل الإنسانى. وعندما يتم توجيه الأسس الثقافيه من (الفن والاقتصاد واللغه والآداب والتقاليد وغيرها) نحوالقيم، والحصول على هدف خاص (القرب من الله)، فإن الوجه العام لثقافه المجتمع سوف يتغيّر بالكامل. من هنا، فإن إيجاد المظاهر الثقافيه المتناغمه مع التعاليم الدينيه، ودفع عناصر الانحراف والفساد عن الثقافه، والجنوح نحو ضمان المطالب المتعاليه، ويمكن للأبعاد الإنسانيه أن تعتبر من أهم الأهداف التربويه فى هذا المجال.

الفصل الرابع: أهداف الإسلام التربويه فيما يرتبط بعلاقه الإنسان بالطبيعه

اشاره

يتواصل الإنسان مع البيئه المحيطه به طوال حياته. وتمثل هذه البيئه: الأرض وما فيها من الجبال والصحارى والغابات والبحار والحيوانات وكذلك السماء وما فيها من الكواكب والنجوم وجميع مظاهر الطبيعه جليلها وحقيرها يعتبر تجلياً من تجليات قدره وعظمه الخالق سبحانه وتعالى، وتترك أثراً عميقاً على رؤيه الإنسان للحياه. والذى يتمّ طرحه فى إطار الأهداف التربويه من وجهه نظر الإسلام، هو أن الحق فى استثمار الطبيعه لا- يعنى احتكار هذا الحق، بل إن الطبيعه مجرد ضمان لرفع ما يحتاج إليه الإنسان، ووسيله لاستمرار حياته فى هذه الدنيا.

إنّ رؤيه الإسلام حول كيفيه ارتباط الإنسان بالطبيعه منبثق عن أساسه الاعتقادى والتربوى، الذى يفسر النهج الصحيح للإستفاده من العناصر الحيويه لطيّ مدارجُ سُلّم السمو نحو المنازل الإلهيه وبلوغ التكامل والقرب من الله سبحانه وتعالى(۱). من هنا فإن الموقف الذى يتخذه الإنسان المسلم تجاه

۱- (۱)) أنظر: البقره: ۲۶ و ۱۶۴؛ الأنعام: ۹۹؛ إبراهيم: ۳۲-۳۴؛ النحل: ۱۰-۱۲؛ طه: ۵۳-۵۴؛ الفرقان: ۴۸؛ النمل: ۶۰؛ الروم: ۲۴ و ۴۸؛ فاطر: ۲۰؛ الذاريات: ۲۲ و ۴۸؛ نوح: ۱۷.

العالم وما فيه، يعكس مدى اهتمامه بالوصول إلى الهدف الغائى من خلال هذه القناه. وحيثما تحدث القرآن الكريم عن استثمار الطبيعه، كان ذلك مقروناً على الدوام بنوع من الأهداف التربويه والأخلاقيه. إن الاستفاده من المصادر الماديه إنما يأتى فى سياق ضمان هدف قيّم، لا أن تكون هذه المصادر المذكوره هى الهدف والغايه المنشوده لذاتها. إن التعقل والتدبّر فى طريقه تكوين هذه المصادر، والوصول إلى غايه التوحيد، والإيمان بالغيب، والتقوى وطهاره النفس، واجتناب الكفر بالنعم، والابتعاد عن الشرك، والتمسك بالعداله فى ردود الأفعال الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسيه، هى من بين الغايات والأهداف الملحوظه فى خلق الطبيعه. ولمزيد من إلقاء الضوء على البحث، فإننا سنخوض فيه من ناحيتين:

معرفه الطبيعه

لكى نستثمر الطبيعه يجب علينا أن نتعرف عليها معرفه عميقه، والذى يقع مورداً لاهتمام العلم حالياً هو مزيد من المعرفه لخفايا الطبيعه وظواهرها والقوانين السائده عليها بغيه الاستفاده القصوى منها. وقد اقترنت إشارات القرآن الكريم إلى الطبيعه على الدوام بالعبره فى سياق الهدايه والقرب من الله، وقد تمّت دعوه الإنسان إلى التوصّل إلى معرفه أكمل بمظاهر قدره الله لضمان سعاده الإنسان فى الدنيا والآخره، من قبيل: قول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ١ .

- هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَکُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِیهِ تُسِیمُونَ * یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّیْتُونَ وَ النَّخِیلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ * وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ * وَ ما ذَرَأَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ * وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَهً تَلْبَسُونَها وَ تَرَی الْفُلْکَ مَواخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ * وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ * وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ۱ .

إن فی التعمّق فی الآیات الإلهیه والتدبّر فیها واکتشافها، انتقال من الوعی السطحی إلی المعرفه الأدق والأعمق، وهذا یؤدی بدوره إلی إدراک القدره الإلهیه، وبالتالی فإنه یفضی إلی هدایه الإنسان، ویمهّد له الأرضیه اللازمه والمناسبه لتقدّمه روحیاً ومعنویاً. وبالنسبه إلی الفرد المسلم یُعدّ وجوب تحصیل العلم ومعرفه القوانین الطبیعیه من أجل توظیفها فی الطریق الإلهی أمر لا یمکن اجتنابه أبداً. وفی الحقیقه، فإننا کلما تعرّفنا علی الطبیعه بشکل أکثر، کان ذلک سبباً فی اقتدار المجتمع الإسلامی والحفاظ علی مکانته وکینونته، واکتساب القدره للدفاع عن الإسلام، وإبلاغ الدعوه والرساله الإلهیه. وبهذا اللحاظ یمکن لنا أن نبحث معرفه الطبیعه من ناحیتین:

۱. إن معرفه العناصر الطبیعیه والنظم والقوانین الحاکمه علیها، یعدّ طریقاً إلی معرفه خالق الکون.

۲. إنّ معرفه الطبیعه علی نحوجزئی، واکتشاف القوانین الحاکمه والمهیمنه علیها، تکون سبباً فی اقتدار الإنسان، وهذا یؤدی بطبیعه الحال إلی اتساع قدرته وحضوره فی المجتمع.

توظيف الطبيعه بشكل صحيح

أما المسأله الأخرى التى تطرح نفسها فيما يتعلق بارتباط الإنسان بالطبيعه، فهى مسأله كيفيه استثمار الطبيعه. فإنّ الافراط فى الاستفاده من الطبيعه والتبذير والإسراف فيها يؤدى إلى اضمحلالها وزوالها، الأمر الذى يحرم الأجيال القادمه من هذه النعم الإلهيه. وعليه، فإن الاستفاده الصحيحه والمناسبه من الطبيعه تُعدّ واحده من الأسس والقواعد التى يجب الالتزام بها على الدوام.

ص:٣١۶

المصادر

۱. الری شهری: محمد، میزان الحکمه، دارالحدیث، قم، ط ۱، ۱۴۱۶ ه.

۲. الطباطبائی: السید محمدحسین (ت ۱۹۸۱ ه)، المیزان فی تفسیر القرآن، مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت، لبنان، ط ۲، ۱۹۷۰ م.

۳. الشریف الرضی: محمد بن الحسین الموسوی (ت ۴۰۶ ه)، نهج البلاغه، شرح محمد عبده، دارالمعرفه، بیروت.

۴. الشیرازی: صدرالدین محمد (ت ۱۰۵۰ ه)، الحکمه المتعالیه فی الأسفار العقلیه الأربعه، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ط ۳، ۱۹۸۱ م.

۵. ابن شعبه: الحسن بن علی بن شعبه الحرّانی (ت القرن ۴)، تحف العقول عن آل الرسول، تعلیق و تصحیح: علی أکبر الغفاری، مؤسسه النشر الإسلامی، قم، ط ۲، ۱۴۰۴ ه.

۶. البروجردی: السید حسین الطباطبائی، جامع أحادیث الشیعه، المطبعه العلمیه، قم، ۱۳۹۹ ه.

۷. الحرّ العاملی: محمد بن الحسن (ت ۱۱۰۴ ه)، تفصیل وسائل الشیعه إلی تحصیل مسائل الشریعه، مؤسسه آل بیت، قم، ط ۱، ۱۴۱۲ ه.

۸. ورّام: الأمیر أبوالحسن، ورّام بن أبی فراس المالکی (ت ۶۰۵ ه)، تنبیه الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه ورّام)، دارالکتب الإسلامیه، طهران، ط ۲، ۱۳۶۸ ه. ش.

۹. الفیض الکاشانی: محمد بن محسن بن مرتضی (ت ۱۰۹۱ ه)، المحجّه البیضاء فی تهذیب الإحیاء، تصحیح و تعلیق: علی أکبر الغفّاری، مؤسسه النشرالإسلامی، قم، ط ۲.

۱۰. الطبرسی: رضی الدین، أبونصرالحسن بن فضل (القرن ۶ ه)، مکارم الأخلاق، منشورات الشریف الرضی، قم، ط ۶، ۱۹۷۲ م.

۱۱. الإمام الصادق (علیه السلام): الإمام جعفر بن محمد الصادق (علیه السلام) (ت ۱۴۸ ه)، مصباح الشریعه ومفتاح الحقیقه، المنسوب إلی الإمام الصادق (علیه السلام)، مؤسسه الأعلمی، بیروت، ط ۱، ۱۴۰۰ ه - ۱۹۸۰ م.

۱۲. الصدوق: محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه)، من لایحضره الفقیه، صححه وعلّق علیه: علی أکبر غفّاری، مؤسسه النشر الإسلامی التعالیه لجماعه المدرّسی، قم، ط ۲، ۱۴۰۴ ه.

۱۳. الشهید الثانی: زین الدین الجبعی العاملی (ت ۹۶۵ ه)، منیه المرید فی آداب المفید والمستفید، تحقیق: رضا مختاری، نشر: مکتب الإعلام الإسلامی، إیران، ط ۱، ۱۴۰۹ ه.

۱۴. الکلینی: محمد بن یعقوب الرازی (ت ۳۲۹ ه)، الکافی، تصحیح: علی أکبر الغفّاری، دارالکتب الإسلامیه، قم، ط ۳، ۱۹۸۸ م.

۱۵. المجلسی: محمدباقر، بحارالأنوار الجامعه لدرر الأئمه الأطهار، مؤسسه الوفاء، بیروت، ط ۳، ۱۴۰۳ ه.

۱۶. القمی: الشیخ عباس بن محمدرضا (ت ۱۳۵۹ ه)، سفینه البحار.

۱۷. الصدوق: محمد بن علی بن بابویه القمی (ت ۳۸۱ ه)، علل الشرایع، المکتبه الحیدریه، النجف، الواق، ۱۶۹۹ م.

۱۸. السبزواری: الملّه هادی السبزواری، منظومه السبزواری.

۱۹. المتقی الهندی: علاءالدین علی المتقی (ت ۹۷۵ ه)، کنزالعمال فی سنن الأقوال والأفعال، مؤسسه الرساله، بیروت، ۱۴۰۹ ه.

۲۰. الکراجکی: أبوالفتح، محمد بن علی (ت ۴۴۹ ه)، کنزالفوائد، مکتبه المصطفوی، قم، ط ۲، ۱۳۶۹ ه. ش.

۲۱. ابن منظور: محمد بن مکرم الإفریقی (ت ۷۱۱ ه)، لسان العرب، نشر: أدب الحوزه، قم، ط ۱، ۱۴۰۵ ه.

۲۲. مسکویه: أحمد بن محمد الرازی (ت ۴۲۱ ه)، تهذیب الأخلاق وتطهیر الأعراق، مؤسسه تحقیقات و نشر معارف أهل البیت (علیهم السلام) قم.

۲۳. البخاری: محمد بن إسماعیل الجعفی (ت ۲۵۶ ه)، صحیح البخاری، تحقیق: مصطفی دیب البغا، دارابن کثیر، دمشق، بیروت، ط ۴، ۱۹۹۰ ه.

۲۴. الفارابی: سیاسه المدینه

۲۵. نرمان ای: الأهداف السلوکیه، بترجمه: أمان الله مصطفوی

۲۶. شعبانی: حسن، المهارات التربویه والتعلیمیه

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹